جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان - كلية التربية
قسم اللغة العربية

الحديث النبوي الشريف في التراث النقدي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري

دراسة تحليلية

رِسَالِةٌ تَقَدّمُت بِهَا الطَالِبةُ

سما ماجد بلاسم

إلى مَجْلِسِ كُلّيَة التَربِيَة/ جَامِعَة مَيسَان

وهي جزء من مُتَطَلَبَات نَيل شَهَادَة المَاجسْتِير في اللُغةِ العَرَبِيَة وآدابها (الأدب)

إشراف

أ.د. ثائر عبد الزهرة لازم

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمِ

(البقرة: ١٥١)

الإهـــــداء

إلى من زرعوا فينا بذكرهم الخالد بذرة الحب والوفاء والعطاء

الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (عليهما السلام)...

إلى الذي خطفته المنية ، وعلا على سورهِ الغياب على حين غفلة من قلبي...

والدي رحمه الله ...

إلى مُناخي وكهفي الحريز، إلى ربيع العمر وخضرة أوراقي

أمي الحبيبة...

إلى من تحمل اعباء الحياة مرتين، نيابة عني وعنه، ما زلت أدونه على صفحات هذه الرسالة، فهو المداد وهو الكلم

زوجي كرار...

إلى نبتتي التي عطُشت عندما قاسمت ماءها مع البحث

ابني فلذة كبدي، أيان...

الباحثة

شكـــر وعرفان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ الاحقاف :١٥.

ما كان لهذه الرسالة أنْ تتم بالشكل الذي هي عليه لولا فضلُ الله تعالى علي فالحمد لله المتعالي عن صفات المخلوقين، المنزه عن نعوت الناعتين، المبرأ مما لا يليق بوحدانيته، المرتفع عن الزوال والفناء بوجوب إلوهيته، الذي استعبد الخلائق بحمد ما تواتر عليهم من نعمائه وترادف لديهم من حسن بلائه وتتابع من أياديه وعواطفه، وتفاقم من مواهبه وعوارفه، جَمَ عن الإحصاء عددها وفاق عن الإحاطة بها مددها وخرست ألسن الناطقين بالشكر عليها عن أداء ما وجب من حقها لديها. والصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ) الذي أوتي جوامع الكلم، وبعث لإتمام محاسن الأخلاق والشيم وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح أبواب السعادة والكرم، صلى الله عليه وعليهم أجمعين وانا انتهي من إنجاز هذه الدراسة يجب علي أنْ أتقدم بخالص شكري وامتناني لأستاذي الدكتور المشرف (ثائر عبد الزهرة لازم) لقبوله الإشراف على رسالتي ولما قَدَمهُ لي من عون ومساندة في إعداد دراستي وإتمامها على وفق ما هي عليه الآن، فقد كان بحق خير مرشد ومتابع بما قَدَمهُ من النصح والإرشاد داعية المولى عَزَ وجَلَ أنْ يوفقه لكل خير. وأخصُ بالشكر عمادة (كلية التربية – جامعة ميسان) لأفضالهم الكبيرة في إتمام الإجراءات وأتقدم بالشكر والثناء إلى جميع أساتذتي وأخصُ بالذكر أستاذي الدكتور (علي عبد الحسين حداد) على مساعدته لي في اختيار عنوان الرسالة وإرشاده لي فلهُ مني جزيل الشكر والامتنان ، وشكري واحترامي لرئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة بالأستاذ المساعد الدكتور (محمد مهدي حسين) لجهوده المتواصلة فلهُ جزيل الشكر والامتنان وأشكر جميع أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية، وشكري لأعضاء لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء، والشكر لله أولاً وأخراً.

الباحثة

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ–ج
التمهيد: أثر الحديث النبوي في الثقافة العربية	٢–١١
الفصل الأول: الحديث النبوي شاهداً نقدياً	**١٣–٧٨**
المبحث الأول: النقد اللغوي	١٥–٣٢
المبحث الثاني: النقد البلاغي	٣٣–٥٨
المبحث الثالث: النقد الادبي	٥٩–٧٨
الفصل الثاني: الحديث النبوي موجهاً نقدياً في قضايا النقد العربي	**٨٠–١٣٢**
المبحث الأول: قضية الشعر	٨١–٩٨
المبحث الثاني: قضية المفاضلة	٩٩–١٠٨
المبحث الثالث: قضية الاقتباس و السرقات	١٠٩–١٣٢
الفصل الثالث: إسهامات الحديث النبوي في تطور النقد العربي	**١٣٤–١٧١**
المبحث الأول: تعدد القراءات النقدية	١٣٥–١٤٨
المبحث الثاني: تشكيل المصطلح النقدي	١٤٩–١٥٩
المبحث الثالث: اصدار الاحكام النقدية	١٦٠–١٧٠
الخاتمة	١٧٢–١٧٥
المصادر والمراجع	١٧٧–١٩٢

المقدمـــة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين...

الحمد لله الذي أعطى وأدهش عباده بالنعم، الحمد لله الذي وهب لنا طريقاً نيراً بفضل محمد خاتم الأنام وترجمان القرآن، الحمد لله الذي أنزل على نبيه القرآن وتوَجَّهُ بالفصاحة والبيان وكتب للسانه وأقواله منزلة وبرهان، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الذي لا ينطق إلَّا هادياً ومرشداً وما يصدر عن لسانه حججاً وما زلنا نبحث عنها لأنَّها دليلُ قاطعُ وحجج واعية ترشدنا إلى مواطن الجمال مستمداً نوره من وحي القرآن.

أما بعد...

فعند النظر في أحاديث نبينا (ﷺ) نجدها قد حوت من البلاغة أصنافاً ومن الفصاحة ألواناً، وصدرت عن لسان صادق ناطق بالحق حجة وبرهاناً، واسترضاع النبي (ﷺ) في بني سعد أثر كبير ، إذ قال رب العزة في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(سورة النساء:١١٣) ، وأنَّ هذا الجمال الذي انبثق نوره من تلك الأحاديث وبذلك سما بروحه وتألقت معانيه, إذ أراد الله سبحانه وتعالى بنبيه الكريم وما أتاه من المنطق والحكمة نقطة تغير وتحول في وعي الأمة وتاريخها لاسيما أنَّهُ قد بُعِثَ في أمة تعرف بالفصاحة سلطاناً لها والبيان سحراً لروحها فإذا به اذهل أرباب الفصاحة والبيان بفكره وعلمه حتى فاقهم قوة ومعرفة.

أولاً- عنوان البحث وأهميته:

يمثل موضوع الدراسة ((الحديث النبوي في التراث النقدي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري دراسة تحليلية)) مجالاً واسعاً للدراسة وركيزة أساسية اشتملت عليها مباحث الدراسة, إذ نبني به قاعدة نستنتج من خلالها أهمية حضور الحديث النبوي في التراث النقدي لدى النقاد العرب وبلا شَكَّ أحاديث النبي (ﷺ) اعلى مراتب الفصاحة والبلاغة والبيان بعد القرآن الكريم وأحتل مكانة مميزة كونه نصاً مقدساً والاحتجاج به أمر لا بد منه.

ثانياً- أهداف البحث:

تبرز أهداف الموضوع في الكشف عن تلقي مؤلفات النقد العربي للحديث النبوي الشريف وفي أي موضوع دُرست:

١. أهميته في الدرس البلاغي والذي يكشف عن الأساليب البلاغية التي احتوتها تلك النصوص المقدسة.
٢. مكانته في الاستشهاد في القضايا اللغوية وذلك لما امتلكه من لغة سليمة ومنطق سليم وخلوه من الشوائب التي أفسدت اللغة.
٣. صلته بالنقد الأدبي (الأخلاقي-التوجيهي-الإرشادي) والذي وضح جادة الطريق لتذوق الأدب العربي ونقده.
٤. صلة الحديث النبوي ببعض القضايا النقدية وتوجيههُ لها ومنها الشعر والذي يكشف عن توجيه النبي (ﷺ) للشعر والشعراء وإلزامهم ببعض المعايير الأخلاقية والإنسانية في إشعارهم وتوجيهه لقضية المفاضلة وقضية الاقتباس والسرقة.
٥. فضلاً عن مساهمة الحديث النبوي في بعض قضايا النقد الأدبي, إذ كان لهُ دورُ فاعلُ في تعدد القراءات النقدية وتأسيس المصطلحات النقدية وإصدار الاحكام النقدية.

ثالثاً- إشكالية البحث:

١. ما مدى الأهمية التي احتلها الحديث النبوي في التراث النقدي وما المواضع التي وظف النقاد بها الحديث النبوي الشريف؟
٢. ما المنهجية التي اعتمدها النقاد في توظيفهم الحديث النبوي الشريف في مؤلفاتهم؟
٣. ما مدى الأهمية والحجية التي احتلها الحديث النبوي الشريف في المؤلفات النقدية وهل استطاع النقاد اعتماد الأحاديث النبوية شواهدَ حججاً ودلائل تنطلق منها العملية النقدية؟

رابعاً- الدراسات السابقة:

أمَّا فيما يتعلق بالدراسات السابقة التي تناولت الحديث النبوي الشريف فهي كثيرة لكن ارتباط الدراسات التي تناولت صلة الحديث النبوي الشريف بالنقد وقضاياه قليلة إذ شرعت في كتابة هذه الدراسة بعد البحث الطويل الذي خلص إلى عدم وجود دراسة مشابهة لها عدا دراسة واحدة تناولت توثيق الحديث النبوي الشريف في بعض المؤلفات النقدية والبلاغية و كان إسهام فاعلٌ في ضرورة المضي لاستكمال بعض دعائم تلك الدراسة وتسليط الضوء على الجانب التحليلي للأحاديث النبوية وصلتها بقضاياه النقدية وهذه الدراسة (الحديث النبوي في الدراسات النقدية والبلاغية حتى منتصف القرن السابع الهجري-دراسة توثيقية نقدية) للطالب (مصعب هادي إبراهيم) وقد نوقشت في جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

والدراسة بالدرجة الأولى تقوم على توثيق الأحاديث النبوية مبيناً صحتها أو ضعفها وتخريجها من كتب الصحاح أو السيرة النبوية.

خامساً- منهجية البحث:

أمَّا المنهج المتبع في إيراد شواهد الأحاديث النبوية فسيكون خاضعاً للمنهج التاريخي في تتبع تلك القضايا لدى النقاد في مؤلفاتهم النقدية، لأنَّهُ أصلح المناهج في رأي الباحثة لاسيما أنَّ الدراسة مقترنة باستجلاء أثر الحديث النبوي في عصور مختلفة.

❖ **تتكون خطة البحث مما يأتي:**

المقدمة: وتشتمل على الآتي: عنوان البحث وأهميته، وأهداف البحث، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على بيان أثر الحديث النبوي في الثقافة العربية.

الفصل الأول: الحديث النبوي شاهداً نقدياً.

ويشتمل على المباحث الآتية:

١. المبحث الأول: النقد اللغوي والذي يتناول الحديث النبوي الشريف شاهداً على قضايا النقد اللغوي.
٢. المبحث الثاني: النقد البلاغي والذي يتناول الحديث النبوي الشريف شاهداً على قضايا النقد البلاغي.
٣. المبحث الثالث: النقد الأدبي والذي يتناول الحديث النبوي الشريف شاهداً على قضايا النقد الأدبي.

الفصل الثاني: الحديث النبوي موجهاً نقدياً في قضايا النقد العربي.

ويشتمل على المباحث الآتية:

١. المبحث الأول: قضية الشعر يتخذ هذا المبحث من الحديث النبوي موجهاً لقضية الشعر ونظرة النبي (ﷺ) لهُ.

٢. المبحث الثاني: قضية المفاضلة يتخذ هذا المبحث الحديث النبوي لتوجيه قضية المفاضلة والحكم بين الشعراء.

٣. المبحث الثالث: قضية الاقتباس والسرقات ويتخذ هذا المبحث من أحاديث النبي (ﷺ) موجهاً للدراسة عن طريق توظيف الأحاديث النبوية في أشعار الشعراء تصريحاً أو خفيتاً.

الفصل الثالث: إسهامات الحديث النبوي في تطور النقد العربي.

ويشتمل على المباحث الآتية:

١. المبحث الأول: في تعدد القراءات الشعرية عبر بيان التطور الذي أسهم به الحديث النبوي في تعدد القراءات النقدية للحديث النبوي والشعر.

٢. المبحث الثاني: في تشكيل المصطلح النقدي والذي يصرح فيه عن دور الحديث النبوي في إنتاج بعض المصطلحات النقدية.

٣. المبحث الثالث: في إصدار الأحكام النقدية التي اتخذت من الأحاديث النبوية حجة في إصدار بعض الأحكام النقدية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة فضلاً عن التوصيات التي تراها مهمة لكي يستكمل الباحثون الكشف عن حضور الحديث النبوي في القرون اللاحقة توجيهاً لهم في خدمة الحديث النبوي الشريف.

التمهيد

أثر الحديث النبوي في الثقافة العربية

التمهيد

أثر الحديث النبوي في الثقافة العربية

يؤدي الحديث النبوي الشريف وظيفة أساسية في الثقافة العربية، إذ من خلال الأحاديث النبوية نجد توجيها يمهد للمسلمين الطريق لكي يسلكوا النهج الصالح؛ لأن الحديث النبوي يواجه التحديات التي تأتي بها أطوار الزمان وتنوع الأحوال وها قد مضى على ظهور "الإسلام أكثر من أربعة عشر قرناً أنَّ أحكام الدين الإسلامي لم تعجز في أي حال من أحوال الحياة المتطورة والمتجددة رغم أنَّ هذا الدين قد تقرر في عهده الأول عندما كانت الأمة تعيش في البادية، وبعيدة عن التعليم والكتب؛ وكان رسول الله (ﷺ) الذي نزل عليه القرآن، ووقعت عليه مسؤولية تبليغ الدين وإيضاحه؛ لم يتلق علماً إلَّا بالقرآن، وحده النازل إليه من عند ربه، وقام رسول الله (ﷺ) على أساس الوحي من الله تعالى بتوسيع علمه الدعوي والتربوي... "[1]، وهذا ما ميز الحديث النبوي بأنَّهُ باقٍ رغم تغيرات الزمان وأحواله يناقش قضايا المجتمع من وجهة نظر إصلاحية وتوعوية.

ونحن بصدد سؤال مهم هل كان للحديث النبوي أثر في تطور الثقافة عند العرب؟ بالفعل أحدث الحديث أثراً عظيماً نحن نعلم أنَّ ما يصدر عن أي أمة من تطورات وأحداث ما هي إلَّا مرآة صادقة وانعكاس للثقافة والأخلاق التي تتبناها المجتمعات، إذ إنَّ الحديث النبوي الشريف أحدث تطوراً وأثَّراً في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للأمة وعند مجيئه نبذ كل ما يتعارض مع تعاليم الدين الجديد وحث في الوقت نفسه على استثمار الطاقات من أجل بث الثقافة والدعوة الإسلامية، إذ إنَّ النبي (ﷺ) "وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام الشامخ، بما أنزل الله عليه في كتابه، وبما سنه (ﷺ) من سنن

(١) أثر الحديث النبوي في مواجهة تحديات العصر ومكانته في حياة المسلمين ومساهمة علماء الهند فيه، السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي، مركز بحوث السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٧.

وشرائع وقوانين شاملة وافية"[1]، حتى قال (ﷺ) قبيل وفاته: ((تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي))[2]، "وهذا يدلُّ على الأثر الذي تركه الحديث النبوي الشريف في مختلف جوانب المجتمع الديني منها، فقهاً وكلاماً وفكراً والفكري , والسياسي , والاقتصادي .

والملاحظ بأنَّ الحديث النبوي يحيا بالحياة، والديمومة، وأثره باق ولم يزل يدعو إلى الإصلاح والتجديد، ويشدد على مقارعة الفساد والجهل والبدع، وهذا واضحٌ لما لهُ من أثر في المجتمع، في ذلك الحين وحتى وقتنا الحاضر نرى تأثيره في كل زمان ومكان بدافع انتشال الأمة من الجهل ووضع أسس الحياة الكريمة وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم، فضلاً عن محاربة البدع والعادات الجاهلية البالية، والدعوة إلى دين الإسلام ونهجه القويم؛ لذا كان الحديث النبوي أساساً لهذه الأمة ومنهاجاً، ما دعا إلى العناية والاهتمام به وتسجيله وحفظه وإذاعته لكي يبقى ذكره خالداً[3]، إذ ظلت كتب الحديث النبوي ولا تزال حتى وقتنا هذا مصدراً من أهم مصادر الإصلاح والتجديد والتفكير والمنطق الصحيح في الإسلام، لذلك افاد العلماء والأدباء منه في العلم القويم الصحيح، والفكر النقي السليم، فقد احتجوا به، وأخذوا منه دليلاً وحججاً في دعوتهم إلى الإصلاح ومحاربة القيم البالية والمرفوضة، وهو مصدر لا يستغني عنه أي علم فالرجوع إليه أمر لا بدَّ منه

وقد وصف الدكتور محمد جمال الدين الدمشقي شرف علم الحديث النبوي بأنَّهُ "علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر، لا يعتنى به إلَّا كل حبر، ولا يحرمه إلَّا كل عْمر، ولا تفنى محاسنه على مَّر الدهر؛ لم يزل في القديم والحديث يسمو عزة وجلالة، وكم عزَّ به من كشف الله له عن مخبآت أسراره وجلاله، إذ به يعرف

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١٩٥-١٩٦.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م:١/١٢٥ حديث رقم ٤٠.

(٣) ينظر: المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف، السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٢م: ١٨.

المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصود من حبله المتصل المتين، ومنه يُدْرَى شمائل من سما ذاتا ووصفا واسماً، ويوقف على أسرار بلاغةِ مَنْ شرف الخلائق عُرْباً وعجماً..."[١]، إذ بَيَّنَ أنَّ الحديث النبوي أسمى العلوم وأرفعها ومهما حاولت الإحاطة بمحاسنه وعظيم شرفه وأسراره فإنَّك تقف حائراً أمام ذلك الصرح البلاغي والقيمي الرفيع الذي يحتويه.

ويُعَرَّفُ الحديث النبوي الشريف: بأنَّهُ كل "ما أضيف إلى النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية وخُلُقية..."[٢].

بهذا المعنى نجد أنَّ كل ما يصدر عن النبي (ﷺ) بوصفه قـدوة للمسلمين، لذا قام علماء الحديث بالاهتمام به ونقل كل قول يصدر عن النبي (ﷺ) بحرص وأمانة من أجل "الوقوف على ما ثبت عن رسول الله (ﷺ) من حديث ... وإذا علمنا أنَّ السنة هي الأصل الثاني من أصول التشريع وأنَّها شارحة للقرآن ومبينة له ومفسرة له، وتزيل مشكله، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه؛ أدركنا جلالة هذا العلم وعظم فائدته للإسلام والمسلمين وأنَّهُ أشرف العلوم بعد علم القرآن الكريم وأفضلها"[٣].

ولهذا حاز الحديث النبوي على اهتمام وعناية لدى المسلمين فعملوا به وحافظوا على نقله بدقة وتأسوا به لما جاء به من قيم ومعارف، ونقلوها للذين بعدهم إذ بذل المعنيون بالحديث النبوي جهوداً كبيرة في صيانتها مما قد يصيبها من تحوير أو تحريف ودراستها وتفحصها والتأكد من نسبتها وتمييزها بما خالطها، فقد وضعوا منهجاً دقيقاً، يعد من أدق المناهج العلمية التي عرفتها البشرية في التأكد من صحة الأقوال المنسوبة للنبي (ﷺ)[٤].

---

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، تحقيق: محمد بهجت البيطار، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة: ١٩٦١: ٤٦.

(٢) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي: ٢٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤.

(٤) ينظر: السنة النبوية وأثرها في الثقافة الإسلامية، محمد عويضة، جامعة الزرقاء، الأردن، مؤته للبحوث والدراسات، الأمارات العربية المتحدة , تصدر عن جمعية الاجتماعيين , المجلد ١٧، العدد الثالث، ٢٠٠٢: ٢٧٩-٢٨٠.

إذ عُدَّ الحديث النبوي الركائز التي أقيمت عليها الثقافة الإسلامية. والتي تتمثل في أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله بأنَّها تكشف عن آرائه ومعتقداته والممارسات الخيرة التي نادى بها، إذ من خلال أحاديثه أخذت الحضارة الإسلامية الأساس السليم في التعامل مع المجتمع. بفضل الحديث النبوي نادت واهتمت بتأصيل القيم الإنسانية ما جعل من الحضارة العربية الإسلامية خير من وضعت للناس أسساً واعية ومدبرة .

وعندما نأتي إلى أثر الحديث النبوي في اللغة يذكر الشيخ الحسني الندوي في السيرة النبوية بأنَّ "الوحدة اللغوية التي امتازت بها هذه الجزيرة من أهم أسباب تيسير مهمة الدعوة الإسلامية وسرعة انتشار الإسلام بها ومخاطبة الوحدات العربية المنتشرة، في لغة واحدة هي اللغة العربية الفصحى وبكتاب واحد هو القرآن العربي المبين"[(١)]، يرى الشيخ بأنَّ اللغة هي سبب رئيس لانتشار الإسلام وهي من يسرت أموره كون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف جاء بلغة عربية فصيحة فكان لابدَّ من الاهتمام بها والمحافظة عليها.

إذ كان للحديث النبوي إثراء في اللغة "وإن كان لا يبلغ أثر القرآن العظيم، لأنَّه دونه في البلاغة، وإنْ كان قائله أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم. ويمكن أنَّ نلاحظ أثره في أنَّهُ عاون القرآن الكريم في انتشار العربية، وفى حفظها وبقائها وكان له أثر أيضاً في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص"[(٢)].

والحديث النّبوي أهم مصادر إثراء اللغة وبذلك أكسبها حيوية ونمواً في جميع أبعادها فالنبي (ﷺ) أفصح العرب، وأقومهم عبارة، وأجودهم صناعة للبيان، ولاسيما قد بُعِثَ إلى أمّة تعتزّ بلغتها، وتتفاخر بسحر بيانها، لكن وقفوا أمام فصاحته، وعجزوا أمام

(١) السيرة النبوية، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط١٠، دار الشروق، جدة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٦٧.

(٢) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٧: ٤٠.

بلاغته [١]" إذ عُدَّتْ أحاديثه مصدرًا مهماً، اشتغل عليه العلماء والمختصون من اللغويين عبر العصور، ممّا أسهم في إثراء اللغة العربيّة، ودفع عجلة تطورها ونمائها ونشاط حركة البحث العلمي فيها، وكشف قدرتها على التجذر، والانتشار، والانسجام، والتفاعل، بسبب ما تمتلكه من ثروة أسهم الحديث النّبوي الشريف في التمكين لها من خلال الجديد الذي أضافه على مستوى المعاني والألفاظ والتراكيب، والأساليب، والرؤية"[٢].

ونجد أنَّ الحديث النبوي قَدَّمَ خدمة جليلة للغة وساعد في تقوية سلطانها ,إذ إنَّ مجيئه بلغة عربية أعظم أثراً في ترسيخها وإقامة دعائمها وتهذيبها وتنقيتها والنهوض بها إلى أعلى مستويات الخطاب في جوانبها كافة فضلاً عن ذلك فقد قدم "الحديث النبوي خدمة جديدة للغة العربية عندما فتح باب التدوين والحقيقة أنَّ الأمر لم يختص باللغة وحدها بل انتقل إلى جميع العلوم المعروفة في ذلك الوقت فانتقلت اللغة من الصدور إلى السطور ليحفظ تراث الأمة العربية الإسلامية في أسفار خالدة تغنى إلى اليوم بأمجاد هذه الأمة العريقة فالحديث النبوي كان الأداة المساهمة في حفظ تراث الأمة فتأثيره في اللغة العربية بصورة عامة يتجه في عدة اتجاهات"[٣].

ولو أمعنا النظر في الحديث النبوي نجده "غنياً مدهشاً في الأفكار والمعاني، فمعاني الحديث الواحد كثيرة متنوعة، وممّا يدلُّ على ذلك ما نجده في استنباط العلماء للأفكار والأحكام العديدة من الحديث الواحد وهذه الظاهرة عامة في معظم الأحاديث، إذ نجد أنَّ المعاني تزدحم في العبارة الحديثية"[٤].

كما و نجد الإبداع اللّغويّ الذي ورد عن النبي (ﷺ)، وإضافته الكثير من المفردات و كانت مرتبطة بشكل أساسٍ بالرّؤية الواعية التي أتى بها النبي (ﷺ) والدين من أجل

(١) ينظر: أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية وتطورها، فاطمة الزهراء عواطي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر الشريعة , جامعة الجزائر , فصلية دولية ,المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠٢٠: ٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ٧٣.

(٣) الحديث النبوي الشريف في الدراسات النقدية والبلاغية حتى منتصف القرن السابع الهجري–دراسة توثيقية نقدية–(رسالة ماجستير)، مصعب هادي إبراهيم، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م: ١٠.

(٤) الحديث النبوي –مصطلحه–بلاغته–كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠١هـ–١٩٨١م: ٥٩.

توجيه النّاس في نظرتهم للأمور، وتزويدهم بمفردات جديدة في الكلام وبالتالي كان لها صدى واسع في عقول الناس وأذهانهم ولاسيما أنَّ تلك الإضافات تنم عن وعي وفكر ومنطق سليم(١).

ومن أثر الحديث النبوي في اللغة نجد أنَّه فتح أبواباً من فنون القول والتجديد في استعمال اللغة من حيث طرائق التعبير وحسن صياغة الكلام والنفاذ إلى العقول وإصابة الغرض المقصود ومد اللغة بالمعاني والأخيلة والاحتجاج بالحجج العقلية والبراهين(٢) ,إذْ " بدأت المؤلفات المختلفة حول غريب الحديث، وتصنيف الحديث، وعلوم الحديث، ومصطلح الحديث، والموطأ والصحاح إلى غير ذلك من المؤلفات التي استوحيت من الحديث ومن تأثيره أيضاً نشأت الكتابة التاريخية في السيرة النبوية وتراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم، فكانت طبقات ابن سعد، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والاستيعاب وميزان الاعتدال للذهبي. وغيرها من المؤلفات العديدة في التفسير والشروح فالحديث يكون قد فتح باب التأليف والكتابة العربية وهَيَّأ لظهور مؤلفات عديدة في كل فن في علوم الحديث والفقه ممّا بشر بقيام نهضة علمية مباركة"(٣)، إذ كانت مصادر ثمينة أفادت منها اللغة .

ونتج أيضاً أثر للحديث النبوي في بناء المعجمات اللغوية عبر إثرائه بألفاظ ومعان وتراكيب ولهجات وإنّ النّاظر في المعجمات اللغوية , بدءاً بأوّل معجم وهو "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، ووصولا إلى أضخمها وهو "لسان العرب" لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، مرورًا بالمعاجم اللغوية المشهورة

(١) ينظر: أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية وتطورها , فاطمة الزهراء عواطي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر الشريعة , جامعة الجزائر , فصلية دولية ,المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠٢٠: ٧٧.

(٢) ينظر: الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي وصلاح الدين عبد التواب، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ٢٧٢.

(٣) آداب العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ٩٥-٩٦.

الأخرى مثل: جمهرة اللغة" لابن دريد (ت٣٢١هـ)، "التهذيب" للأزهري (ت٣٧٠هـ)، "الصحاح للجوهري (ت٣٩٣هـ)، "المحكم" لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، وغيرها.

والمتصفح لتلك المعجمات يجد كماً هائلاً من الأحاديث النّبويّة التي ملأتها وزيّنتها، وكانت مادة غنية لمؤلفيها أعانتهم على تفسير بعض معاني الألفاظ العربية غير المفهومة، فضلاً عن إضافة الكثير من المفردات الجديدة [١].

وللحديث النبوي أثَّراً في الاهتمام بالآداب العربية , إذْ امتلأت المؤلفات الأدبية في ظل الإسلام بفيض الأحاديث النبوية والتي كانت عطاء أدبياً خالداً، أثرت في الآدب تأثيراً واضحاً، إذ رسم الحديث النبوي وما جاء به الإسلام صورة جديدة للأدب تختلف عن تلك التي وجدت قبل ظهور الإسلام فقد غَيَّرَ الإسلام والأحاديث النبوية بعض طباع العرب، ممّا جعل تلك الآداب تتدفق بعبق الإيمان وعذوبة وسلاسة فضلاً عن الأساليب الجزلة، والعمق في التفكير وإكسابهم المعرفة الواسعة[٢].

إذ ساعد الحديث الشريف على "تهذيب الألسنة، وتثقيف الطباع، والقضاء على عهد الحوشية والغرابة والمعاضلة والتعقيد في البيان، وأحلَّ محل ذلك السلاسة. والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان. وقضى على سجع الكهان، ورفع منزلة النثر، وهذب أغراض الأدب وفنونه. وقد خُلِّدَ الحديثُ على مَرَّ الأيام والأجيال وأصبح مورداً عذباً من الثقافة الأدبية على توالي العصور"[٣]، والملاحظ لما سبق دور الحديث النبوي التوجيهي والتشريعي في الأدب العربي وكيف وَجَّهَ هذه الملكة الفنية بشكل صحيح وهجر الأساليب القديمة.

وقد جاء القرآن الكريم وفيه بيان للأحكام التي تنظم حياة المسلمين، وقد جاء القرآن الكريم شاملا يغلب عليه التعميم، تناول كل مقتضيات الحياة الصغيرة والكبيرة، وجاءت أحاديث

(١) أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية وتطورها , فاطمة الزهراء عواطي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر الشريعة , جامعة الجزائر , فصلية دولية ,المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠٢٠: ٨٨.

(٢) ينظر: القصص في الحديث النبوي–دراسة فنية وموضوعية، محمد بن حسن الزير، ط٤، :١٤١٨هـ–١٩٩٧م: ٥٨.

(٣) الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الاسلام: ٢٨٠.

النبي (ﷺ) وأعماله والأمور التي أقرها في بيان ما يُشِكلُ في أمور التشريع الإسلامي فلا بدَّ من المضي على بيانها وتفسيرها ما حتم على العناية بأحاديث النبي (ﷺ) وحياته وما حدث في وقتها، ومثلت أحاديثه المثل الأعلى في الإسلام في بيان جميع أموره الروحية والمادية، لذا حتم على المهتمين بجمعها والتحقق من روايتها، ثم تدوينها للاقتداء بها، من أجل السير على خطاها.

ومن ثم كان للحديث النبوي أثر في التأريخ لا يخفى على من لهُ علم بأخبار بشخصية النبي (ﷺ) وتأريخها وتُعَدُّ مكانته العظيمة وما يصدر عنه من أحاديث وأقوال ثروة كبيرة تستدعي الاهتمام بها وضبط تأريخها والتأكد من صحتها لكي تثبت دعائم الإسلام وقواعده بها، والتي جعلت من المؤرخين يبحثون في تلك الشخصية المقدسة وتدوينها، وعرض المآثر الطيبة التي صدرت عنه، إبرازاً لمكانته الاجتماعية والإسلامية لذا كان الحديث النبوي قبلة استهوت من لهُ صلة بتأريخ الإسلام لكي يجعلوه عنواناً ومادة لمؤلفاتهم.

وكان لتأثير علوم الحديث النبوي في بادئ الأمر أثراً واضحاً في الاهتمام بأهمية أخذ الإسناد. ومن ثم أخذت تختفي وتضمحل قامت بدلاً منها مدارس تسعى إلى دراسة الحديث النبوي، وأخذت على عاتقها عرض الصور التي كتب بها التاريخ النبوي والإسلامي من جانب، ومن جانب آخر نجد علوم الحديث وروايتها وإسنادها الأثر العظيم في عرض العديد من الكتب والأخبار التي وردت فيها والتي تضم في طياتها سرد تأريخ اللغة أو الأدب[1] "إذ أصبح كثير من هذه الأخبار يدخل ضمن الكتب التي وضعت لتكون من كتب اللغة والأدب، أكثر من دخولها في كتب التاريخ ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحاً وجلاء في كتب الأسمار، والمجاميع، مثل «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري وكتاب «الأغاني»، لأبي الفرج الاصفهاني، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي وغيرها. والحق أنَّ هذا النوع من الكتب نفسه تطور فيما بعد، وأصبح يحتوي على تراجم،

(١) ينظر: أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين : بشار عواد معروف، مجلة الأقلام، مجلد ٢١، العدد ٩، ١٣٨٦هـ _ ١٩٧٤م: ١٢٢.

بشكل أكثر ممّا كان عليه بحد ذاته مظهر آخر من مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين"[١] .

ومنها ما ذكر في كتب (المغازي) و(السيرة)[٢]، والتي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحديث النبوي ودراسته "أصول المغازي وعلاقتها من حيث النشأة والتطور بالحديث النبوي الشريف وإنَّك أنْ أنعمت النظر بالنصوص تلاحظ أنَّ كُتَّاب المغازي كانوا مُحَدِثينَ قبل أنْ يكونوا مؤرخين، وأنَّ اهتمامهم بالحديث النبوي ودراسته وروايته هو الذي دفعهم إلى الاهتمام بالمغازي بوصفه جزءاً من الحديث النبوي وروايته، وحتى حينما أطلق لفظ (السيرة) لتكن أوسع شمولا وقد ظل الحديث الركن الركين والدعامة الأساسية في تكوين المادة التاريخية للسيرة النبوية الزكية، وهكذا كانت متصلة بالحديث، بل هي جزء منه، نشأت بنشوئه وتطورت على هذا الأساس..."[٣].

إذ إنَّ دراسة الحديث النبوي هي أهم مقومات الثقافة العربية على مَرَّ العصور ولا بدَّ للباحثين الاهتمام به كون "الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي، سواء أكانوا قد كتبوا ليستعينوا على الحديث، أم رغبة دفعتهم، وأنسا أخذ بمجامع قلوبهم لسماع الأخبار وروايتها، أم فخرا بمعرفتها وإرضاء لمن يحب هذا النوع من العلم ويهواه"[٤]، فقد كان مصدراً رئيساً يعتمدون عليه في مؤلفاتهم.

---

(١) أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين : عواد معروف، مجلة الأقلام، مجلد ٢١، العدد ٩، ١٣٨٦هـ _ ١٩٧٤م: ١٢٣.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، وتهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.

(٣) أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين: بشار عواد معروف، مجلة الأقلام، مجلد ٢١، العدد ٩، ١٣٨٦هـ _ ١٩٧٤م : ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه: ١٣١.

وحينما نقوم بعرض معظم المؤرخين نجد منهم من تأثر بالحديث النبوي وبرزوا فيه، ومثل لديهم أساس إلى دراسة التاريخ والاهتمام به، يكفي أنْ نتذكر الخطيب البغدادي [١](ت٤٦٣هـ) وأبا سعد السمعاني[٢] (ت٥٦٢هـ) وعبد الرحمن بن الجوزي [٣](ت٥٩٧هـ) وغيرهم كثيرون .

(١) الخطيب البغدادي : (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ = ١٠٠٢ – ١٠٧٢ م) وهو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزية) ومنشأه ووفاته ببغداد. الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين ، ط ١٥ –٢٠٠٢ م : ١٧٢/١

(٢) أبا سعد السمعاني : (٥٠٦ – ٥٦٢ هـ = ١١١٣ – ١١٦٧ م)عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد: مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث. مولده ووفاته بمرو. رحل إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه. نسبته إلى سمعان (بطن من تميم) . من كتبه، " الأنساب – ط " و " تاريخ مرو " ، الاعلام :٥٥/٤

(٣) عبد الرحمن بن الجوزي : ٥٨٠ – ٦٥٦ هـ = ١١٨٥ – ١٢٥٨ م) يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي، محيي الدين، أبو المحاسن: أستاذ دار الخلافة المستعصمية، وسفيرها. من أهل بغداد. وهو ابن العلامة أبي الفرج (ابن الجوزي) ، الأعلام :٢٣٦/٨

الفصل الأول

الحديث النبوي شاهداً نقدياً

- المبحث الأول: النقد اللغوي
- المبحث الثاني: النقد البلاغي
- المبحث الثالث: النقد الأدبي

الفصل الأول

الحديث النبوي شاهداً نقدياً

توطئة:

الشاهد لغة لـ "الشين والهاء والدال أصل واحد يدل على حضور وعلم وإعلام"[١]، ويُعَرَّفُ أيضاً "والشاهد هو اللسان من قولهم: لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة"[٢]

أمَّا اصطلاحاً: فهو الدليل "الجزئي الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزئي. التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهو أخص من المثال"[٣]، إذ يُعَرَّفُ بأنَّه دليل لأثبات قاعدة معينة. ويُعَرَّفُ أيضاً بأنَّهُ القول الواضح المستغني بنفسه عمَّا سواه ويكون مشهوراً يضرب به المثل لجماله[٤].

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف إلَّا أنَّ حضوره واضحٌ في كونه شاهداً على القضايا النقدية المختلفة، إذ نجد في مؤلفات النقد عند العرب أنَّ الاستدلال بالحديث النبوي الشريف نال أهمية كبرى في القضايا اللغوية والبلاغية والأدبية كافة ما يكشف عن وعي الناقد وثقافته الدينية، إذ استفاد النقاد من تلك الأحاديث النبوية كونهم وظفوها في الاستدلال بها في بيان المصطلح النقدي والحكم على شواهد الأدب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: مادة (شهد).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مراجعة: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: مادة (شهد).

(٣) اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة، د. رفيق العجم، تحقيق، د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية ، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د. جورج زيناني ، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، ١٩٩٦م: ١٠٠٢/١.

(٤) ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ٣٦١/٢.

والاستشهاد في الحديث النبوي عند النقاد يأتي به النقاد ليستدلوا على قاعدة لغوية كأنْ تكون في استدلاله على خطأ وحجته وخير شاهد لديه حديث نبويٌ أو من خلال استشهاده بالحديث النبوي في بيان جمال البلاغة وأساليبها أو في تعضيد القاعدة النقدية أو تأكيد قضية نقدية.

وقد برزت أهمية شاهد الحديث النبوي في الدرس النقدي لعدة أسباب منها شيوعه بين الناس وسهولة حفظه وكثرة تداوله واستخدامه في جميع امورهم الدينية والدنيوية وليس هذا فحسب بل لتفوقه على نظيره من النصوص الشعرية والنثرية جعل لهُ هذه المكانة المتميزة والدائمة.

المبحث الأول

النقد اللغوي

إذا أردنا تتبع النقد اللغوي وكون الحديث النبوي شاهداً على هذا النقد حجة ودليلاً لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الحديث النبوي لغته ليست كغيرها من اللغات , إذ كانت لغته سليمة من شوائب ما طرأ على اللغة من تغيرات وكان الهدف من لغته تفسير ما اختلف فهمه من كتاب الله وتبيانه, إذ ليس الغريب من أنْ يكون دليلاً فيما اختلف عليه من أشعار الشعراء حيث كان الاستشهاد به فيما يخص القضايا اللغوية أمراً مسلماً به فقد ورد في كتب النقد الاستشهاد بالحديث النبوي لكونه أقوى حجة بعد القرآن والكلام الصادر منه كان في أعلى مراتب الصياغة التامة ولا يخفى على القارئ أهمية دراسة هذا الجزء البسيط الذي استخدم الحديث النبوي شاهداً عند النقاد في قضايا النقد اللغوي.

وقد عَرَّفَ الدكتور مصطفى عبد الرحمن النقد اللغوي بأنَّهُ "نقد الخطأ في الاستعمال اللغوي، ولقد كان العرب على صلة وثيقة بأسرار لغته ويدرك بفطرته الدلالة الوضعية للكلمات فإذا ابتعد الشعر عن تلك الدلالة واستعمل الكلمة في غير موضعها من دون أنْ يلمح العلاقة بين المعنى الأصل للكلمة والمعنى الذي نقلها إليه أحس بذلك إحساسا مباشرا وعَبَّرَ عن ذلك الإحساس بما تجود به قريحته"[١].

وقد سجلت لنا مصادر النقد والأدب كثيراً من الأخطاء التي ظهرت للنقاد واللغويين والتي دلت على عيوب الشعر[٢].

---

(١) في النقد الأدبي القديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٣٠-٣١.

(٢) ينظر: النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري، محمد الشريدة، دار الينابيع للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٥: ٢٥٣.

وقام المهتمون برصد تلك الأخطاء التي يقع فيها الشاعر سواء أكانت هذه الأخطاء تمس الألفاظ كخلوها من الفصاحة أم خلل في بعض التراكيب أم وجود الأخطاء النحوية أم عدم سلامة اللغة فهذه كلها تحط من شأنه ونجد أنَّ هذا النوع من النقد(١)

إذ بين الدكتور طه أحمد إبراهيم بأنَّ شؤون المسلمين قد إثرت في الأدب واللغة "فلأول مرة نجد من النقد نوعاً يراد به العلم وتراد به خدمة الفن الشعري ، وخدمة تاريخ الأدب، نجده عند اللغويين في هذين المصرين، وعند كثير من النحاة، فلا عصبية ولا هوى جائراً، ولا تأثراً حاضراً ، ولا انحرافاً عن الحق رغبة او رهبة ،إنَّما هو شعور الهادئ والتحليل والدليل وقرع الحجة بالحجة وذكروا الأسباب وهذا النقد متشعب فسيح يمس الأداة العربية كلها ويحلل النصوص من جميع نواحيها: ضبطاً وبنيةً وتركيباً وفناً"(٢).

وتطرق الدكتور بدوي طبانة إلى بيان معنى النقد اللغوي واصفاً إيَّاه "بأنَّهُ يهدف إلى تصحيح الألفاظ والتدقيق في استعمالها فيما وضعت لهُ"(٣)، أي يراد به تتبع تلك الأخطاء والهفوات التي يجدونها في شعر الشعراء ومطابقتها لما كان شائعاً عند العرب مبينين وجه الصواب بنقدهم وإرشادهم.

إذ استنتج هؤلاء النقاد أنَّ من أنسب الطرق التي يدرس بها العمل النقدي هو اتخاذهم من اللغة معياراً أساسياً في حكمهم على النصوص؛ لأنَّ العمل الأدبي ما هو إلَّا ألفاظ ومعان وبذلك يكون محط الاهتمام هو مدى مطابقة هذه اللغة للعرف السائد أو

---

(١) ينظر: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، أحمد محمد نتوف، دار النوادر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠١٠م: ٣٧٥.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م : ٥٢.

(٣) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م: ٨٨.

مخالفتها لهُ وذهب أحد الباحثين إلى أنَّ الأكثر ارتباطاً بالفن الأدبي هو "المنهج اللغوي الذي يقوم في النظر إلى لغة النص، ويتجه إلى فقهها، بوصفها أداة الأديب ، وموضع عنايته، ومجلي نبوغه، وأصالته"(١).

فالظاهرة الأدبية إذن: "ظاهرة لغوية في جوهرها لا سبيل إلى التأتي إليها إلَّا من جهة اللغة"(٢). ومعنى ذلك أنَّ النقد اللغوي دون سواه من فنون النقد الأخرى , هو الذي يلائم هذه الظاهرة لارتباطه الوثيق بأداتها الخام , ومادتها الأولية , أعني اللغة , على أنَّ الناقد اللغوي يعرض لغة النص على ضربين من المقاييس، يتكفل الأول: ببيان مواضع الجودة و الرداءة تلك اللغة ويتكفل الآخر: يهتم بتشخيص الخطأ فيها، والإرشاد إلى الصواب، المقياسان يكمل أحدهما الآخر في تتبع عملية النقد اللغوي وتلك العملية لا تصلح إلَّا بالرجوع لهما(٣).

وقد نظر الناقد القديم إلى المعنى من وجهة نظر اللغة، فوصف النص بالعالم اللغوي المتكامل، بل هو اللغة نفسها. فيحكم على الشاعر إذا وجد في بعض ألفاظه غرابة أو عدم مطابقة للمعنى حيث وضع للشاعر حدوداً لا يمكن تجاوزها وأنَّ التعدي عليها يصبح عرضة للنقد، ولم يتوقفوا عند مرونة التعابير التي تفصح عن المعنى بصورة مباشرة، ومن ثم ابتعدوا عمَّا أراد أنَّ يحققه النَّصُّ الشعريُّ، أو الكشف عن جوانبه الإبداعية؛ لأنَّ دراسة الشعر أصبحت جزءًا من جهود اللغويين والنحويين، لذلك تم وضع قواعد وأسس لهم لقياس مدى ملاءمة و تمييز المعنى(٤).

---

(١) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ١٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣، النقد اللغوي بين التحرر والجمود، نعمة رحيم العزاوي، الموسوعة الصغيرة ١٤١, منشورات دائرة الشؤون، بغداد، ١٩٨٤م: ١٠.

(٤)ينظر: أثر المنهج اللغوي في النقد العربي القديم (رسالة ماجستير)، لواء تقي العيساوي، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م: ٦٧.

وبهذا وجدوا أنَّ الإطار الفني الذي يتم من خلاله نقد العمل الأدبي ليس كافياً لكون قيمة العمل وأسرار جماله تكمن في لغته ، إذ تمثل اللغة القلب النابض بالحياة لتلك الأعمال الأدبية.

وقد امتلأت كتب النقد من الأحاديث النبوية التي كانت شاهداً على الأخطاء اللغوية أو النحوية التي وقع فيها الشعراء وقام النقاد بتصويبها متخذين من الحديث النبوي شاهداً على بيان سلامة اللغة؛ لأنَّ النبي (ﷺ) عُرِفَ بسلامة المنطق والعبارات وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في مبحثنا بتتبع تلك الشواهد وبيان الفائدة من الاستشهاد وفي أي مواضع وظفها النقاد العرب.

وأنَّ دراسة الشعر العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري لم تكن ميادنية بحسب ، وإنَّما كانت لغوية الهدف منها المحافظة على اللغة لذا دأبوا المهتمون بكل ما اتصل بهذه الدراسة من(جمع، ورواية، واختيار، وتعلم) متخذين من الشعر وثيقة فيها من المزايا والفوائد الجليلة مادة خام للدراسة اللغوية وكانت حجة ما أشكل عليهم وجدوه في غريب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانت هذه المصادر مادة أساسية أيضا اتخذها النقاد واللغويون حجة في بيان ما أشكل عليهم في أشعار الشعراء[١].

وأصبح من الضروري أنْ يلتزم الشاعر بالنظام الأساسي للغة، الذي حددته الممارسة اللغوية للعرب الموثوق بسلامة لغتهم، لا سيما الشعراء المتقدمين الذين يشهد لهم بنزاهة لغتهم ونقاوتها ولم تشبها عيوب العجمة أو التحضر حيث صار لزاماً عليهم أتباع هذا النسق الذي وجدوه عند أسلافهم [٢].

وإنْ كان الهدف من النقد الأدبي تحليل النصوص الأدبية واستكناه مواطن الجمال وأماكن الإبداع فيها، أو إظهار العكس في عدم الإجادة أو اكتشاف العيوب في صياغته،

(١) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، جابر أحمد عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م: ١١٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١١٧.

لذا نجد أنَّ النقد اللغوي يسعى إلى الحفاظ على اللغة, من اللحن والإعراب، ويحافظ لها على رونقها وجمالها, وطريقة في التعامل مع اللغة ومن ثم كان على الناقد أنْ يولي اهتمامه بهذه الأداة أو الوسيلة ويوجه إليها جهدهُ ؛لأنَّها تُعَدُ أولى موضوعات النقد ؛لأنَّ حقيقة النص الادبي تمثلها اللغة و تُعَدُّ الأساس الذي من خلاله تتم معالجة الموضوعات(١).

وقد أتجه النقد في صدر الإسلام به اتجاه جديد ، إذ "وضع له أول مقياس تُقاس به معاني الشعر، وكان ذلك المقياس هو الدين وما ينشأ عنه من أخلاق. فنظر إلى الشعر على هدي المبادئ التي رسم أصولها؛ فما اتفقت فيه روح الشعر مع روح الدين فهو من الشعر في الذروة، وما خالفه فهو من كلام الغُواة الضالين المُضلين. ونشأ مقياس جديد لدراسة الأساليب، ينفر من المعاظلة ويمقت الحوشي والسجع الذي كان يتكلفه الكهان في الجاهلية، ويميل إلى القصد والاعتدال في كل عمل مادي أو معنوي"(٢)، إذ لم يختلف النقد في صدر الإسلام كثيراً عما كان عليه في الجاهلية , إذ نجده يعبر عن ملاحظات انطباعية وجزئية وجل ذلك النقد الأدبي الذي صدر في صدر الإسلام , إنَّما جاء انعكاساً وأثراً لما أحدثه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نفوسهم عبر التجربة الإيمانية وإدراكها إلى جانب التجربة الجمالية.

إذ كشف لنا النقد في صدر الإسلام أثر الرؤية الحضارية والتاريخية التي اتخذها الإسلام من الفن الشعري وعلى الرغم مما أتى به الإسلام من قيود دينية واجتماعية إلَّا أنَّها فتحت للشعراء مجالاً أوسع للخوض في فنون شعرية جديدة ومختلفة هدفها الأساس بناء النقد على وفق منظور إسلامي(٣).

---

(١) ينظر: الجهود النقدية والأدبية في كتب الدراسات القرآنية إلى نهاية القرن الثامن الهجري (أطروحة دكتوراه)، خولة حسن يونس، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٢١٦-٢١٧.

(٢) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني ، تحقيق ، محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٢م : ٣.

(٣) ينظر: دراسات في النقد العربي القديم، محمد نتوف وعبد الكريم حسين ، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ٩٥/١.

أمَّا بشأن اتخاذ الحديث النبوي شاهداً في قضايا النقد اللغوي نجد أنَّ المتتبع لكتاب ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) وقد اتخذ من الحديث النبوي الشريف شاهداً في النقد وأحتج على مسألة لغوية مهمة ألا وهي عدم مطابقة اللفظ معناه بحسبان المنطق والعقل [١].أذ يقول أبن قتيبة "وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفى النحو، وفى كتاب الله عزّ وجلّ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢].

وقد وقف على الخطأ الذي وقع فيه الشاعر في أثناء وصفه الفرس وأنَّهُ لم يصب في التشبيه وأنَّهُ قد جاء بأمر غير معقول ومخالف لما تعارفت عليه النفس البشرية وكان دليله وحجته الحديث النبوي يبين صحة ما جاء به منه قول الشاعر بشر بن أبي خارم الأسدي قائلاً " يعاب من شعره قوله في وصف فرس " [٣].

عَلـــى كُلِّ ذي مَيْعَـــةٍ سابِحٍ يُقَطـــعُ ذُو أبْهرَيْه الحِزامـا[٤]

وقد استشهد بحديث النبي (ﷺ) ليبين الخطأ الذي وقع فيه الشاعر ,إذ ورد عن النبي (ﷺ): ((مازالتْ أكْلَةُ خيبرَ تعادُنِي ، فهذا أوانُ قطْعِ أَبْهَرِي))[٥].

---

(١) ينظر: التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر، سوريا–دمشق ،١٤١٧هـ: ١٥٥.

(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة: ٥٩/١

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٠/١.

(٤) المصدر نفسه : ١/ ٢٧٠ ، ديوان بشر بن خارم، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩هـ–١٩٦٠م: ١٨٨.

(٥) الشعر والشعراء : ٢٧١/١ ، متن الحديث « ياعَائِشَة مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ » ،صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق–مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته، د. محمد زهير الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة–بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي: ٦/ ٩ ، حديث رقم : ٤٤٢٨.

حيث أنَّ قضية عدم الدقة في وصف الفرس أدَّى إلى عدم مطابقه الكلمة للواقع وإلَّا كيف جعل الأبهر [١] اثنين وهما واحد وهذا عيب وقع به الشاعر كان القصد منه مراعاة الوزن أو غيرها من الضرورات ولو تأملنا قليلاً نجد توظيف الحديث النبوي عند ابن قتيبة بوصفه شاهداً ومعياراً نقدياً، جاء في استدلاله عن عدم مطابقة اللغة للعرف السائد والمتعارف عليه حينما خَطَّأَ ابنُ قتيبة الشاعرَ على تثنيته لكلمة (أبهر)، الواردة في البيت الشعري ثم يصف فيه الشاعر بعدم صوابه وأنَّ الأبهر واحد فكيف يصبح اثنين. وبهذا نجد أنَّ ابن قتيبة قد قام بربط ذوقه وفكره باللغة وما يعتريها من جمال أو رداءة.

أمَّا المبرد (٢٨٦هـ) نجد لديه عند البحث عن النقد اللغوي في كتابه مستدلاً فيها بالحديث النبوي كانت تصب في خانة المسائل التي تتعلق باللغة ولكون الكتاب في اللغة والأدب وكانت قضاياه متنوعة ما بين قضايا صرفية أو نحوية أو دلالية.

وقد أدرك المبرد أهمية مراعاة السياق في الحكم على النص، والتفت أيضاً إلى ضرورة مراعاة مكانته في النص بشكل كامل عند نقده وتقويمه لها والتفت إلى ما يحيط بالنص من الخارج[٢]. حيث يقول المبرد "وقد يضطر الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، والكاتب البليغ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق، واللفظ المستكره، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره، وسترتا من شينه"[٣].

وهذه مجموعة من المسائل اللغوية التي استشهد بها المبرد بأحاديث نبوية:

فقد ورد عن أبي زيد الأسلمي في أبيات شعرية يقول فيها:

---

(١) الأبهر: أَكبرُ شِريان في الجِسْم، ينشَأ من البُطَيْن الأَيْسَر للقلب وتتشعَّب منه جميعُ الشَّرايين المتعلِّقة بالدَّورة الدَّمَويَّة العامَّة.

(٢) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى القرن الخامس الهجري: ٤٢٢.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق، محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٢٧/١.

مَدَحْتُ عروقًا لِلنَّدى مَصَّتِ الثـرى حَدِيثًا فَلَـــمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَزَعْزَعَــا

نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقــتِ الفَقْرَ والغِنَـــى وحَلَّبتِ الأيَّامَ والدَّهْـــرَ أَضْرُعَــا[1]

في أثناء شرحه لها توقف عند قوله: «نقائذ بؤس» ومنها الخلاص. تفسيره أنَّهم نجوا من البؤس. يقال للرجل والمرأة أنَّ على نفس الصيغة. تقول: هذا نقائذ البؤس، وجاء بالتاء للمبالغة؛ لأنَّ أصله مثل المصدر، وللاستدلال على صحة ما ورد أعلاه نجد أنَّهُ قد أَكَدَّهُ[2]، بحديث النبي (ﷺ) الذي جاء عن جرير بن عبد الله البجلي لما جاء إليه. فكشف له رداءه، وعممه بيده، وقال لهُ (ﷺ):((إذا أتاكم كريمةُ قومٍ فأكرِموه))[3].

والخلاف وقع على التساوي في لفظة كريم وكريمة للدلالة على أنَّ (التاء) هنا وردت للدلالة على المبالغة وتصلح للمذكر والمؤنث فتأتي بالصيغة نفسها كما في عَلاَّمة/ ورُوَّاية/ ونَسَّابة[4].

وكذلك ورد في الكامل حديثٌ نبويٌ جاء في أثناء شرحه وتعليقه على بيت من الشعر قاله جميل بن معمر العذري:

إذا جاوز الإثنين سرّ فإنّـــه بنشر وتكثيـــر الحديث قمين [5]

وقول الحارث المخزومي:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب : ١٥١/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤/١، متن الحديث « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » ، سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي:١٢٢٢/٢ ، الحديث رقم :٣٧١١.

(٤) الكامل في اللغة والأدب : ١٥٤/١.

(٥) المصدر نفسه :٢٣١/٢ ، ديوان جميل بثينة ، جمع ، بشير بموت ، المطبعة الوطنية ، بيروت ،١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م :٦٥

مـن كان يسأل عنّا أيـن منزلنا فالأقحوانـــة منّا منزلٌ قَمـَنُ(١)

"قال أبو الحسن: من قال: قمن لم يثنِ ولم يجمع، ومن قال: قمن وقمين ثنى وجمع"(٢).

حيث قام بتوضيح ما ورد بالبيت الشعري بالحديث عن لفظة ((قمن/ قيمن)) حيث أراد بها العقار ومحل الخلاف أنَّ ((قمن)) لا تثنى أو تجمع(٣). ولتأكيد صحة ما ورد جاء عن النبي (ﷺ): ((من باعَ دارًا أو عقارًا فلم يردد ثمنَه في مثلِه فذلك مال قمِنًا ألا يبارَكَ فيه))(٤).

ونجد أيضاً توقفه في شرح لفظة ((بدنا)) التي وردت في شعر لمحمد بن عبد الله الثقفي:

دَعـَت نسوةً شُمَّ العَرَانيـــنُ بُدّناً نواعـــمَ لا شُعثاً ولا غبـــراتِ(٥)

"والبدن: واحدها بادن كما تقول: شهد وشاهد، ضمر وضام، وهو العظيم البدن يقال: بدن فلان إذا كثر لحمه، والبدن إذا أسن"(٦). وقد في حديث النبي (ﷺ): ((أني قد بدنت ، فلا تسبقوني بالركوع والسجود))(٧).

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: ٢٣١/٢ ، ديوان الحارث بن خالد المخزومي ، د ,يحيى الجبوري ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ،ط١ ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م :١٠٣

(٢) الكامل في اللغة والأدب : ٢٣١/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢/١-٢٣.

(٤) المصدر نفسه : ٢٣١/١ ، ، متن الحديث « مَنْ بَاعَ دَارًا وَلَمْ يَجْعَلْ ثَمَنَهَا فِي مِثْلِهَا، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهَا» ، سنن ابن ماجه: ٢/ ٨٣٢ ، حديث رقم ٢٤٩١

(٥) الكامل في اللغة والأدب: ١٧٠/٢.

(٦) المصدر نفسه : ١٧٠/٢-١٧١.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٧١، متن الحديث «لَا تُبَادِرُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، فَمَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، وَمَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا سَجَدْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، إِنِّي قَدْ بَدَّنْتُ » سنن ابن ماجة:٣٠٩/١ ، حديث رقم: ٩٦٣.

وورد في مدح الشماخ [١] لعرابة بن أوس [٢]وقد أحسن كل الإحسان في قوله:

إذا بلَّغْتِنِـــي وحَمَلْتِ رَحْلِـــــي عَرَابـــَةَ فَاشْرَقِـــي بِدَمِ الْوَتِينِ[٣]

"وقد عاب بعض الرواة قوله: "فاشرقي بدم الوتين"، وقال كان ينبغي أنْ ينظر لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسول الله (ﷺ) للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إنْ نجوت عليها أنْ أنحرها "فقال رسول الله (ﷺ): ((لبئس ما جزيتها)) وقال(ﷺ): ((لا نذر في معصية، ولا نذر للإنسان في غير ملكه))[٤].

نجد في هذا الشاهد أنَّ جودة الشعر ينبغي أنْ تكون في وضوح البيت الشعري ومطابقته لمعناه دون غموض وعلى الرغم من القيمة الجمالية التي امتلكها البيت الشعري إلَّا أنَّهُ عابَ عليه ما فطرت عليه النفس البشرية والفطرة السليمة وعدم مجازاة الإحسان بالإساءة وكان التعليق عليها من خلال حديث النبي (ﷺ).

أما الآمدي (٣٧٠هـ) و بالرغم من قلة الأحاديث النبوية المستشهد بها في كتابه إلَّا أنَّهُ كان دليلاً حاضراً لديه واستشهد فيه في اثناء تطرقه لبعض طرق المحافظة على اللغة، إذ ذهب

---

(١) الشماخ :(٢٢ هـ ـ ٦٤٣ م) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقا. وكان أرجز الناس على البديهة. جمع بعض شعره في ديوان ، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان . الأعلام :١٧٥/٣

(٢) عرابة بن أوس : (٦٠هـ ـ ٦٨٠م) عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الحارثي الأنصاري ، من سادات المدينة الأجواد المشهورين. أدرك حياة النبي صلّى الله عليه وسلم وأسلم صغيرا. وقد الشام في أيام معاوية، وله أخبار معه . وتوفي بالمدينة وهو الّذي يقول فيه الشماخ المري: " إذا ما راية رفعت لمجد بلقاها عرابة باليمين " الأعلام :٢٢٢/٤

(٣) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر: ٣٢٣.

(٤) الكامل في اللغة والأدب: ج١٠٨/١، متن الحديث (سُبْحَانَ اللَّهِ! بِئْسَمَا جَزَتْهَا. نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا. لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ. وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ) ، صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م: ١٢٦٢/٣.حديث رقم ١٦٤١.

أحد الباحثين إلى أنَّ مسألة المحافظة عليها لا يتم من خلال الثبوت على تلك الصيغ والمفردات في إطار الحدود التي وجدها العرب لها في الجاهلية [١].

ويرى أنَّ الظروف قد أدَّت إلى جمود تلك اللغة وتقييدها مسألة عدم التفريق ما بين ما هو خطأ وما هو متطور وفي رأي الآمدي أنَّ اللغة مع مرور الزمن قد تتحول من طور إلى آخر تبعاً لأحوال المتكلمين وظروفهم [٢].

وهذا التطور الذي أصاب اللغة لم يكن فقط يلحق أوزانها أو اصواتها بل أيضاً نجده قد لحق معانيها ودلالاتها وبذلك اعترف اللغويون بهذا التطور وأنَّا لا ننسى أنَّ مجيء الإسلام أيضاً كان سبباً رئيساً في هذا التطور الناجم عن أحداث تغير وتحول في مفردات لغوية وأنَّها اكتسبت بعد مجيء الإسلام دلالات ومعاني جديدة لم تكن معروفة من قبل[٣]، وأنَّ اعتماد النقاد على ما وجدوه في المجتمع من أعراف ليوجهوا معنى النص، بالطريقة التي تناسب تلك المعايير. وذلك لأنَّهم أدركوا أنَّ اللغة وثيقة الصلة بالمجتمع وثقافته، لذا كان من الضروري عدم الخروج عن هذه الأعراف، أو الخروج عن قواعدها اللغوية التي وجدوها، لذلك نظروا إلى استعمال الشعراء لتلك المعاني، فمن جاء من الشعراء بمعان مخالفة لما توارثوه، قاموا بتخطئته وعابوا عليه ما أتى به من تلك المعاني[٤].

ومن أمثلته ما ورد لدى الآمدي الذي وقف فيه على غلط للبحتري:

تَشُــقُّ عَلَيهِ الريـــحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جُيوبَ الغَمــامِ بَينَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ[٥]

(١) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى القرن الخامس الهجري: ٣٨٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٦.

(٤) ينظر: أثر المنهج اللغوي في النقد العربي القديم: ٧٠.

(٥) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، ط٤، ٣٧٦/١.

"وهذا أيضا غلط؛ لأنَّه ظن أنَّ الأيم هي الثيب، وقد غلط في مثله أبو تمام[١]، وذكرته في أغاليطه، وسها فيه أيضاً (بعض كبار الفقهاء) فظن البحتري أنَّ الأيم هي الثيب، فجعلها في البيت ضد البكر، والأيم: هي التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيبا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾، أراد جلَّ ثناؤه اللواتي لا أزواج لهن؛ فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الأيم؛ فتكون بكراً وتكون ثيبا، وإنما أراد الثيب"[٢].

ومنه قول النبي ((الأيمُ أحقُّ بنفسِها من ولِيِّها، والبكرُ تُستأذنُ، وإذنُها صماتُها))[٣].

لذا خطأ الآمدي أبو تمام ، الذي بدأ طريق نقده نحوياً، لم يفلت من الأثر اللغوي، حيث ظهرت آثار هذه العلامة على ذوقه الشعري، وأصبح أكثر المتعصبين تجاه القديم ودعا إلى اتباع المنهج التقليدي في الشعر[٤]؛ لأنَّهُ استخدم (الأيم) بمعنى (الثيب) ومعناهما واحد. وقد عَلَّقَ إحسان عباس على هذا النقد الموجه إلى الآمدي قائلاً: "الكلمات تنزلق قليلاً أحياناً مما توضع فيه مع مرور الوقت، وهذا مبدأ لا يحترمه أمثال الآمدي القائلون بالتدقيق"[٥]وعليه فأنَّ أبا تمام أراد المخالفة لذا وجب عليه حينها أنَّ يستعمل الثيب بدلاً من الأيم ؛لأن كل من الثيب والبكر تدخلان ضمن الأيم أي أنَّهُ ساوى بينهم في بيته الشعري ..

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ٣/٣٧٦، **حلّت محلّ البكر من معطَى وقد زفّت من المعطِي زفاف الأيمّ**

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ١/٣٧٦-٣٧٧ ، سورة النور، الآية :٣٢

(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ١/٣٧٧ ، متن الحديث ، «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ.» ، صحيح البخاري : ٧/١٧ ، حديث رقم ٥١٣٦.

(٤) ينظر: أبو تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً، عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ٣٥٥.

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الثقافة، الثقافة، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م : ١٧٩.

أمَّا الحاتمي (٣٨٨هـ) فقد تطرق إلى مسألة اللحن وتغيير الحركة في الألفاظ، إذ إنَّ هذا التغيير الذي يصيب المفردة عند النطق بها قد تغير معنى الكلمة بالكامل وهذا دليل آخر على أهمية الحركات في بناء العمل الأدبي وما يخصها وكان الحديث النبوي الشريف شاهداً على تلك القضية من حيث اتخاذه فيصلاً في الحكم على العمل الأدبي.

منه قول النبي (ﷺ): ((إذا تزوَّج الرَّجلُ المرأةَ لدينِها وجمالِها كانَ فيه سدَادٌ من عِوَزٍ))[١].

" وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا نضر! السداد بالفتح لحن؟! فقلت هو في هذا المكان لحن، وإنما لحنه هشيم لأنه كان لحانة، فقال: ما الفرق؟ فقلت: السداد بالفتح: القصد والتسهيل. والسداد بالكسر: البغلة وما يسد به الشيء، قال: هل تعرف العرب ذلك..."[٢].

والأصح بينهم ما ورد عن النبي (ﷺ) وهو بالفتح والقصد منه التسهيل، إذ إنَّ الناقد هنا قام بتتبع الأخطاء التي وجدها عند السماع والتي من شأنها أنْ تؤدي دوراً أساسياً في أداء المعنى والذي كشف عنها النقاد عند المتحدثين لكون تلك الأخطاء بالأصل تحدث عند النطق في أثناء السماع فقاموا بالتنبيه عليها ووجهوهم نحو الصواب وتلك المسألة كانت حاضرة عند أغلب الشعراء والمتحدثين في مختلف العصور.

أمَّا أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فكان الاستشهاد بالحديث النبوي عنده شبيهاً لما جاء عند قدامة بن جعفر فقد تطرق إلى مسألة الازدواج والتي من شأنها أنْ تحدث وتخلق

(١) حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٧٩م: ٣٨٤/١ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ،محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠ هـ]، مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م:٤٢٣/٥ ، حديث رقم ٢٤٠١، ورد بلفظ آخر في صحيح البخاري: ٥٠٩٠.

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر:١ / ٣٨٤ –٣٨٥.

موسيقى التراكيب والألفاظ ما أنْ اعتمد على الازدواج "وهو أنْ يراعي الوزن في جميع كلمات القرينتين أو في أكثرها وهو أحسنها وأعلاها "[١].

حيث يصرح بأنَّهُ "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً ولا تكاد تجد لبليغاً كلاماً يخلو من الازدواج ولو استغنى كلامٌ عن الازدواج لكان القرآن"[٢].

وهذه إشارة واضحة أنَّ ما جاء عن النبي (ﷺ) من كلام جميل كأنَّهُ سلسلة أو عقد يكمل كل مقطع منه المقطع الآخر ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الازدواج يحدث في النثر فقط على عكس الترصيع يحدث في الشعر والنثر.

منها حديث النبي في الازدواج: ((رَحِمَ الله مَنْ قال خيرًا فَغَنِمَ، أو سَكَتَ فسَلِمَ))[٣].

حيث نجد تلك الفواصل التي تكون منها الحديث النبوي على وزن واحد وموسيقى واحدة وإنْ اختلفت الحروف المكونة للكلمات نجد فيها ذلك الانسجام والتوافق بين جزئي الحديث النبوي.

إذ إنَ النَصَ الأدبي سواء كان شعرا أم نثراً فهو يتألف من شكل و مضمون ولا بدَّ أنْ يتحدا لكي يخرج بصورة مثلى وذلك من خلال صياغة تلك الألفاظ والتراكيب وإبرازها في مواطن الحسن والجمال والانسجام حيث الاهتمام بالعبارات ودقتها وحسن صياغتها يعكس رقي التفكير ودقة التحليل في الربط ما بين كل الألفاظ والمعاني[٤].

أمَّا عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) فنجد أنَّ النقد اللغوي واضحٌ عنده وقد كان في إطار عملية النظم وموقع الكلمة في السياق وكيفية ترتيب التراكيب التي

---

(١) النقد اللغوي عند العرب حتى القرن الخامس الهجري: ٢٩٤.

(٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٤٧١هـ-١٩٥٢م: ٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٤، صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي:٦٥٧/١، حديث رقم ٣٤٩٦.

(٤) ينظر: أبو هلال العسكري ناقدا، أمل المشايخ، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠١م: ٤٤.

تخلق جواً من التفاعل نستدل من خلاله على المعنى المراد إيصاله للمتلقي وهذا كله يحدث داخل مجموعة التراكيب المؤلفة لتلك الجملة [١]، وقد كان الحديث النبوي شاهدا في "أعمال الفعل في (كل) والفعل منفي لا يصلح أنْ يكون إلَّا حيث يراد بعضاً كان وبعضاً لم يكن نحو ، لم ألق كل القوم ، لم أخذ كل الدراهم "[٢].

إذ بَيَّنَ من خلال الحديث النبوي الوجوه التي تكون فيها (كل) دالة على النفي المطلق أو نفي البعض وذلك باختلاف موقعها من الجملة.

وقد ورد في (كل) وتفصيل القول فيها في النفي والأثبات كما في قول دعبل:

فَــوَاللهِ مـــا أَدري بِأَيّ سِهامِها رَمَتني وَكُلٌّ عِندَنا لَيسَ بِالمُكدي

أَبِا لَجيدِ أَم مَجرى الوِشاحِ وَإِنَّني أُتهِمُ عَينَيها مَعَ الفاحِمِ الجَعدِ[٣]

"المعنى على نفي أن يكون في سهامها مكد على وجه من الوجوه ، ومن البين في ذلك ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال للنبي (ﷺ): ((أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ قال: كل ذلك لم يكن. فقال ذو اليدين: بعض ذلك قد كان، المعنى لا محالة على نفي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه السلام أراد أنَّهُ لم يكن واحدٌ منهما، لا القصر ولا النسيان. ولو قيل: {لم يكن كل ذلك } لكان المعنى أنه قد كان بعضه"[٤].

---

(١) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى القرن الخامس الهجري: ٢٩٣

(٢) دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة، دار المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ٢٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨٣. متن الحديث « صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعَصْرِ. فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ. فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمْ نَسِيتَ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ" فَقَالَ: قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! » صحيح مسلم: ٤٠٤/١ ، حديث رقم ٥٧٣

إذ جاء الاستدلال لديه بالحديث النبوي على معنى (كل) تأخذ وجهين، أمَّا أنْ تكون نفي بعض الشيء أو النفي المطلق وهذا ما نلاحظه من خلال السياق، إذ أفادت في البيت الشعري نفي بعض الشيْ، أما قول النبي (ﷺ) فقد أفادت النفي المطلق.

وبهذه الآراء اللغوية التي قدمها النقاد قاموا بشرح الشعر ونقده بما يتناسب مع مرجعيتهم الدينية والثقافية واللغوية، الأمر الذي أجبرهم على التمسك بمنهجهم، والذي جعلهم يصدرون أحكامًا نقدية لا تتفق مع أذواقهم الفنية، وإنَّما ينسجم مع الرؤية اللغوية[١].

مما لا شكَّ فيه أنَّ هؤلاء العلماء هم من أخذوا زمام المبادرة في تصحيح لغة الشعر، وتعديلها نحويًا ولغويًا وفقًا للأسس الصحيحة للغة، لذلك أصبح نقدهم للشعر يقوم على أسس علمية، "أذ ثقافة اللغويين وأمزجتهم تركت أثرها على هذا النقد الذي بدأ يتجه نحو تعليل ظواهر الأشياء فيما يتصل بالنحو والإعراب والقوافي "[٢] فكان تركيزهم على صحة الشعر في الاحتجاج اللغوي.

ونجد أنَّ النقد اللغوي، قد اختلط بغيره من العلوم إلَّا أنَّها كلها اجتمعت في حكمها على النص والنقد اللغوي يدرس جانباً مميزاً ومهما وهو أصل في النص وفي نهاية المطاف هذه العلوم كانت في خدمت القرآن الكريم والحديث الشريف وكل ما تفرع منها[٣].

اما المقاييس المتبعة والمعايير فهي بحد ذاتها معايير علمية تقوم على أسس وقواعد نجد فيها أنَّ النقاد توجهوا نحو نقطة معينة ، إذ إنَّهم لا ينظرون إلى الشعر من حيث الظروف المحيطة بل ينظرون في الأمور المتعلقة بالنص وما يحمله من دلالات الألفاظ والمعاني لذا عمل النقاد على دراسة المعاني التي حملها النص والوقوف عند بعض الألفاظ

(١) ينظر: اثر المنهج اللغوي في النقد العربي القديم: ٩٣.

(٢) الأصمعي ناقداً، أياد عبد المجيد أبراهيم، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٦م: ٢٩.

(٣) ينظر: ضحى الإسلام، احمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م: ١١/١.

والتراكيب وعملوا على بيان مواطن النقد اللغوي في الأعمال الأدبية، ووجهوا الشعراء نحو ما يحسن شعرهم ويرفع من قيمته الفنية. وفي هذا الصدد تبين أن النقد اللغوي وجد منذ اللحظات الأولى التي ولَدَ فيها النص وتَوْجَه النقاد إلى متابعته على عكس ما صرح به الأستاذ طه أحمد إبراهيم الذي يقول: "ولقد نعلم أنَّ هناك ضروبا عديدة من النقد كثيرة، منها النقد البياني الذي أشرنا إليه، وسنسعى إليه وسندرسه، وسنعرف روحه وتأريخه وبعض كتبه، لأنَهُ جزء من النقد الأدبي كما نراه. فأما غيره من النقد الذي يتصل بشكل الادب وبنيته وعباراته من حيث الصحة والإعلال أو اللحن والإعراب أو الأعاريض والقوافي، فذلك ما لا نذكره، إلَّا نادراً وبملابسات قوية لأنَّه لا مساس لهُ بالذوق ولا بالجمال"[1] نجد ما ذكره الدكتور طه أحمد إبراهيم في مقدمة كتابه أنَهُ أغفل جانب النقد اللغوي واكتفى فقط بالجانب الجمالي (البلاغي) حيث يشير إلى عدم الاهتمام بالجانب اللغوي والذي يعد جوهر العملية الإبداعية والنقدية وبذلك لم يكن موفقاً في إيصال فكرتهُ وإلَا ما الحاجة الى دراسة الجانب البلاغي إذا لم نعتنِ بما فيه من لغة سليمة تجعل النص مؤثراً في الأسماع ويلتذ القلب وتسمو النفس به وكل ذلك عندما لا نُفَضَّلُ جزءاً على آخر وإلَا لما أُلفت الكتب التي تصب في خدمة اللغة والحفاظ عليها وعدم تحريفها والاهتمام الذي وجه من النقاد خاصة في العناية بالجانب اللغوي وكانت من شروط الشاعر أنْ يعرف اللغة ويتقنها فضلاً عن العلم بالأعاريض والقوافي المتمثلة بالنقد العروضي الذي يشكل احد الجوانب المهمة في ذلك النقد والذي يمس العملية النقدية برمتها, والذي تشكل الجانب الموسيقي فيها."إذن فالاهتمام بلغة الأدب أمر قديم في النقد العربي وذلك بسبب الحرص على معرفة دقائق اللغة لحماية النص القرآني، والمحافظة على التراث العربي الشعري والنثري، ومن ثم كان الاعتناء بالجانب اللغوي في النصوص الشعرية الذي أولاه النقاد اهتماما بالغا"[2].

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: ١٤.

(٢) النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير)، فريدة بولكعيبات، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩م: ٤٤.

وبعدما بين النقاد بأنَّ النقد اللغوي ينم عن الحرص الزائد في الاستدلال على سلامة اللغة وخلوها من الأخطاء ولأنَّ الحديث النبوي نصً مقدسً ذو مكانة عليا في النقد كان شاهدا لغوياً مهما، إذ كشفت لنا المواضع التي استشهد فيها بالحديث النبوي في النقد اللغوي عن طبيعة الأخطاء التي وقع بعض الشعراء فجاءت ألفاظ الحديث النبوي مصححه لبعض الاستعمالات اللغوية الخاطئة ولما اشكل على النقاد والأدباء والعلماء من حيث علاقة اللفظ ومعناه وعلاقة اللفظ والواقع أو الاستعمال الشائع لبعض الألفاظ التي تغيرت وأصبحت دلالاتها تختلف نتيجة للتطور الذي طرأ على اللغة فضلاً عن هذا نجد الحديث النبوي يرد شاهدا لغوياً لبيان بعض الهفوات والتي أكد النبي (ﷺ) على ضرورة الالتفات إليها وتنبيه الشعراء والأدباء عن الوقوع فيها. كاشفا بذلك عن دور الحديث النبوي وحضوره المهم في كونه شاهداً لغوياً.

المبحث الثاني

النقد البلاغي

من المسلم به في كتب الدراسات النقدية والبلاغية أنْ يكون الحديث النبوي الشريف حاضراً فيها بوصفه شاهداً في بعض المسائل ولكون الحديث فتح باباً لتلك الدراسات وكان لهُ الفضل فيما بعد في تطورها وانطلاقها إلى العنان. وإذا أردنا أنْ ندرس البلاغة نجد خير ما يمثلها الحديث النبوي الشريف ؛ لأنَّهُ أعلى مراتب الجمال الذي وصلت إليه تلك البلاغة، إذ نجد في الأحاديث النبوية تلك النصوص القصيرة كانت أقوالا صالحة لكل زمان ومكان واضحة ومستمرة لذا لا يخفى على الباحث أهمية تلك الشواهد وقيمتها وما فيها من جمال ،ولكون النبي (ﷺ) نشأ في بيئة كان سكانها أرباب فصاحة وبيان وشاء الله أنْ يكون الرسول (ﷺ) أعلى مراتب البلاغة، إذ إنَّ بلاغته بلغت أعلى وأسمى مراتبها من بعد القرآن الكريم وكانت مهمته التبليغ والتفسير ولابدَّ من ذكر أنَّ الميدان الأول لفصاحة النبي (ﷺ) وبلاغته هو القرآن الكريم وما يحتويه من قوة وتأثير أخذ النبي (ﷺ) من منبعها وأثرت في نفسه ولسانه وأمد النبي (ﷺ) بمفردات وتراكيب وصور جديدة لم يعهدها العرب من قبل ، ما جعل من النبي (ﷺ) إمام المتحدثين وقبلة الفصحاء والبلاغيين وامتلك بيده البيان.

وقد جاء في وصف بلاغته (ﷺ): "الفصيح المنطق، سمح البيان، سلس الأسلوب، قوي العبارة، لامع الرونق، رائع الحكمة، موفق المثل، موفق اللفظ، مشرق المعنى، يحس المرء لكلامه حلاوة العسل، ويجد فيه لذة , إذا تكلم خفتت الأصوات، وأنصتت الآذان وخشعت الجوارح، وامتلات القلوب بجلال العبرة وسمو الموعظة..."[1].

(١) الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام : ٢٧٤.

لذا نجد أنَّ بلاغته يضرب بها المثل وأصبحت أحاديث للناس يتداولونها بينهم والقارئ لها يجد في ألفاظه السلاسة والعذوبة وفي معانيه عمق الأفكار وتعددها وأنَّ مصدر تلك الفصاحة والبلاغة التي أذهل بها النفوس وأبهر بها العقول فماهي إلَّا هبة من الله وهبها لهُ فقد "سأله علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقال: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه، فمن علمك؟ فقال صلوات الله عليه: أدبنى ربى فأحسن تأديبي ' وقال له صفيه وصديقه أبو بكر، لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك"(١).

إذ يقول الرافعي" كان النبي (ﷺ) على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي"(٢).إذ جاء النبي(ﷺ) بمصطلحات جديدة لم يعهدها العرب من قبل وكانت تلك بحراً يغترف منه أرباب الأدب من بعده وكانت تلك الأقوال مسددة الألفاظ والمعاني تحمل في أبسط تفاصيلها أرفع صور البلاغة والفصاحة.

إذ إنَّ جوامع الكلم التي جاء بها النبي (ﷺ) تلك الأحاديث القصيرة التي لم تتجاوز الكلمات المعدودة نجدها في مجملها تحتوي على البلاغة والحكمة وتحمل في طيها العديد من المعاني وتتسم في قوة تأثيرها وبعدها عن التعقيد .

صرح الدارس عيد بلبع بأنَّ "الحديث النبوي يحمل أبعادًا تنظيرية لا تختلف عن الآراء والمقولات التي تُتخذ منها أسس منهجية للتحليل، بل لعلنا لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أنَّ الحديث

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م: ٢٥٥. السلسلة الضعيفة:١/١٧٣ ، حديث رقم ٧٢

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٥٣.

النبوي الشريف يطرح الأسس النظرية لتحليل ظواهره البلاغية وأساليبه طرحًا تخسر الرؤية البلاغية التي لا تضعها في حسابها تنظيرًا وتطبيقا، وذلك باشتمال الأحاديث النبوية الشريفة على بيان منطلقاتها وغاياتها ثم بيان أساليبها، ... ومن هذه التأسيسات التي اشتملت عليها الأحاديث النبوية الشريفة أنَّها بلاغة أمر ونهى وأنَّها بعيدة عن التكلف والتهويم، وأنَّها ترى في التحسين مغالطة قد يترتب عليها قلب الحقائق وتشويهها"(١).

إذ نجد العديد من الأحاديث النبوية التي وردت عن النبي (ﷺ) لا بلاغة تعلو على بلاغتها (ﷺ) وأنَّهُ ملقى على قلبه من لدن العزيز القدير فقد فضله على سائر البشر وعلى الرغم من قلة حروفه نراه يحتوي الكثير من المعاني ويحتمل العديد من التفسيرات ، إذ يمتاز بصفات الكلام الموجز ذات المعنى الدال على الكثير من المعاني ويُعَدُّ مصدراً ثانياً للبلاغة بعد القرآن الكريم لاحتوائه على أبسط المعاني وأدق الألفاظ وهو السهل الممتنع.

وإذا أردنا أن نتتبع النقد البلاغي نجد أنَّهُ لا ينفصل أبدًا عن البلاغة؛ لأنَّهُ في جزء منه خطاب "محدود"، ونراه في جزء آخر خطاباً موسعاً. لقد نشأ من مصدر واحد وأخذا معاً طريقاً واحداً في أولى المراحل من تاريخهما، ثم أخذ كل منهم، يشق طريقه بمعزل عن الآخر بحكم الوظائف التي يقوما بها في العمل الأدبي، وأخذا يكتسبا بعض الميزات والصفات التي أدت في نهاية المطاف إلى انفصالهما بوصفهما علمين مستقلين (٢)

وقد صَرَّحَ الدكتور أحمد الشايب بأنَّ" النقد الأدبي من أهم العوامل في إيجاد البلاغة وذلك أنَّ هذه الملاحظات والأحكام النقدية أفادت جماعة العلماء فأحالوها قوانين وأصولا ودونوها في فصول مختلطة بالنقد حيناً ومنفصلة حيناً آخر حتى كانت أساسا صالحا

(١) مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، عيد بلبع، دار الكتب المصرية، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٣١-٣٢.

(٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ،١٩٧٢م :١١

لتكوين قواعد بلاغية قامت بوظائفها فيما مضى"[١]. إذ عد النقد الأدبي بوابة انطلقت منها البلاغة وأساليبها المختلفة .

والنقد البلاغي "لم ينشأ نشأة مستقلة كما نشأت العلوم الأخرى إنما توزعت في مراحله الأولى في بيئات علمية متعددة أسهمت كل منها بنصيب في نموه وتطوره"[٢]، وقد ورد أيضاً في الإيجاز والإعجاز أنَّها: "ليست كلمات فقط، ولا معاني فقط، بل هي كلمات تعبر عن معانٍ..."[٣].

حيث يمكننا القول إنَّها ليست التعبير عن المعنى بطريقة مؤثرة فقط ، بل إنَّها تعبير يضفي جمالاً لتلك الألفاظ وبذلك تكون قيمة وجمال تلك الألفاظ وما تحمله من معاني وتوظيفها المجاز وما فيه من أساليب وفنون جمالية التي جاءت بها البلاغة حتى يتسنى لنا الكشف عن مواطن الحسن والجمال وإبرازه والتصريح عنه [٤].

وأخذ الحديث النبوي عناية واهتماماً ولاسيما في كونه شاهداً بلاغياً الكتب التراث النقدي لدى النقاد العرب

إذ نجد للجاحظ (٢٥٥هـ) في كتابه (البيان والتبيين) أنَّهُ كان ينم عن نزعة عقلية مسيطرة كانت ذات تأثير كبير في التفكير البلاغي لدى العرب, إذ وصفه الدكتور محمد زكي عشماوي "مورداً خصباً استقى منه كثير ممن كتبوا في البيان العربي، والبلاغة العربية، واستمرت سيطرة الكتاب على الفكر البلاغي حتى القرن الرابع وما بعده"[٥].

---

(١) الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٨ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م : ١٤.

(٢) البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، عبد العاطي غريب علي علام، مكتبة كلية الدراسات العربية والإسلامية، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ١٥.

(٣) الأعجاز والإيجاز، الثعالبي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٥.

(٤) ينظر: ردود التستري على أبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة –دراسة نقدية– (رسالة ماجستير)، محمد حاكم الكريطي، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م: ١٠٦.

(٥) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي عشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م: ٢٦٧.

إذ إنَّ المتصفح لكتابه يجد فيه الكثير من الآراء التي تصب في خدمة النقد الأدبي والبلاغي وعرج فيه على أنواع البلاغة وعناصرها.

ونجد عند الجاحظ وصفاً دقيقاً يشير فيه إلى صفات الحديث النبوي الشريف حيث يقول: "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعيب واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلَّا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلَّا بكلام قد حف بالعصمة..."(١).

وذلك لأنَّه الكلام الذي ألقاه الله تعالى على لسان نبيه الكريم والذي ميزه بحسن الفهم والأفهام. وقلة حروفه وتعدد معانيه فإذا سمعه السامع حفظه وفهمه فضلاً عن أنَّهُ احتوى الكثير من العذوبة والحلاوة فيلتذ عند سماعه السامع وأنَّهُ أصدق ما قيل وأوفى ما تكلم وأوجز ما عبر لا يختلف في بلاغته وعربيته وفصاحته اثنان(٢).

ونجد في الحديث النبوي الشريف تمام الصياغة وأبلغ العبارة وأنه بحر المعاني الصادقة والحكم الواعية وهو متمم لنور القرآن ومفسر معانيه حيث وصفه "بأنَّهُ ليس الحديث النبوي وعاء للحكمة وصادق المعنى، وإنمَّا هو إلى ذلك ذيل لنور الكوكب القرآني وامتداد لهدي الوحي السماوي، كلام مؤيد من تنزيل رب العالمين أصاغ لسان النبوة ألفاظه وتنزل وحياً من السماء معناه"(٣).

وتناول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهوم البلاغة والبيان الصادر عن النبي (ﷺ) الذي أشار إليها هذا النص يفسر مجمل الحديث النبوي والبلاغة النبوية التي

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٦/٢-١٧، سورة ص: الآية ٨٦.

(٢) ينظر: في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ٤٨-٤٩.

(٣) المصدر نفسه : ٥١.

احتوتها تلك الكلمات، إذ يقول واصفاً إيَّاها" ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه (ﷺ) كثيراً"[١].

وسنأتي هنا على بعض الأحاديث النبوية التي مثلت الجانب البلاغي عند الجاحظ وأول حديث ورد بهذا الخصوص والذي زخرت به كتب النقد حين جاء به الجاحظ في معرض حديث عندما "وسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله عمرو بن الأهتم عن الزّبرقان بن بدر، فقال:«إنه لمانع لحوزته، مطاع في أدنيه» . قال الزبرقان: إنه يا رسول الله ليعلم مني أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي، فقصر بي. قال عمرو: «هو والله زمر المروءة، ضيّق العطن، لئيم الخال» . فنظر النبي صلّى الله عليه وآله في عينيه، فقال: «يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة»"[٢] فقال النبي (ﷺ): ((إنَّ من البيان لسحرا))[٣].

وهذا الحديث أبلغ ما قيل على لسان النبي (ﷺ) في البلاغة ، إذ إنَّهُ يبين أثر البيان والوضوح في النصوص النثرية على النفوس وتأثيره على العقل والمنعم في نص الحديث من جهة بعيدة يلاحظ أنَّهُ يُعَبَّرُ عن أهمية البيان ووصفه بالسحر لشدة تأثيره ولابدَّ أنْ يستعمل من وهبه الله البيان على استعماله بالطرق الصحيحة ووضع الألفاظ موضعها الصحيح.

وفي موضع آخر نجد أيضاً " ذكر رسول (ﷺ) شعيباً النبي عليه السلام ، فقال :« كان شعيب خطيب الأنبياء» وذلك عند بعض ماحكاه الله في كاتبه ، وجلاه لأسماع عباده " [٤]. إذ وصفه بذلك لأنَّهُ أبعد عنهم تكلف الخطابة ومناسبة أهل الصنعة.

---

(١) البيان والتبيين : ١٧/٢-١٨.

(٢) المصدر نفسه : ٢٥٥/١

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٥/١، صحيح البخاري:١٣٨/٧ ، حديث رقم ٥٧٦٧.

(٤) البيان والتبيين :٢٠١/١ ، متن الحديث « إن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر عنده شعيب قال: " ذلك خطيب الأنبياء يوم القيامة » بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م :٣٨٥/١٢

ونجد أيضا الأحاديث النبوية التي وردت شارحا فيها الجاحظ مسألة بلاغية ومنها قول النبي (ﷺ): ((إنَّا معشر الأنبياء بِكَاء))[١].

في نص الحديث نجد أنَّ النبي (ﷺ) استخدم الأسلوب الخبري في بيان حال الأنبياء حيث إنَّ أصل الكلام يبين أنَّ الأنبياء قليلوا الكلام ممّا حبب وأثار حب قلة الكلام على كثرته وجعله وصفاً للأنبياء ، إذ لم يحببوا أنْ يزيد الرجل بالكلام لئلا يزيد منطقه على عقله[٢].

ودليلاً آخر على بلاغته أنَّ النبي (ﷺ) أتى بكلمات وعبارات لم يسبقها إليه أحد وعبر عنها بجوامع الكلم ، إذ ورد عن الجاحظ " من كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدّع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا [٣].

ومن قوله: ((يا خيل الله اركبي))[٤] وقوله: ((مات حتف انفه))[٥]، وقوله : ((الآن حمي الوطيس))[٦]. حيث نجد كيف ابتدع الكثير من التراكيب التي لم تكن معروفة لدى العرب وهي من فصيح كلامه ومنطقه النير والتي اتفق أغلب علماء اللغة بأنَّهُ أول من نطق بها والتي كان القرآن الكريم مرجعها واستمد من معين ألفاظه وتراكيبه أقوالا وحكما وامثالاً.

---

(١) البيان والتبيين : ١١٤/١ ، متن الحديث «نَحنُ معاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَكَاء» النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق ،طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م :١٤٨/١.

(٢) قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٦٤.

(٣)البيان والتبيين: ١٥/٢.

(٤) المصدر نفسه : ١٥/٢، سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت : ٢٥/٣ ، حديث رقم ٢٥٥٩

(٥) البيان والتبيين: ١٥/٢، النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٣٧/١

(٦) البيان والتبيين: ١٥/٢، صحيح الجامع الصغير :٥٣٤/١ ، الحديث رقم ٢٧٥١

أما في مدح اللسن والبيان والكلام الجميل المعدل ، ذكر الكلام الموزون الذي يمدحون به حيث إنَّهم يفضلون في الشاعر أنْ يصيب بالمقدار وأنْ لا يخرج عنه حيث أطلق الجاحظ لما أسماه البلاغيون بعده باب الاحتراس وقد سماه إصابة المقدار وقال طرفة في المقدار وإصابته[١]:

فَسَقَـى دِيَارَكِ غَيْـرَ مُفْسِدِها صَــوْبُ الرَّبِيعُ وَديمَــةٌ تَهْمِى[٢]

طلب الغيث على قدر الحاجة؛ لأنَّ الفاضل ضار. وقال النبي (ﷺ) في دعائه: ((اللهم أسقنا سقياً نافعاً)) وايضاً قول النبي (ﷺ): ((اللهم حوالينا ولا علينا))[٣]، لأنَّ المطر ربما جاء في غير أوان الزراعات، وكان كثيراً وزائد عن الحاجة أصبح ضاراً، وربما في الكثرة مجاوزا مقدار الحاجة وأنَّ قول الشاعر طرقه "غير مفسدها" تحمل وجه تفسير بأنَّ الزيادة قد تكون ضارة وخوفاً من أنْ يندثر ما بها من جمال وبهاء ويذهب جمالها ورونقها، لذا فأنَّ كلامه عن الإيجاز والإطناب وعلى حد قول الدكتور وليد قصاب "قد ربطهما بالمواقف والمقامات وبمراعاة مقتضى الحال والإتيان على مقدار الحاجة ولم يربطهما بطول الألفاظ وقصرها فقد يكون الاتساع نفسه من باب الإيجاز"[٤].

أمَّا المبرد (٢٨٦هـ) ونحن بصدد الحديث عن كتابه (الكامل) فنجد في اثناء إيراده للأخبار في ثنايا كتابه أَّنهُ يقوم بإيضاح المسائل البلاغية الواردة فيه مستشهداً بالحديث النبوي الشريف فيما يتعلق بالقضايا البلاغية من استعارة أو كناية أو تشبيه معلقاً عليها مؤيداً حجته

(١) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٩ ،١٩٦٥م: ٥٤، البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق، احمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة، إبراهيم مصطفى، الإدارة العامة للثقافة، مصر: ٥٦.

(٢) ديوان طرفه بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ–٢٠٠٢م: ٧٩.

(٣) البيان والتبيين: ١/ ٢٢٨، صحيح البخاري: ٢٨/٢ ، حديث رقم ١٠١٣

(٣) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٧٦م: ١٠٢.

بأحاديث الرسول (ﷺ) ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ أغلب القضايا التي استشهد فيها المبرد بالحديث النبوي كانت تصب في بيان ما حوت تلك الأحاديث من الأساليب البلاغية.

لذا نجد أنَّ المبرد في كتابه قد ترك إرثاً استطاع من خلاله إضافته إلى النقد البلاغي جانباً جديدا يهدف إلى إيضاح المسائل اللغوية و تفسيرها والالتفات إلى العناصر البلاغية التي يحتويها النَص وقد أولى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عناية خاصة استطاع من خلالها مناقشة تلك المسائل البلاغية الواردة في النصوص النبوية(١).

وأول الأحاديث النبوية التي استشهد فيها المبرد في كتابه بحديث كان غنياً بالكثير من الأساليب البلاغية وقد فصل فيه القول وهو ما ورد عن رسول الله (ﷺ): ((ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنُكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون))(٢).

"قوله (ﷺ): "الموطأون أكنافاً" مثل، وحقيقته أنَّ التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطيء إذا كان اثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: "موطأ" الأكناف "أنَّ ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه"(٣).

نجد في الحديث النبوي الشريف (كناية عن صفة)، إذ إنَّ (الموطأ الأكناف) يقصد به المتواضع الذي يتواضع والحامل لهذه الصفة يكون ذا شأن وصاحب خلق عظيم لدى

---

(١) ينظر: النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع الهجري، عبد الهادي خضير نيشان (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م: ٢٥-٢٦.

(٢)الكامل في اللغة والادب: ٨/١ ، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م :٥٤٥/٣ ، حديث رقم ٢٠١٨.

(٣) الكامل في اللغة والادب: ٨/١.

من يتعامل معهم ترفع من مكانته ويكون من أقرب الناس بحبيب الله ورسوله وهو خير ما يصف به إنسان.

وفي موضع آخر يشير المبرد إلى سمة التكرار الذي استخدمه توكيداً، إذ إنَّهُ لم يصرح لهُ بشكل مباشر لكنه جاء في أثناء تفسيره للحديث النبوي يقول:

وقوله (ﷺ): "المتفيهقون" إنَّما هو بمنزلة قوله: "الثرثارون" توكيد له، ومُتَفَيْهِق متفيعل، من قولهم: فهق الغدير يفهق إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مزيد، كما قال الأعشى:

نَفى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ المُحَلّقِ جَفْنَةٌ كَجابِيَـــةِ الشَّيْخِ العِراقِـــيَّ تَفْهَقُ(١)

مؤكداً بتكرار الكلمة بغير لفظة لكي يؤكد صحة ما ادعاه وحيث ورد تكرار يفيد توكيد المعنى بغير لفظة دالة عليها.

وقوله (ﷺ): "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً، وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثرثارةٌ. وكان يقال لنهرٍ بعينه: الثرثار، وإنما سمي به لكثرة مائه، قال الأخطل:

لَعمْرِي لَقَدَ لاقت سُلَيمٌ وعَامـــرٌ عَلـَى جَانبِ الثَّرثار راغيَةَ البكْرِ(٢)

إذ نجد المبرد هنا يهتم بإيراد المعنى المجازي (جانب الثرثار) بإرجاعه إلى حقيقته وأصله وذلك لكي يخرج لنا بأجمل استعارة وأدق معنى ومن ناحية أخرى نجد من خلال تفسيره يبين لنا تلك العلائق التي تربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي(٣).

---

(١) الكامل في اللغة والادب: ٩/١.

(٢) المصدر نفسه: ٨/١.

(٣) ينظر: المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل، عبد العزيز بن صالح الدعيلج، مجلة العلوم العربية، العدد ٢٠، ١٤٢٢هـ: ٢١٦.

ونرى فيما سبق توجيه بأكثر من أسلوب وطريقة يحث فيها على أنَّ من اكتنز الصدق في المنطق يحظى بشرف الصحبة وقد ذكر صفاتهم ومن جانب آخر ترك ونبذ ما لا نحتاج إليه؛ لأنَّ زيادة منطق المرء على عقله من خلال لسانه تأخذه إلى مواضع غير محمودة وهذه إيثار منه لأنَّها الصفة الغالبة على كلامه.

وفي موضع آخر يستشهد بشاهد نبوي حيث ورد عن النبي (ﷺ): ((مَن كان آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في بدِنهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، كان كمن حيزت لَهُ الدُّنيا بحذافيرها))[1].

قوله: "في سربه" يقول: في مسلكه، يقال: فلان واسع السرب وخلي السرب، يريد المسالك والمذاهب، وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب، يقال: خل سربه، أي: طريقه حتى يذهب حيث شاء، ويقال ذلك للإبل لأنَها تنسرب في الطرقات، ويقال: سرب علي الإبل، أي أرسلها شيئاً بعد شيء"[2].

إذ نجد في الحديث النبوي أستعمل (في سربه) كناية عن أهله وعياله وبيته ، إذ من خلال إيراده لهذا الحديث ،إذ يمثل ما يكون عليه حال المتكلم وقد أعطاه الله من العافية التي تكون البدن والأمن الذي يكون عليه في مسكنه وبين أهله ممّا تجعله كمن يملك تلك الدنيا بما توفر لهُ من قوت يومه وأمن عياله.

ويورد المبرد نوعاً بلاغياً حين توقف عند كلمة "لكع" في البيت الشعري واورد حديثاً لبيان معناها كما في قول الشاعر:

هُـــمُ مَنَعُوا ذِمَـــارِي يَوْمَ جَاءَتْ كَتائِبُ مُسْرِفٍ وبَنُـــو اللَّكِيعــــةْ

(١) الكامل في اللغة والأدب: ١/١٣٠، ، متن الحديث « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. » سنن الترمذي: ٤/ ١٦٧ ، حديث رقم ٢٣٤٦

(٢) الكامل في اللغة والأدب : ١/١٣٠.

فقام بإيراد حديث عن النبي(ﷺ): ((لا تقوم الساعة حتى يلي أمر الناس لكع ابن لكع))، فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم"[١].

وقوله: "بنو اللكيعة"، فهي اللئيمة، ويقال في النداء للئيم: يا لكع، وللأنثى: يا لكاع، لأنَّه موضع معرفة، كما يقال: يا فسق ويا خبث، فإن لم ترد أنْ تعدله عن جهته قلت للرجل: يا ألكع، وللأنثى يا لكعاء، وهذا موضع لا تقع فيه النكرة، وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرت لك"[٢].

كان استشهاده بالحديث النبوي لبيان ما جاء في البيت الشعري من كناية خص بها من يحكم آخر الزمان ويحكمون الأمة من هم ذو شأن وضيع ونسب رديء من العبيد حيث يكون فيه الأحمق واللئيم هو من يلي أمور الناس ويكون سيداً وشريفاً هذه الأمة في أسوأ أوضاعه وأحواله.

أمَا ابن المعتز (٢٩٦هـ) يعد كتابه البديع، من أوائل الكتب التي اعتنت بالبلاغة وأساليبها ، إذ أورد ابن المعتز الكثير من الأساليب التي تميز بها البيان النبوي، وجاء الاستشهاد به بما يتعلق بالفنون البديعية من استعارة، وجناس، ومطابقة, وقد صرح أنَّهُ استشهد بالحديث النبوي ذكرها في مقدمة كتابه قائلاً: "وقد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ﷺ) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم..."[٣].

والبديع يدور حول البلاغة إلَّا أنَّ المتصفح لهُ يجد فيه بعض الوقفات النقدية يقوم بها بالشرح والتفسير معتمداً بالدرجة الأولى على الفنون الأسلوبية[٤].

---

(١) الكامل في اللغة والادب : ٢٠٨/١، متن الحديث «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ» بْنُ لُكَعَ. سنن الترمذي:٧٠/٤ ، حديث رقم ٢٢٠٩.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٢٠٨/١.

(٣) البديع، عبد الله بن المعتز، أغناطيوس كراتشوفيسكي ، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م:١.

(٤) ينظر: محددات النقد الأدبي القديم عند العرب دراسة تحليلية لكتاب "النقد المنهجي عند العرب" لمحمد مندور: عمر بن مجاهد (رسالة ماجستير)، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م: ١٥٤.

إذ إنَّ الدرس البلاغي بدأت تتضح معالمه عند ابن المعتز ويعود لهُ الفضل في وضع الحجر الأساس كونه مخترع علم البديع أحد العلوم البلاغية الثلاثة إلَّا أنَّهُ عند إيراده القضايا البلاغية لم يعلق عليها بل اكتفى بسرد الأمثلة وإيراد بعض الشواهد النبوية وبين حدودها في الوقت الذي لم يُخَصَّصْ لها كتاباً خاصا بل كانت مبثوثة في تضاعيف تلك المؤلفات وكان البديع لابن المعتز الشرارة التي انطلق منها علم البلاغة وأخذوا النقاد بعده يفصلون القول فيه ويضيفون ما أوجدوه عندهم من فنون جديدة لكي يصل إلى ما وصل إليه.

ومن الشواهد النبوية التي استشهد بها في كتابه على تلك الفنون ومنها قول النبي (ﷺ) الذي جاء به في موضوع الاستعارة:

((خيرُ النَّاسِ رجلٌ مُمسِكٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ، ، كلَّما سمعَ هيعةً ، طارَ إليها))[١].

حيث نجد في هذه الاستعارة البديعة "ان كل من العدو والطيران يشتركان في امر داخل في مقومهما وهز قطع المسافة بسرعة ولكن الطيران اسرع من العدو"[٢].

وقول النبي (ﷺ): ((إنَّا لا نَقبَلُ زَبْدَ المُشرِكينَ))[٣]، أي رفدهم.

وقوله (ﷺ): ((ربِّ تقبَّلْ تَوْبتي واغسِلْ حَوبَتي))[٤].

---

(١) البديع: ٣، متن الحديث « خيرُ مَعايشِ النَّاسِ لَهُم، رجلٌ مُمسِكٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ، ويَطيرُ على مَتنِهِ، كلَّما سمعَ هيعةً أو فزعةً، طارَ عليهِ إليها » صحيح مسلم:١٥٠٣/٣ ، حديث رقم ١٨٨٩

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م: ٢٢٠.

(٣) البديع: ٤، متن الحديث «أَنَّهُ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً لَهُ –أَوْ نَاقَةً» – فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْلَمْتَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ. سنن الترمذي:٢٣٣/٣ ، حديث رقم ١٥٧٧.

(٤) البديع: ٤، سنن ابن ماجه:١٢٥٩/٢ ، الحديث رقم ٣٨٣٠.

وقوله (ﷺ): ((غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم: الحسد والبَغْضَاء، وهي الحالقة حالقة الدين ، لا حالقة الشعر)) [1]، حيث نجد هنا استعارة تبعية ويمثل فيه كيف أنَّ الحسنات تفنى وتذهب في مهب الريح بسبب ما ارتكبتموه من حسد وبغض بينكم فيكون هذا حالكم مالم تتحابوا وتتوادوا فيما بينكم حين استعمل "تحلق "استعارة عن الزوال من غير رجعة.

وندرك ممّا سبق كيف عرض بعض الاستعارات في حديث النبي (ﷺ) تميزت بالبساطة وصحة التركيب وأنْ كانت مما يدخل الفنون البلاغية من زخارف ولكن عند قراءتها تجدها مطبوعة من غير تكلف ولم يكن القصد بها لأجل منفعة جمالية وإنَّما كانت من أصل الكلام ودقيق معانيه فنجد ارتياح الأسماع إليها وهذه من السمات الفنية التي امتاز بها الحديث النبوي.

اما النوع الثاني من البديع الذي يعرف بالتجنيس (الجناس) ومن أمثلته قول النبي (ﷺ): ((عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ ، و غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَ))[2].

إذ نجد الجناس بين (غفار وغفر)، (أسلم وسالمها)، (عصية وعصت) أحدث أثر واضحاً في السمع والنفس وعكس لنا جماليته من توافق بعض الحروف مع بعضٍ.

أمَّا آخر ما استشهد به ابن المعتز بالحديث النبوي فيما يتعلق بالطباق (المطابقة) فمثاله قول النبي (ﷺ): ((إنَّكم لتَكْثُرون عند الفَزَع وتَقِلُّون عند الطَّمَع))[3].

---

(١) البديع: ٤، متن الحديث « دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبَغْضَاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشِّعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بما يثبِّت ذلك لكم؟ » سنن الترمذي:٤/٢٨٠ ، حديث رقم ٢٥١٠.

(٢) البديع: ٢٥، متن الحديث « عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ ،و غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ » صحيح مسلم:٤/١٩٥٣ ،حديث رقم ٢٥١٨

(٣) البديع: ٣٦، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٤٤٣.

((الفزع: الخوف في الأصل، فوضع موضع الإغاثة والنصر، لأن من شأنه الإغاثة والدفع عن الحريم مراقب حذر))[١]، حيث جاء الطباق ما بين لفظتي (تكثرون، تقلون). إذ كشف ابن المعتز عن مداد من الأساليب البلاغية التي أحتوتها الأحاديث النبوية الشريفة وكان من أهم مصادرها.

أمَّا قدامة ابن جعفر(٣٣٧هـ): نجد في كتابه إضافةً محمودة , إذ قام بإيراد الفنون البلاغية ووضع الحدود والمسميات الخاصة بها هذا ما جعله في طليعة النقاد الذين اعترفوا بفضلهم في تطور هذا العلم ويكون كتابة في طليعة الكتب التي وثقت الصلة ما بين النقد والبلاغة إذ يقول الدكتور بدوي طبانة: "ولعل محاولته وضع الأسماء والألقاب والمصطلحات وتحديد مدلولاتها، وتصريحه بأنَّهُ اخترعها، ودعوته إلى قبولها، أو اصطناع غيرها، وتشجيعه على التوسع في استنباط أمثالهم، هو ما جعل البلاغيين يعدون قدامة في طليعتهم ويعنون بآرائه ومصطلحاته"[٢].

وكان لهُ الفضل في رسم معالم النقد البلاغي كونه أول من اعتمد في حكمه على شعر الشعراء من خلال الأساليب البلاغية التي كثرت في شعرهم، إذ إنَّهُ جمع ما كان مبعثراً من النقاد الذين سبقوه في كتابه نقد الشعر الذي ربط ما بين المباحث النقدية والبلاغية, وصرح عبد الهادي خضير نيشان قائلاً" كان قدامة بن جعفر رائداً في رسم منهج النقد البلاغي فقد استطاع أنْ يجمع ما كان متفرقاً عند سابقيه من ملاحظات وخطوات نقدية لتكون أساساً موضوعياً في نقد الشعر وتقويمه..."[٣].

وتَمَيَّزَ كتاب (نقد الشعر) في الطريق الذي سلكه بتدوين البلاغة وما فيها من أساليب والنقد وموضوعاته، واختلاطهما بالعملية النقدية، ما لم نجده في المؤلفات السابقة،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٣٣/٣.

(٢) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، بدوي طبانه ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٣ ،١٩٦٩م : ٣٨٦.

(٣) النقد البلاغي عند العرب الى القرن السابع الهجري: ٣٧.

حيث جعله نقداً شاملاً، وأعانه على نقد الشعر وإعطائه صفة الإجادة أو الرداءة، لذا كان فكره ونقده موضوعياً، وخطا بالنقد نحو الأمام، وكان لهُ من البلاغة وأساليبها سبيلاً ومصدراً استعمله معياراً ومقياساً في نقده(١).

وفيما يَخْتَصُّ بـ(النقد البلاغي) واستشهاده بأحاديث النبي (ﷺ) وعلى قلتها في كتابه فأنَها تصب في مجال واحد وهو ما جاء بخصوص نعت الوزن (الترصيع) والذي قَصَدَ بالتلاؤم الصوتي "الترصيع، وهو أنَّ يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف" ويوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم(٢).

وقد ذهب فيه إلى أنْ يجعل من الكلام بعضه يشبه البعض الاخر للتلاؤم والتقارب ما بين الألفاظ ما يجعله أكثر أثراً في نفس المتلقي , إذ تأخذ الألفاظ بعضها برقاب البعض الآخر وكأنها عقد أو سلسلة متشابهة اللؤلؤ وخير ما يمثل ذلك كلام النبي (ﷺ): وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك، فمنه ما رُوِيَ عن النبي (ﷺ) من أنَّهُ عوَّذَ الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال: ((أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة))(٣).

"وإنَّما أراد ملمة، ولأتباع الكلمة أخواتها في الوزن، قال: لامة."(٤)

وكذلك ما جاء عن النبي (ﷺ)، أنه قال: ((خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة ' فقال: مأمورة من أجل مأبورة والقياس: مؤمرة)) (٥).

---

(١) ينظر: النقد البلاغي عند العرب الى القرن السابع الهجري: ٣٨.

(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان : ٨٠.

(٣) المصدر نفسه : ٨٥، متن الحديث «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.» سنن الترمذي:١٤٧/٤ ، حديث رقم ٢٠٦٠

(٤) نقد الشعر : ٨٥

(٥) المصدر نفسه : ٨٥، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣٨٤/٢.

وجاء في الحديث: ((يرجعن مأزورات غير مأجورات))[١].

وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنثور، فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن[٢].

ويتضح ممّا سبقَ أنَّ الملاءمة ما بين تلك الألفاظ لم يكن يجتلبها لأجل خلق التوازن فيما بين الكلمات لكي تحدث موسيقى ومنفعة جمالية، وإنَّما كانت تأتي عفواً فنجدها خالية من الاضطراب متممّة لمعنى سابق توضحه وتؤكده ونجدها تحتوي على أعمق المعاني وأجمل الأساليب حيث تفوقت بلاغته التي كانت ترجماناً وأقوالاً صادقة برز من خلالها أسرار أساليبه والخصائص الفريدة التي امتازت بها تراكيب أحاديثه.

بينما ابو هلال العسكري (٣٩٥هـ): فيعدُ كتابه من المحاولات الأولى التي قامت بجمع أعمال البلاغيين من قبله وقد استطاع أنْ يخرج هذا المؤلف بصيغة تجمع ما كان متفرقا لدى النقاد السابقين فيما يَخْتَصُّ بالبلاغة يجد الذي يتصفح هذا الكتاب يجد أثرهم واضحاً في وعي المؤلف وفي صفحات هذا الكتاب إلَّا أنَّ هذا الكتاب لم يكن يعني بالشعر فقط بل جمع ما بين الشعر والنثر في كتاب واحد[٣].

ويقول محمد زغلول "إنَّ أبا هلال العسكري وضع في كتابه هذا أساسًا قويًا للبلاغة في نهاية القرن الرابع الهجري..."[٤].

أمَّا استشهاده بالحديث النبوي الشريف في كونه شاهدا على النقد البلاغي وأول حديث نبوي ورد لديه تناول الكلام عن معنى الفصاحة والبلاغة وأهم الصفات التي يجب أنْ تتوفر به، إذ يقول "أنْ يسمّى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل

---

(٥) نقد الشعر: ٨٥، السلسلة الضعيفة:٦/٢٦٢ ، حديث رقم ٢٧٤٢.

(٦) نقد الشعر: ٨٥.

(٣) ينظر: الحياة الأدبية في العصر العباسي، محمد عبد المنعم خفاجة، رابطة الأدب الحديث القاهرة: ٣٧٦.

(٤) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية: ٣١٤.

اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فج، ولا متكلّف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف. وشهدت قوماً يذهبون إلى أنّ الكلام لا يسمّى فصيحاً حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة"[١].فيكون مثل قول النبي (ﷺ):((ألا إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)) [٢].

إذ أخذ الناقد من الحديث النبوي أنموذجاً على فخامة الكلام وشدة جزالته ، إذ انطلقت مادتها إلى العنان بنظرات نبوية صائبة ،إذ جاء بوصفه بأنَّ الدين قوي ومتين لا يمكنك فهمه إلَّا بالتأني بفهم أفكاره ومعتقداته التي أتى بها وشبهه بمتن الإنسان لقوته وشدته لا يفقهه ولا يعرفه إلَّا من كَدَّ فكره وعمقت بصيرته وقدره فوق قدره وأنزلوه فوق منزلته وعظموه وامتلأت صدورهم بفيض عطائه ولا يحمله هذه الصفات إلَّا من اعترف به والنظر إلى ما عند الله لا إلى منزلتك فيما بين الناس.

وقد وجدنا في الحديث النبوي الشريف مفهوماً شاملاً لجمال البلاغة ومقوماتها وكان خير دليل عليها حديث النبي (ﷺ) أمَّا أولى الموضوعات التي خَصَّ بها العسكري النقد البلاغي ,إذ جاء في أثناء شرحه لموضوع الإيجاز العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي استشهد فيها على تلك المسألة ومن أقواله التي مثلت الإيجاز بعض أحاديث النبي (ﷺ) يقول: ((نِيَّةُ المؤمنِ خيرٌ مِنْ عَمَلِه))[٣]، وقوله (ﷺ): ((الصِّحَّةُ والفراغُ نعمتانِ))[٤]، وغيرها[٥].

---

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ، تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٥١م : ١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٤، المجازات النبوية، الشريف الرضي، تصحيح: مهدي هوشمندار، دار الحديث: ١٦٧.

(٣) كتاب الصناعتين :١٧٨، السلسلة الضعيفة :٣٠٣/٦ ، حديث رقم ٢٧٨٩.

(٤) كتاب الصناعتين: ١٧٨، متن الحديث «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ.» صحيح البخاري :٨٨/٨ حديث رقم ٦٤١٢.

(٥) كتاب الصناعتين: ١٧٨.

حيث نجد في هذه الألفاظ القليلة، معاني كثيرة، تحمل في طياتها وشرحها العديد من التفسيرات، وإذا أردنا أنْ نستدل على صحة تلك الألفاظ بكثرة معانيها فعلينا تحليل تلك الأحاديث النبوية لنجد أنَّها كثيرة المعاني وتحمل شروح كثيرة[١].

أمَّا في بيان المساواة فقد جاء بأحاديث نبوية كثيرة يقصد بها "أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب؛ وإليه أشار القائل بقوله: كأنّ ألفاظه قوالب لمعانيه؛ أي لا يزيد بعضها على بعض"[٢]. وكان شاهده قول النبي (ﷺ): ((إياك والمشارّة فإنَها تميت الغرّة وتحيى العرّة))[٣].

ويبين معنى الحديث النبوي "أنَّ مشارة الناس تظهر المعايب وتخفى المناقب ؛لأنَّ المهاتر المشاغب لا يقدر لمخاصمة على مثلبة إلَّا بحثها، ولا يجد له منقبة إلَّا دفنها، فكأنه يميت محاسنه ويحيى مساويه، وجعل (ﷺ) الغرة في مكان المنقبة لتجمل الانسان بنشرها، وجعل العرة في مكان المثلبة لتهجن الإنسان بكشفها"[٤]، لذا نجد مساواة فيما بين طرفي الحديث وقد كانت كلماتها (ألفاظها) دالة على مقدار معانيها.

ونجد ايضاً استشهاده في باب السجع قد اتفق مع قدامة ابن جعفر[٥] في إيراده للأمثلة على الرغم من اختلاف المسميات والحدود فجاء عند قدامة (الترصيع) والذي قصد به أنْ يكون حشو البيت متجانسا.

ويورد أبي هلال العسكري الاستعارة قائلاً " ومما في كلام النبي (ﷺ) والصحابة رضي الله عنهم ، ونثر الاعراب ، وفصول الكلام من الاستعارة " [٦] إذ نجد أنَّهُ قد سرد

(١) ينظر: كتاب الصناعتين: ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٩، المجازات النبوية: ١٧٦.
(٤) كتاب الصناعتين : ١٧٦.
(٥) نقد الشعر:٨٠
(٦) كتاب الصناعتين : ٢٧٧

سرد العديد منها وقد اتفق مع ابن المعتز في بعضها فجاء عند ايراده بيتاً شعرياً يبين فيه ما ورد من استعارة وكان دليله قول النبي (ﷺ).

وللخيلِ أيامٌ فمـــن يصطبــر لها وَيعْـرِفْ لها أيَّامَهَا الخِيْرَ تُعْقِبِ[1]

وللدلالة على المجاز الوارد في هذا البيت أورد حديثاً للنبي (ﷺ) :((الخيلُ معقــودٌ فـــي نواصيها الخيرُ إلـــى يومِ القيامـــةِ))[2]

وهذا مجاز لأنَّ الخير في الحقيقة لم يعقد في نواصي الخيل، بل أراد إيصال أنَّ الخيلَ هي من تَصَلُ به لنيل مراده، إذ إنَّ الخيل هي الوسيلة التي يستخدمونها في مساعيهم وحروبهم وأسفارهم.

مثال آخر جاء ذكر هادم اللذات استعارة للموت ((أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ))[3]. يعني: الموتَ.

وقد استشهد بهذه الاستعارة "العلوي"[4]، و"الشريف الرضي فيقف عنده ليبين ما جاء جاء به من قيمة فنية، فالمقصود به أنَّ "ملذات عند الموت تتلاشى وتبطل وتهدم وتتحلل، إذ يفسد البناء بهدمه، وينقض بفعله". الإعفاء من رسمه، والهدم في الأصل إبطال للشيء، إذا قالوا: فلان هدم المبنى، فإنهم يريدون منه فقط إزالته وإبطاله"[5].

نلاحظ أيضاً ما أكده أبو هلال العسكري على ضرورة مراعاة ما يبتدئ به الشاعر أو الناثر لكون الافتتاح (حسن الابتداء) هو أول ما يعلق بالنفس ويعول عليه تقبل العمل الأدبي من عدمه ونجد أبا هلال العسكري لم يغفل ذلك فقد كان وبلاغته في الاستدلال

---

(١) كتاب الصناعتين : ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٧، صحيح الترغيب والترهيب :٨٢/٢ ، حديث رقم ١٢٤٦.

(٣) كتاب الصناعتين : سنن الترمذي:١٤١/٤ ، حديث رقم ٢٣٠٧.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ: ١١٢/١.

(٥) المجازات النبوية: ٤٠٣.

على تلك المسألة واضحا ، إذ يقول "وإذا كان الابتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيئ من الكلام؛ ولهذا المعنى يقول الله عز وجل: آلم. وحم. وطس. وطسم. وكهيعص؛ فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه. ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله؛ لأنَّ النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع"(١)، حيث جاء عن النبي: ((كلُّ كلامٍ لا يُبدَأُ فيهِ بـ"الْحَمْدُ للهِ"؛ فهوَ أبتر))(٢).

أذ نجد العسكري لم يأتِ بالحديث النبوي شاهداً على حسن الابتداء فحسب وأنما هو شاهد على ضرورة تنظيم النثر تحديداً لاسيما الخطب ،فأشترط لازمة الحمد لهُ ؛ لإنها من قبيل التأدب والشكر .

أمَّا عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) وكتابه (دلائل الاعجاز) أثر لأحاديث نبويةٌ بين بها بلاغة النبي (ﷺ) ، إذ يقول: "كلّ كلام كان ضرب مثل، لا يخفى على من له أدنى تمييز أنَّ الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلّة على الأغراض والمقاصد. ولو كان الذي يكون غرض المتكلم يعلم من اللفظ، ما كان لقولهم: «ضرب كذا مثلا لكذا»، معنى، فما اللفظ «يضرب مثلا» ولكن المعنى. فإذا قلنا في قول النبي (ﷺ): ((إيّاكم و خضراء الدّمن))(٣).

إذ يجد عبد القاهر الجرجاني أنَّ النبي (ﷺ) ضرب" خضراء الدّمن- مثلا للمرأة الحسناء في منبت السّوء، لم يكن المعنى أنَّهُ (ﷺ) ضرب لفظ «خضراء

(١) كتاب الصناعتين: ٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣٧، متن الحديث « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي: ٦١٧ حديث رقم ٤٢٤٥.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٤١، السلسلة الضعيفة :٦٩/١، حديث رقم ١٤.

الدّمن» مثلا لها. هذا ما لا يظنّه من به مسّ، فضلا عن العاقل. فقد زال الشكّ وارتفع في أنّ طريق العلم بما يراد إثباته والخبر به في هذه الأجناس الثلاثة، التي هي «الكناية» و«الاستعارة» و«التمثيل» المعقول دون اللّفظ من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللّفظ، ولكنه معنى يستدلّ بمعنى اللفظ عليه"(١).

إذ كان للسياق أثرٌ فاعلٌ في إيصال المعنى عبر الحديث النبوي والتي تستنتجها من خلال السياق الكلي للحديث النبوي(٢).

أمَّا كتابه (أسرار البلاغة) نجد أنَّ الجرجاني قد نمى فكره وتطورت أداوته ونقله من طور إلى آخر أكثر دقة واستيعاباً وتصويراً لمجمل تلك القضايا البلاغية، ومنها ماصرح به شوقي ضيف بأنَّهُ "صُنف هذا الكتاب بعد الدلائل لما يجري في كلامه من دقة واستيعاب وضبط وأحكام، ولما ينشر فيه من آراء نفسية، لا عهد لنا بها في الدلائل، وكأنما تكاملت لهُ أداته. في تصوير دقائق التراكيب البلاغية وأثرها في النفوس"(٣).

والمتصفح لكتابه يلاحظ أنَّهُ احتوى الكثير من الأحاديث النبوية التي وردت في تضاعيف الكتاب، إذ يقوم بشرح وإيضاح تلك الشواهد والتعليق عليها ووصف ما فيها من سجع أو تشبيه أو تمثيل وغيرها من الأساليب البلاغية، مستنداً بأثر الأحاديث النبوية في النقد .

استناداً لما سبق نجده يبدأ الكتاب بالإبانة عن الجناس والسجع ويؤكد أنَّ الجمال في تلك الأساليب لا يرجع إلى تناغم تلك الحروف أو التراكيب اللغوية

---

(١) دلائل الإعجاز: ٤٤١.

(٢) ينظر: النقد التطبيقي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير)، سامي العتلي، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩م: ١٥٨.

(٣) البلاغة تاريخ وتطور: ١٩٠-١٩١.

الموجودة فيها، بل يرجعها إلى القضايا الروحية والمعنوية التي يرضى بها المنطق والعقل، ومدى هذه القناعة يكمن جمال تلك الجناسات والأسجاع[١].

ومنها أثر الحديث النبوي الذي ورد في بيان السجع كما جاء في قول النبي (ﷺ): ((يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ))[٢].

نجد أنَّ أثر الحديث الشريف واضحٌ عبر بيان السجع الذي تناسبت الفواصل فيه تناسباً خلق موسيقى أثرت معنوياً في شد انتباه ذهن القارئ على تتبع ما يأتي بعد كل كلمة ينطقها من خلال جرس الكلمات وتأثيرها معنوياً فيه كما في (السلام، الطعام، أرحام) وأيضاً (اطعموا، صلوا، تدخلوا) ولا ننسى أنه لم يأتِ بأي كلمة من تلك الكلمات من أجل خلق ذلك السجع وإنَّما أتت كلها في سبيل إتمام المعنى[٣].

وجاء أيضاً في التشبيه ما استشهد به الجرجاني من حديث عن النبي (ﷺ) يبين من خلال التشبيه الذي لا ندركه إلَّا من خلال وجه الشبه وإنَّما هو تشبيه عقلي ندركه من خلال سياق الكلام، إذ جاء في الحديث: ((النَّاسُ كإِبِلِ المِائَةِ))[٤].

إذ " لا بد فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو "الإبل". فإذا قلت: ((الناس لا تجد فيهم راحلة)) أو ((لا تجد في الناس راحلة)) كان يبدو غير منطقي" [٥].

---

(١) ينظر: البلاغة تاريخ وتطور: ١٩١.

(٢) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة: ١٣، سنن ابن ماجه:٤٢٣/١ ، حديث رقم ١٣٣٤.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٠.

(٤) المصدر نفسه : ١١٣، متن الحديث : ((إنَّما النَّاسُ كالإِبِلِ المِائَةِ، لا تَكادُ تَجِدُ فيها راحِلَةً)) صحيح البخاري: ١٠٤/٨ ، حديث رقم ٦٤٩٨.

(٥) أسرار البلاغة: ٨٤.

وغيرها الكثير من الاحاديث النبوية المختلفة التي وردت في بيان القضايا البلاغية[١].

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ كتاب أسرار البلاغة قد احتوى كثياً من الأحاديث النبوية ولكن ذكرت منها ما اختلف ومالم يورد عند باقي النقاد كونهم قد استشهدوا بالأحاديث ذاتها فيما يتعلق بالنقد البلاغي.

وللحديث النبوي حضور في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) لاسيما ما أتصل بالنقد البلاغي الذي أولاه عنايه خاصة وكان بالمرتبة الثانية شاهداً له على القضايا البلاغية والقضايا النقدية من بعد القرآن الكريم من حيث الأهمية وقد استشهد في بادئ الأمر بقضية الإيجاز وأغلب القضايا البلاغية ، نجد فيها اتفاقه مع النقاد السابقين كالجاحظ وابن المعتز ،والذين جاؤوا بعدهم ونرى تشابه الأحاديث والمواضع المستشهد بها لذا سنلقي لمحة بسيطة عن شواهد القضايا البلاغية.

ففي الإيجاز فيما يظن القارئ أنَّهُ من الحذف لكن عند إنعام النظر نجد وروده هنا اضطراريا "ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم، ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز؟ وقد فقال: " أعطيت جوامع الكلم " فأما قوله عليه الصلاة والسلام: " كفى بالسيف شا " يريد " شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب: أحدهم عبد الكريم، والذي أرى أن هذا ليس مما ذكروا في شيء؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكماً، ودليل ذلك أنه قال: " لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران " [٢].إذ كان للحديث النبوي الأثر الواضح في الاستدلال على الايجاز والقطع لتمام أيصال المعنى.

---

(١) ينظر: إسرار البلاغة :٢٠-٢٧٧.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٥٣/١، سنن ابن ماجة:٨٦٨/٢ ، حديث رقم ٢٦٠٦.

وورد أيضاً في باب الكناية استشهاده بما أثر عن النبي (ﷺ) فأورد قوله: ((إيّاكَ والقَوَارِير))[1].

حيث نستدل هنا على بلاغة وفصاحة النبي (ﷺ) في اختياره الألفاظ والمعاني التي يريد إيصالها إلى السامع حيث كنى عن النساء هنا بالقوارير لرقتها وضعفها وحَثَّ على الحفاظ عليها وكأنها زجاجة رقيقة.

وفي باب الاستعارة أيضاً استشهد بما ورد عن النبي (ﷺ): ((الدُّنيا حُلوةٌ خضِرةٌ))[2].

نجد في الحديث الشريف أنَّ النبي (ﷺ) بدأه بأسلوب خبري يخبرنا بها عن حال الدنيا ونراه شبهها بالخضرة في جمالها وبهائها فنجد جمال الاستعارة يعكس نظرة الإنسان تجاه الدنيا والنبي (ﷺ) أيضا يلفت الأنظار إلى حقيقة الدنيا وكيف يغتر بها الإنسان ونجد معنى آخر أنَّها سريعة الزوال والانقضاء كحال الخضرة في زوالها وتيبسها ووقوعها وتحول ألوانها وأحوالها لذا نجد كيف استعار فيها بالخضرة في الزوال وأنَّها مهما طابت وتزينت ففي النهاية تزول وتذهب بهجتها ولا يبقى منها شيء يعلق في النفس أو يجذب النظر إليها.

إذ وجد الأدباء والنقاد في الحديث النبوي نهراً عذباً وأخذوا منه المعاني القيمة السامية والصور المؤثرة الرائعة والكلمات الموحية، فتزين بها أدبهم وأقوالهم من عذب وشريف معانيه. ونعلم أنَّ الحديث النبوي الشريف يأتي بعد كلام الله تعالى من حيث جمال أسلوبه ودقة مفرداته وجمال تصويره تحسس مواطن الجمال والجودة والإحساس

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢٦٨/١، السلسلة الضعيفة: ١٤٩/١٣ ، حديث رقم ٦٠٥٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢٧٥/١، متن الحديث « إن الدنيا حلوة خضرة. وإن الله مستخلفكم فيها. فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » صحيح مسلم:٢٠٨٩/٤ ، حديث رقم ٢٧٤٢.

بما في الأحاديث النبوية من البلاغة والفصاحة والبيان مالم تعطَ لغيره من العرب. وفي النهاية نجد أنَّ الحديث النبوي في كونه شاهداً بلاغياً قد عجت فيه كتب النقد الأدبي نظراً للميزات التي احتوتها تلك الأحاديث من بلاغة الإيجاز وضروب التشبيه والاستعارة والموسيقى العذبة فضلاً عما احتوته الأحاديث النبوية في جناس وطباق وغيرها من الأساليب البلاغية والتي كان الحديث النبوي أسمى شاهداً لها.

وأنَّ سبب كثرة الشواهد البلاغية جاءت نتيجة لما امتلكه النبي (ﷺ) من فصاحة وبلاغة أذهل بها العقول وحَيَّرَ الأسماع كاشفاً عن قيمة تلك البلاغة التي انماز بها الحديث النبوي وشاهدهم القوي المتين في البلاغة وكانت أحاديث النبي (ﷺ) خاتماً إيَّاها بما امتازت به تراكيب الأحاديث النبوية من ألفاظ عذبة تنساب إلى النفس انسياباً بلا تكلف أو جهد تعلق في العقول أمداً طويلاً ولموسيقى حروفه وانسجامها تلاؤم عظيم.

المبحث الثالث

النقد الأدبي

في هذا المبحث سنتطرق إلى أحاديث النبي (ﷺ) أثرها في النقد الأدبي والتي أصبحت دليلًا على تأكيد قضية نقدية من خلال النقد المباشر الموجه من الرسول (ﷺ) نحو الشعر فضلاً عن آراء النقاد الذين استخدموا الحديث النبوي شاهداً لتلك القضايا النقدية ودليلاً لتأكيد مسألة أو قضية ما وقد حوت كتب التراث النقدي العديد من الشواهد وتنوعت هذه الشواهد ما بين شواهد قرآنية أو شواهد الحديث النبوي وهي متمثلة في أقوال الرسول (ﷺ) أو الشواهد الشعرية ونرى كيف أثرت شواهد الحديث النبوي في وعي النقاد، إذ إنَّ قيمتها وأهميتها الشرعية تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم وبالمرتبة الثالثة من حيث كمية الاستشهاد بها، وفي هذه الحقبة تغيرت عقلية الأمة وتفكيرها ونقلت تفكيرهم من طور التقاليد التي كانت في الجاهلية إلى معتقدات وأصول وعقائد وجهت النظر نحو ما يخدمها، وأنَّ هذا التطور الكبير أحدث تغييراً في وعي الأمة العربية الإسلامية، إذ إنَّهم أصحاب فصاحة وبيان ولكن عند مجيء الإسلام وجه هذه الطاقات نحو مصالحها بلغتها الصحيحة وأنَّ في المجتمع من عادات وتقاليد أو أساليب يستخدمونها في التعبير عن أفكارهم إنَّما هو انعكاس لحالتها وبالتالي يكون مرآة صادقة تعكس رقي وثقافة المجتمع وإذا أردنا أنْ نبين النقد الموجه من الرسول (ﷺ) نجد أنَّ هذا النقد توجيهي وإرشادي أكثر ما هو نقد أدبي.

إذا أردنا أنْ نقف عند النقد الأدبي نجد أنَّ المسائل النقدية التي كان الحديث النبوي شاهداً عليها جاءت في الحكم على ذلك الشعر بالقبح أو الجمال ومجاراته الدين والأخلاق والقيم أو العكس من ذلك ومثلما سنتطرق إلى موقفه من الشعر بصورة عامة في قضية الشعر إلى المواقف التي كان النقد صادراً من النبي (ﷺ) أو في استعمال النقاد لأحاديثه في

إبراز القضايا وتوجيه الشعراء لتعديل لفظة ما أو في توجيهه للشعراء للصواب واستخدام الألفاظ والمعاني بصورة صحيحة أو رفضه لشعر ما أو إشادته بشعر شاعر أو في حثه على قضية يجب الابتعاد عنها أو الالتزام بها لكي يصل إلى مرتبة الإبداع الفني في النقد الأدبي، إذ إنَّ النقد سينطلق من منظور إسلامي ونظرة نبوية صادرة عن أشرف الخلق ,إذ إنَّ النقد الأدبي ينظر في النصوص الأدبية شعراً كانت أم نثراً ثم يوضح مواطن الجمال أو القبح وفي بعض الأحيان معلل سبب حكمه ويقوي حجته بأنْ يستخدم شاهداً يبين صحة ما جاء به وكان حظ الحديث النبوي شاهدا حاضراً في إطار النقد الأدبي لكونه أقوى حجة بعد القرآن ويثير في نفوسنا شعوراً بأنَّ ما يقوله الناقد وجه الصواب ، وهذا أقصى ما يريده النقد الأدبي، كونه اتخذ منه علماً ويقيناً نافعاً في استخدامهم إيَّاه. وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر في تحليل قضايا النقد الأدبي إلَّا أنَّهُ يتيح للباحث الفرصة في الغوص في أعماق تلك المعاني وتفسير تلك الوقفات التي جاء بها النبي (ﷺ) إذ إنَّ النقد قد استند إلى معايير وأسس فنية جاء بها الإسلام لاسيما أنَّ لكل أمة أسساً وقيماً تعتمد عليها في نقدها ولما كان الشعر في تلك الأمة شيئاً أساسياً فلابدَّ لهُ من أساس يحكمه وأنَّ هذا الأساس هو الدين والقيم والأعراف التي جاء بها القرآن والسنة المتمثلة بأقوال النبي (ﷺ).

أمَّا معنى أنْ يكون الحديث النبوي شاهداً في النقد الأدبي المقصود به هي تلك الأحاديث التي وردت عن النبي (ﷺ) في تفسيره معنى من المعاني التي وردت في أشعار الشعراء أو للتمثيل بصحة ما جاء به الشاعر أو الاستشهاد لتقوية قضية من القضايا والتأكيد عليها وتختلف المواضع التي ورد فيها الحديث النبوي شاهداً من ناقد إلى آخر حسب طبيعة الموقف والمسألة ونجد أيضاً أنَّ أغلب النقاد قد اتفقوا على بعض الوقفات النقدية الصادرة عن النبي (ﷺ) لما لهُ من الأهمية والعناية لديهم[1].

(١) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري الناشر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١هـ: ٨٦.

وصرَّحَ الدكتور علي عبد الحسين حداد "أنَّ التصادم الثقافي بين العقيدة الجديدة والقديمة البالية قد حَفَزَ العقلية العربية أنْ تترك أسلوب التلقين الفكري الذي يمارسه الكهنة أو النظرة الضيقة الساذجة لحقيقة الاعتقاد الغيبي وأنَ تمارس مجبرة لحراجة الظرف الذي تمر به نشاطا نقدياً شاملاً يستقصي المنظومة القيمية التي اشتملها الطرح الجديد في تفحص تكوينه الاجتماعي والنفسي بإجرائه النقدي يكاد يشابه مجريات النقد الثقافي وعلى الرغم من بساطة نظرته النقدية وحساسية المعتقد الديني فتستقصي مدى صحة الأفكار المطروحة في معالجة قضايا المجتمع"(١).

فالقارئ لاحاديث الرسول (ﷺ) عن الشعر بمختلف المواقف نجدها موجهة للشعر وغايته، ونقد الرسول (ﷺ) للشعر أو حكمه عليه بالجمال أو القبح، وحثه على فعل ذلك أو منعه، فكان بمثابة توجيه وإرشاد وتهذيب (٢).

وإذا أردنا الوقوف على سمات النقد الأدبي في أحاديث النبي (ﷺ) وجب علينا أنْ نخرج بأمثلة من الأحكام في ذلك الوقت. والمتعارف عليه إنَّ النبي (ﷺ) كان يعجب بالشعر متى ما كان ذلك الشعر يسمو بالنفس الإنسانية ويبعدها عن ملذات الحياة من الخمر والمجون التي كانت عليها في عهد الجاهلية(٣).

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الحياة الأدبية المتمثلة بديوان العرب ألا وهو الشعر، كانت في مجملها حياة ضيقة، وغالبًا ما يتم تمثيلها في شعر المفاخرة، والهجاء أو الثناء. وبما أنَّ النقد يتبع الأدب ويسيران في اتجاه واحد هذا يعني أنَّ الحدود كانت ضيقة النطاق لكون النبي (ﷺ) لم يأتِ لنقد ذلك الشعر وأنَّما كانت رسالته سماوية، والحركة النقدية وارتباطها بالأحاديث النبوية، قد يتأثر فيه بالمثل الجديدة التي أتى بها الإسلام.

---

(١) النقد العروضي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. علي عبد الحسين حداد، ضفاف للطباعة والنشر، قطر، ٢٠١٣م: ٨١.

(٢) ينظر: موسوعة تاريخ الادب والنقد والحكمة العربية في صدر الإسلام، حسين علي هنداوي: مج ٢ ـ ٢٣٢.

(٣) ينظر: اشكال الخطاب النقدي في صدر الإسلام، حسين علي هنداوي: ٢٠.

وانْ كانت في مجملها قليلة لكنها كانت في أعلى مراتب النقد التي سندرسها في الكتب الأدبية والنقدية مبيناً وجهة نظر النبي (ﷺ) أو ما استشهد به المؤلفون لتلك الكتب بالحديث النبوي فيما يخص نقد مسألة أدبية هنا أو هناك(١).

لا بدَّ من معرفة أنَّ النقد الذي صدر عن الرسول (ﷺ) كان في الغالب نقد يتصل بالمضمون أكثر مما يتصل بالشكل، إذ إنَّ النقد موجهاً للمعاني ونكتشف ذلك عبر بعض التعديلات التي يجريها النبي (ﷺ) على شعر الشعراء من حوله والتي تتم هذه المواقف النقدية عن وجهة نظر إيمانية ميزانها القرآن والإسلام(٢).

ونجد في كتاب الأغاني أنَّ الرسول (ﷺ) سمع كعب بن مالك يقول:

مَجالِدنا عن جِذْمِنا كــل فخمــةٍ مذرّبةٍ فيها القــوانسُ تلَمــــعُ(٣)

فقال له الرسول (ﷺ): "أيصح أنْ تقول: مَجالِدنا عن ديننا كل فخمة قال: نعم، فقال له: "فهو أحسن". [والجذم هو الأصل](٤). إذ نجد النقد هنا جاء لمناسبة اللفظ للمعنى ،فضلاً مستوى الفصاحة وهو وقع اللفظة .

وهذا تقويم ونقد يبينه الرسول (ﷺ) تجاه الشعر والشعراء، إذ إنَّ ما جاء في كلام النبي (ﷺ) وتنبيه الشاعر على استبدال مفردة (جذمنا) يحث على أنْ يكون الشاعر مستوعباً لمعاني الإسلام وأنْ يضمن في شعره بعض المعاني الإنسانية والإسلامية التي جاء بها ويؤكد على ضرورة تهذيب ألفاظه والبعد عن المعاني الجاهلية القديمة(٥).

---

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٧-٤٨.

(٢) ينظر: التفكير النقدي عند العرب: ٥٠.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق وشرح: مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ٥٨.

(٤) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢: ٢٤٧/١٦.

(٥) ينظر: نقد النص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي، فضل ناصر العلوي (أطروحة دكتوراه)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ١٣٩.

ونجد أنْ جيد الشعر في نظر النبي (ﷺ) هو ما قام بتصوير الحقائق التي تبناها الإسلام وانبرى لها المسلمون وعبر عن عقائدهم ومعتقداتهم[١].

نجد الرسول (ﷺ) هنا قد وَجَّهَ النقد بما يتصالح مع الروح الإسلامية وذلك من خلال حثه على تبديل الجذم المقصود بهم الأهل والنسب وجعل الدفاع عن الدين حصراً ينصب في خدمة الإسلام لكون الإسلام قد جاء بقيم إنسانية وعقلية وكذلك روحية لا بدَّ من الانبراء لها.

ومن قضايا النقد الأدبي التي جاء الحديث النبوي شاهداً نقدياً لها ما وجدناه عند ابن سلام الجمحي (٢٣١هـ) والذي يُعَدُّ في طليعة النقاد الذين اهتموا بالشعراء وأشعارهم؛ وأول من قام بجمع مواضيع النقد الأدبي بفكر ووعي وخُصَصَ لهُ كتاباً مستقلاً بعد أنْ كان جُملاً وعبارات متناثرة في باقي الكتب وكتابه يمتاز بقيامه على منهج مستقل ومنفرد في دراسة الشعراء و طبقاتهم وأشعارهم، لذا كان لكتابه أثر كبير وواضح في النقد[٢].

وخير نَقْدٍ ما صدر عن النبي (ﷺ) حين قال لكعب بن مالك يشيد بشعره حيث وصفه بأنَّهُ جيد شعره ولن ينساه الله؛ لأنَّ ما تفوه به كان في قمة وأعالي أشعاره التي قالها في الإسلام.

إذ قَالَ النَّبِيَّ (ﷺ) لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ:

"يَا كَعْبُ مَا نَسِيَ رَبُّكَ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بَيْتًا قُلْتَهُ"[٣].

(١) ينظر: التفكير النقدي عند العرب: ٥١-٥٢.

(٢) ينظر: تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري: ٨٥-٨٦.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ٢٢٢/١، التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١: ١٢٠، سورة مريم : آية ٦٤

قَالَ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْشِدْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ» فَأَنْشَدَهُ أَبُو بَكْرٍ:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَّابِ(١)

حيث نستدل من أثر الحديث النبوي الشريف في بيان قوة الشعر في نفس المتلقي بما حمله من ألفاظ ومعانٍ دقيقة صور مشهداً إسلامي المضمون في استغلاله ما وهبه الله من موهبة في استمالة المتلقي ولاسيما أذا كان الشعر من أجل إعلاء كلمة الله والذود عن المسلمين فإنَّ الله لا ينسى فعلاً أو قولاً صدر من العبد تجاهه.

أمَّا الجاحظ (٢٥٥هـ) فنجد لديه موروثاً أدبياً وقد تنوعت مؤلفاته ما بين الكتب والرسائل وكانت مليئة بالأخباروالمرويات ومنها كتابه (البيان والتبيين) فقد حوى ضروباً من النقد مستشهداً باحاديثٌ نبوية فيها ,

والجاحظ من خلال كتابه يعبر عن مستوى فني متميز فقد احتوى الكتاب على النصوص والأخبار ذات الذوق الرفيع وعرض فيه بعض آرائه النقدية للخطباء والشعراء من الذين عرفوا بالفصاحة والبلاغة والبيان وقد كان نصيب الحديث النبوي كبيراً، إذ اتخذ منه شاهداً بوصفه معياراً نقديا وكلاماً لا غبار عليه ونابعاً من أصل الذات العربية.

ومن القضايا التي كان الحديث النبوي شاهداً في هذا الكتاب حين تحدث عن شروط النص الجيد الذي يكون في اختيار الألفاظ الجيدة، إذ إنَّ هذه الألفاظ تترك أثراً كبيراً كلما كانت نابعة عن طبع وسليقة بعيدا عن الأهواء والتكلف والتقعر وقد وصف الأديب بأنَّهُ يلم بجواهر الشعر ويعرف مواطن الحسن عندما يبني نصه على "الألفاظ العذبة والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد"(٢)، إذ شكلت قضية الطبع والتكلف بما يتعلق بالطبيعة والتأثير، وعدت من بين الظواهر التي

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري: ٢٨.

(٢) ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ابتسام مرهون الصفار، ناصر الحلاوي، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م: ١٠١-١٠٢، البيان والتبيين: ٢٤/٤.

وجدت صداها في الإسلام، وذلك ؛ لأنَّ البساطة وعدم إيثار التكلف من مميزات كلام النبي (ﷺ) الذي كان قدوة حسنة للمسلمين لذا أصبحت مقياساً نقدياً دقيقاً كان حصيلة التغيرات التي جاء بها الإسلام نتيجة ثقافتها الجديدة التي أحدثها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد وردت أحاديث عديدة عن النبي (ﷺ) نهى فيها عن التكلف والغلو والمبالغة[١].

وفي هذا الخصوص ورد عن النبي (ﷺ) أحاديث كثيرة يشجع فيها على اكتناز الطبع في القول وفند التكلف والمبالغة، إذ يقول: ((إياكم والتشادق))[٢]، وقال: ((إنَّ اللهَ عز وجل يُبْغِضُ البَلِيغَ من الرجالِ، الذي يَتَخَلَّلُ بلسانِهِ، تَخَلُّلَ الباقِرةِ بِلِسانِها))[٣].

وقال أيضاً في هذا الصدد "فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي. فالحصر المتكلف والعيي المتزيد، ألوم من البليغ المتكلف لأكثر مما عنده. وهو أعذر؛ لأنَّ الشبهة الداخلة عليه أقوى. فَمَنْ أسوأ حالا –أبقاك الله– ممن يكون ألوم من المتشدقين، ومن الثرثارين المتفيهقين، وممن ذكره النبي (ﷺ) نصا، وجعل النهي عن مذهبه مفسرا، وذكر مقته له وبغضه إيَّاه"[٤].إذ أكد على ضرورة الابتعاد عن التكلف والسجع والتزام مبدأ السلامة في التعبير والسلاسة في القول .

لذا نجد في الأحاديث التي وردت عن النبي (ﷺ) وكانت شاهداً لدى الجاحظ عندما نهي عن التكلف والبعد عنه والجري على الطبع حيث أشار إليه في أكثر من موضع في اثناء عرضه لكثير من كلام الرواة والأدباء ونهى أيضاً عن عدم استعمال الألفاظ الغريبة وعاب التشدق وهذه المسألة في غاية الأهمية ؛ لأننا عندما ننظر للعمل الأدبي في وهلته الأولى

(١) ينظر: في النقد الأدبي القديم عند العرب : ٧٤.

(٢) البيان والتبيين: ١٣/١، غريب الحديث ، أبن قتيبة ،تحقيق ، دكتور عبدالله الجبوري ،ط١ ،١٤٠٨هـ :٢٠٩/١

(٣) البيان والتبيين: ٢٢٦/١، سنن الترمذي:٥٣٣/٤ ، حديث رقم ٢٨٥٣.

(٤) البيان والتبيين: ١٣/١-١٤.

ننظر إلى الألفاظ حيث اشترط فيها أنْ تكون تلك العبارات سليمة واضحة معروفة لدى السامع مقرة في النفوس ليست متكلفة تجهد العقل والفكر وتذهب بالذهن إلى مواطن بعيدة(١).

ونلاحظ قضية نقد المعنى تركت أثراً واضحاً في التراث النقدي عند العرب ,إذ تمثل أهم مقومات العمل الأدبي ؛لأنَّ الألفاظ لم تكن ذات قيمة إلَّا حين تتحدد مدلولاتها ومعانيها ولأهميتها تحدث الجاحظ عنها قائلاً "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك، فإنَّما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير"(٢)، حيث نجد في نَصَّ الجاحظ يبين أنَّ تلك المعاني متاحة للجميع ولكن أثرها يترتب من خلال الألفاظ التي تكسوها واشترط في الألفاظ سلامتها وخلوها من التنافر أو الغرابة والتي من خلالها يتم ما اراد ايصاله من المعنى(٣).

وفي هذا الخصوص نجد موقفاً آخر أُثِرَ عن النبي (ﷺ) وأشاد بشعر قتيلة بنت الحارث(٤)، الذي قالته في حضرة النبي (ﷺ) عندما كان يطوف بالكعبة فاستوقفته قائلة:

يا راكبـــاً إنّ الأُثَيْـلَ مِظَنَّـــــةٌ مِـــن صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوفَّـقُ

أبلِغْ بـها مَيْتاً بأنّ قصيّـــــدةٌ ما إن تزالُ بها الركائـــبُ تخْفُـقُ

فليسمَعَنَّ النضرُ إن ناديتُـه إن كان يسمـــــعُ هالكٌ لا يَنطِقُ

---

(١) ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: ١١٣.

(٢) الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ: ٦٧/٣.

(٣) ينظر: النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، عبد الرسول الغفاري، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م: ١١٢، ردود التستري على ابن حديد في شرح نهج البلاغة –دراسة نقدية: ٨٠.

(٤) قُتيلة (بضم القاف) بنت الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار العبدرية القرشية، ويُقال الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف أسلمت وتوفيت في خلافة عمربن الخطاب هي أخت النضر بن الحارث وقيل بنته. انظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد جمال الدين (ت٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م: ٤٢/٢.

ظَلّتْ سيــوفُ بني أبيهِ تنوشُــه ... للهِ أرحـــــــامٌ هناكَ تُشَقَّـــقُ

قسراً يُقادُ إلى المنيّـــة متُعَبــاً ... رَسْفَ المقيَّـــدِ وهو عانٍ مُوثَقُ

أمُحمــدُ ها أنتَ ظنَّ نَجِيبـــةٍ ... فـــي قومها والفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ

ما كان ضرّكَ لـــو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتـــى وهو المَغيظُ المُحْنَقُ

فالنضرُ أقربُ مَـــنْ تركت قرابةً ... وأحقُّهـــم إن كان عِتقٌ يُعْتَقُ[1]

وعندما سمع الرسول (ﷺ)، فقال: ((لو سمعت شعرها هذا ما قتلته))[2].

إذ تأثر النبي (ﷺ) بشعر ابنة المقتول لدرجة أنَّهُ لو سمعه قبل مقتل والدها لغفر لهُ، وهذا يعني أنَّهُ مقتنع بأنَّ كل ما جاء في شعرها من ألفاظ ومعانٍ يتفق مع الحق نابعاً من إحساس صادق بالحزن على أبيها ، إذ إنَّ بلوغ الجمال الفني في النص لا يقتصر على وظيفته فحسب ، وإنما تحقق مع وظيفته الاجتماعية قياساً باستجابة المتلقي وولوجه لاشباع مقاصد المعنى فضلاً عن استكشاف الأثر النفسي لدى الشاعر، وقد كان النبي (ﷺ) دقيقاً في اختيار قوله: "لمننت عليه" مثلا عندما قال:لم آمر بقتله؛ لأنَّ العبارة الأولى تدلُّ على أنَّ القتل كان على حق. ويمكن أنْ يكون عفواً وصفحاً من رسول الله تجاهه[3]، لذا نجد أهمية اختيار الألفاظ المناسبة للموقف وتحري الدقة في اختيارها فمثلما تأثر بشعرها لما حوى من ألفاظ صادقة معبرة عن الموقف نجده ايضاً اختار ألفاظه بدقة وعناية عندما قال لمننت عليه.

وفي موضع آخر نجد حضوراً مميزا للحديث النبوي ،إذ اشتمل النقد معه على بعد معنوي وأخلاقي " فقد قيل للذي قال: يا رسول الله، أرأيت من لا شرب ولا أكل، ولا صاح واستهلّ، أليس مثل ذلك يطلّ" فقال النبي (ﷺ): ((أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الجاْهليةُ))[4].

---

(١) البيان والتبيين: ٤٤/٤.

(٢) السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م: ٤٧٤/٢.

(٣) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٥١.

(٤) البيان والتبيين: ٢٣٩/١-٢٤٠، متن الحديث « أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ » صحيح مسلم:١٣١٠/٣، حديث رقم ١٦٨٢.

حيث نجد هنا نقد الشكل الأدبي ورفض نوع أدبي لا يمج من جهة معانيه وإنما من جهة وظائفه أيضاً ، إذ فيه بادرة لإبراز وإظهار الذات الإنسانية والخير الذي يكون متأصلاً فيها وإنَّ النقد هنا نقد معنوي طال ما بها من ذم للأفعال التي من شأنها أنْ تحط من قيمة الإنسان حيث إنَّ النقد لم يتطرق إلى عناصر العمل الأدبي والأدوات المكونة لهُ ؛لأن لم يكن يقصد به إبراز الأبداع النثري إنَّما وَجَّهَ النقد وجهة اجتماعية ناقش من خلالها بعض الأعمال التي لا ترضى الذات الإنسانية(١).

إذ جرى هنا النقد بذم السجع الذي يشبه سجع الكهان في تمويههم للكلام فيكون تفسيره لدى المتلقي غائباً أو مشوهاً غير الذي أراد القصد منه وهنا نجد النبي (ﷺ) قد نَبَّهَ إلى مسألة أخرى وهو عدم التكلف في الكلام ومناسبة الألفاظ لمعانيها وجب أنْ تكون مقرة في النفوس معروفة حتى تكون واضحة لدى السامع.

أمَّا ابن قتيبة (٢٧٦هـ) فقد جاء بالحديث النبوي شاهداً حين عرض موقفاً للنبي (ﷺ) استفهم فيه عن الشعر وقام بالإشادة عليه وكيف تغيرت نظرة النبي (ﷺ) لذلك الشعر عندما علم أنَّ من دواعي ذلك الشعر الذي قيل على لسان النابغة الجعدي فيه حكمة بالغة صادقة وعقلية راجحة قد أثرَّتْ في النبي (ﷺ) ونال بها الشاعر مكانة عليا إذ يقول:

أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدى وَيَتلُو كِتاباً كالمجرَّةِ نَيّــرِا

ما أنَّ يصل إلى قوله :

بَلَغْنَــا السَّمَاءَ مَــجْدُنَا وَجُدودُنا وَإِنَّا لَنَرْجُـــو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْــهَرَا

فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى، فَقُلْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ:

(١) ينظر: النقد العروضي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٨٧.

وَلا خَيْرَ فِـــــي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُـــــنْ لَهُ بَوَادِرٌ تَحْمِـــي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلا خَيْـــــرَ فِـــي أَمْرٍ إِذْ لَمْ يَكُـــن لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْـدَرَا[1]

فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): " أَحْسَنْتَ يَا أَبَا لَيْلَى، ((لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ))[2].

يقول الدكتور مصطفى عبد الرحمن معلقا على هذه الأبيات "وكأنَّهُ ينبه بهذا التساؤل الكيس إلى ما في ظاهر الكلام من استعلاء جاهلي، وإلى هذا أراد النبي (ﷺ) أنْ ينبه الشاعر، فأحسن التخلص، وأجاب بألمعية: " إلى الجنة". وقَبِلَ الرسول (ﷺ) الجواب مادام صاحبه قد فهم المراد وعَدَّهُ تخريجا ذكيا"[3].

لذا نرى في هذه الأبيات الشعرية قد استفهم النبي (ﷺ) فيها عن تلك المعاني التي وردت في البيت الشعري والتي تدل على وعي وذوق وحرص من النبي (ﷺ) على الشعر الذي ينشد في حضرته مؤكداً على أنْ يكون الشعر في قيمته الفنية والمعنوية تاماً غير متناقضٍ مع ما جاء في الإسلام من أفكار ومعتقدات تتغلل في ثناياه حيث أنَّ النقد لابدَّ لهُ أنْ ينسجم مع الدين الجديد ويكون معناه نابعا من ينابيعه السخية لذا كان المتلقي لتلك الأبيات وهو النبي (ﷺ) على قدر عالٍ من تمييز جيد الكلام من رديئة والتعليق عليه والاشادة بمن قاله وأنَّ ما جاء في سؤاله للنابغة (إلى أين يا أبا ليلى) ما هو إلَّا توضيح ما أراد إيصاله من المعنى لكي لا يتعارض مع عقلية وفكر المجتمع.

وفي موقف أخر نجد نقد النبي (ﷺ) حاضراً عندما السيدة عائشة تنشد قول زهير بن جناب:

---

(١) ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ١٠، الشعر والشعراء: ٢٨٩/١.

(٢) الشعر والشعراء: ٢٨٩/١، غريب الحديث، الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١٩٠/١، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق : حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ١٢٩/٨.

(٣) في النقد الأدبي القديم عند العرب: ٧٣.

إرفَــع ضَعيفَكَ لا يُحِر بِكَ ضَعفُــه يَومــاً فَتُدرِكَــهُ العَواقِبُ قَد نَمــا

يَجزيكَ أَو يُثنــي عَلَيكَ وَإِنَّ مَــن اثنــى عَلَيكَ بِما فَعَلــتَ فَقَد جَزى(١)

فقال (ﷺ): ((لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ))(٢).

نرى في تقويم النبي (ﷺ) لهذين البيتين موقف المتلقي الذي تمثله عائشة بقوله " كيف الشعر الذى كنت تتمثّلين به؟» فإذا أنشدته إيّاه قال: يا عائشة إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس "(٣) بتقدير الأبداع وثنائه على المعنى المتضمن في البيتين لأنهما ينسجمان مع وصايا الدين وخلقه ، إذ بعداً عقائدياً وروحياً ونفسياً وحيث يصرح فيها أنَّ الفرد في تعامله يكون مرآة لنفسه وحث فيها على صنع المعروف وإسداء الخدمة إلى الناس واصطناعها لكي يرى جميل ما فعله في تعامل الناس معه، إذ إنَّ سبيل المعروف لا ينقطع وإنْ كان الفرد ضعيفاً هزيلاً لا يجب أنْ يكون سبب في عدم الإحسان إليه ما نراه من سوء حاله أو منظره لآنَّ من وهبك وأعطاك تلك النعم قادر على زوالها فتجد من أحسنت إليه شاهداً على فعلك لأنَّه يعلم من أعطاه ووهبه عن طريقك هو الخالق؛ ولأنَّه عندما أثنى عليك وشكرك فقد شكر خالقه لذا هنا يحث الإنسان على التواضع وعدم التكلف في المعاملة والحديث خير دليل على ذلك.

وفي موضع آخر نجد نقداً للبني (ﷺ) عندما سمع شعر أمية بن أبي الصلت، الذي يقول فيه (٤):

الحَمــــدُ للهِ مَمسانا وَمَصبَحَنا بالخَيــر صَبَّحنا رَبــي وَمَمسَّانا

رَبُّ الحَنيفَــــةِ لَم تَنفَذ خَزائِنُها مَملــــؤَةٌ طَبِّــقُ الآفاقَ سُلطانا(٥)

---

(١) ديوان زهير بن جناب الكلبي، محمد شفيق البيطار ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م :١٢٠ـ ١٢١

(٢) هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن القيّم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٢٩٥٧.

(٣) الشعر والشعراء :٣٦٩/١

(٤) المصدر نفسه : ٤٥٩/١ ، الأغاني: ١٣٦/٤.

(٥) ديوان أمية بن أبي الصلت، حققه وشرحه: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ١٣٤.

وأعرب الرسول عن إعجابه بهذا الشعر لما فيه من الصدق بقوله: ((كاد أمية ابن أبي الصلت أنْ يسلم))[١].

وقد ورد في الشعر والشعراء أيضاً عندما" أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره قال: «آمن لسانه وكفر قلبه» .وكان يحكى فى شعره قصص الأنبياء، ويأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب

بآية قام ينطق كلّ شىء وخان أمانة الدّيك الغراب

... [٢] من الواضح أنَّهُ كان يستمع إلى شعر أمية بن أبي الصلت ؛ لأنَّهُ يحتوي على معاني الحكمة الصادقة، ونظرات دينية صائبة، حيث اطلع على الكتب الدينية وتأثر بأحاديث أهل الكتاب المتقدمين وورد في الشعر والشعراء بأنَّه "يذكر في شعره خلق السماوات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أي من الشعراء " [٣] وأنَّ قول عنه النبي ((آمنَ لسانهُ، وكفرَ قلبُهُ))[٤]، وهذا دليلٌ على اتخاذ موقف نقدي من النبي (ﷺ) تجاه الشاعر.

أمَّا المبرد(٢٨٦هـ) فالذي يقرأ كتابه يظن للوهلة الأولى ويتبادر إلى ذهنه أنَّهُ كتاب يقوم بشرح المفردات اللغوية فقط وأنَّهُ صاحب لغة ونحو وكثير ما يخرجونه النقاد من دائرة النقد الأدبي إلَّا أنَّ المنعم النظر في ذلك الكتاب يجد بعض الآراء النقدية الموجودة في ثنايا هذا الكتاب فضلاً عن اتباعه بعض المقاييس والأسس والموازين النقدية "فهو

(١) الشعر والشعراء : ٤٥٩/١ ، صحيح مسلم:١٧٦٨/٤ ، حديث رقم ٢٢٥٦.

(٢) الشعر والشعراء :٤٥٩/١

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٤٥٩/١، الأدب في عصر النبوة والراشدين، صلاح الدين عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٢٢٠.

(٤) الشعر والشعراء: ٤٥٩/١، متن الحديث « آمن شعر أمية بن أبي الصلت وكفر قلبه » السلسلة الضعيفة: ٥٢/٤ ، حديث رقم: ١٥٤٦ .

كتاب ثقافة أدبية عامة، مع ميل شديد إلى إيراد النماذج المختارة من الشعر الجميل، والنثر البليغ، والأحاديث المأثورة والاخبار الطريفة"[١].

ولبيان بعض الآراء النقدية مستشهداً بأحاديث نبوي ما ورد في مسألة نقد المعنى فقد ورد حديث النبي (ﷺ) فيها شاهداً على مسألة تمتع بها العرب ألا وهي الجود والكرم حيث عاب على الفرد عدم الاستمتاع بالحياة ونعيمها فما هي إلَّا أيام وأنَّ ما يدخره في زوال إلَّا ما أنفقه لوجه الله، وقال الحارث بن حلزة اليشكري في هذا المعنى:

قُلْتُ لِعَمْـرٍو حِيـنَ أرْسَلْتُهُ وَقَـدْ حَبَا مِـنْ دُونِهِ عَالِجُ

لاَ تَكْسَـعِ الشَّوْلَ بأغْبَارِهَـا إنكَ لاَ تَـدْرِي مَنَ النَاتِـجُ[٢]

قوله: لا تكسع الشول بأغبارها "فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التي في بطونها. والغبر: بقية اللبن في الضرع، فيقول: لا تبق ذلك اللبن لسمن الأولاد، فإنك لا تدري من ينتجها، فلعلك تموت، فتكون للوارث أو يغار عليها"[٣]وفي هذا الصدد جاء بالحديث ليبين صدق وصحة ما ورد بالأبيات الشعرية فقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((يقول ابن آدم مالي مالي، وما من مالك إلَّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت))[٤] .

إذ نجد الحديث النبوي مطابقاً لما أتى به الشاعر في التعامل مع نعيم الدنيا، يحث الإنسان بأنْ لا يشغله ماله وأولاده ودنياه عن ما خلق لأجله وأنَّهُ مهما بلغ الإنسان من أموال يكون انشغاله بقدر ما يملكه حيث المتأمل لنص ذلك الحديث النبوي يجد أنَّ المقصود منه ليس لك من مالك إلَّا ما انفقته في دنياك بأكل أو لبس

(١) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ الجغرافيا، امجد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م: ١٢٦/١.

(٢) الكامل في اللغة والادب : ٢٩٥/١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٩٥/١.

(٤) المصدر نفسه :٢٩٥/١ ، صحيح مسلم :٢٢٧٣/٤ ، حديث رقم ٢٩٥٨

أو ادخرت لأخرتك أجراً وثواباً وهكذا ينصرف ما يقوم به الإنسان تجاه تلك الأموال وتنحصر في هذه الأمور وما سواء ذلك فأنَّه إلى زوال وأنَّ الأموال التي تجمعها فأنَّها بعد موتك تصبح لذوي الميراث أو تتعرض للتلف.

أمَّا القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) نجد قلة حضور الأحاديث النبوية لديه وقد صرح في بداية كتابه أنَّهُ مَيَّزَ بين الشعر الجيد والرديء وقد بين في كتابه أثر البيئة والزمان على شعر الشعراء ودليل هذا الاختلاف والتباين نلاحظه من خلال الشعر وهذا الأمر كان بمثابة نقد عام لشعر الشاعرين وعقبه بحديث نبوي شريف يبين من خلاله كيف يختلف الشعر باختلاف الطباع والبيئة كما جاء في حديث النبي (ﷺ) :((مَنْ بَدا جَفا))[١].الذي صرح عنه في وساطته بعدما عرض أثر البيئة في اختلاف طبائع الشعراء , إذ يقول " وقد كان القومُ يختلفون في ذلك، وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع، وتركيب الخلْق؛ فإنَّ سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة. وأنت تجدُ ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجِلْف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعْر الخطاب؛ حتى إنك ربما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أنْ تُحْدث بعض ذلك"[٢].

إذ نفهم من كلام القاضي الجرجاني أنَّ ما يصدر من شعر مطبوع أو مصنوع فانه مرتبط بعلاقه وثيقه بالبيئة التي يعيش فيها الشاعر لذا نرى أنَّ الشاعر تسهل ألفاظه وترق وتكون معانيه سلسه كلما ابتعد عن حياة البداوة وعلى العكس فإنَّهُ لاحظ أنَّ ألفاظه ومفرداته تصعب وتخشن إذا اقترب من البداوة وحياتها لذا نجد أثر البنية الثقافية والبيئة وانعكاسها على الشعر وأثرها من خلال

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق، محمد ابو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه : ١٨. صحيح الجامع:١٠٥٥/٢ ، حديث رقم ٦١٢٣.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٨.

شعره في أثناء تعبيره عن تجاربه بلغة موحية تنقل ما أراده إلى القارئ, ونجده أتى بالحديث النبوي لبيان ما تحدثه البيئة والثقافة في الشعراء والأدباء.

وعندما نصل لابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) يبين لنا أتخاذه الحديث شاهداً نقدياً بأنَّ النبي (ﷺ) متلقِ للشعر، لكنه كان متلقيا يعلم بأصوله متذوقاً لمفرداته ناقداً لتراكيبه وألفاظه، فكان النبي (ﷺ)، يغتنم الفرص ويطلب إنشاده الأشعار منهم هذه القصيدة "حيث قال الحضرمي وقد سأله: هل تروي من الشعر شيئاً؟ فأنشد:

حَـــيَ ذَوِي الأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُـمْ تَحِيَّتَك الْحُسْنَـى فَقَدْ يُرْقَعُ النَّعْـلُ
فَإِنْ دَحَسُوا بالْمكْـــرِةِ فَاعْفُ تَكَرُّمـا وإِنْ خنسُوا عَنْك الْحَدِيثَ فَـلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الَّـــذِي يُؤْذِيك سَمَاعُـــــهُ وَإِنَّ الَّـذي قَالُوا وَرَاءَك لَمْ يَقُـــلُ[1]

فكان تعليق النبي (ﷺ) وموقفه من ذلك الشعر أنَّهُ قال: ((إنَّ من الشِّعرِ لحِكمةً))[2].

ما يظهر هنا أنَّ النبي (ﷺ) يقبل على سماع الشعر ويطلب من الشعراء إنشاده إيَّاه وفي بعض الأحيان يبدي رأيه به ويفسر مواطن الجمال التي وجدها في الأبيات من مواطن الاستحسان[3]، معلقاً عليها بحديثِ نبويِ يناسب المقام الذي وردت فيه

وفي موقف آخر يكشف لنا تلقي النبي (ﷺ) الشعر والتعليق عليه عندما "سأل رسول الله (ﷺ) عبد الله بن رواحه كالمتعجب من شعره، فقال: كيف تقول الشعر؟ قال: أنظر في ذلك ثم أقول، قال: فعليك بالمشركين ولم يكن أعدَّ شيئا، فأنشد أبياتا منها:

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/٢٥٤-٢٥٥.
(٢) المصدر نفسه : ١/٢٥٥ ، متن الحديث «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا» سنن الترمذي:٤/٥٢٨ ،حديث رقم ٢٨٤٥.
(٣) ينظر: الأدب في عصر النبوة والراشدين: ٢٢٢.

فَخَبِّروني أَثمانَ العَباءِ مَتـــــى كُنتُم بَطاريقَ أَو دانَت لَكُــم مُضَرُ

فعرف الكراهية في وجه النبي (ﷺ)، لما جعل قومه أثمان العباء، فقال:

نُجالِدُ الناسَ عَـن عُرضٍ فَنَأسِرُهُم فينا النَبِيُّ وَفينـــا تَنزِلُ السُـــــوَرُ

وَقَـــد عَلِمتُـــم بِأَنّا لَيسَ يَغلِبُنـــا حَيٌّ مِنَ الناسِ إِن عَزّوا وَإِن كَثُروا

إلى أن يقول في النبي (ﷺ):

فثبَّتَ اللهُ مـــا آتاكَ مِـــن حَسَنٍ تَثبيتَ موســى وَنصراً كَالَّذي نُصِرو[1]

فأقبل النبي (ﷺ) بوجهه، فقال: ((وإياك فثبت الله يا ابن رواحة))[2].

نجد في طلب النبي (ﷺ) من عبد الله بن رواحة أنْ يقرأ بعض الشعر في هجاء المشركين، فأصغى إليه (ﷺ) في مجلسه، حتى إذا أكمل عبد الله بن رواحة أبيات شعره يلجأ إليه بوجهه الكريم مبتسمًا ويدعو لهُ التثبيت في الدنيا والآخرة ، إذ نجد الغاية هنا مطابقة المعنى مع مقام الممدوح في الدح فضلاً عن أثر القيم الاجتماعية في فن الهجاء وبالفعل فأنَّ هذا الموقف دلالة على أنَّ عملية التلقي كانت حاضرة حتى في ذلك العصر وبداية ظهور الإسلام. ولكن يكفي فخراً أنَّ المتلقي هو خير خلق رب العالمين وإنْ كان نقده لا يخرج عن كونه نقد توجيهاً وإرشاداً إلَّا إنَّهُ كان بداية جيدة لظهور نقد يهتم بجميع نواحي الحياة الأدبية ومنها التفتيش في الأشعار والتنبه إلى ما تحمله من معانٍ وألفاظ وتكشف لنا الحادثة أيضاً أهمية سلطة القارئ أو السامع والمتلقي لذلك الشعر حيث إنَّ النبي (ﷺ) لم يكن شخصاً عادياً بل كان قارئاً وناقداً استثنائياً ونجد هذه الميزة التي تمتع

(١) ديوان عبد الله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره، وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ٩٤.

(٢) العمدة في محاسن الشعر ادبه ونقده: ٢١٠/١، سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٢٣٤/١.

بها قد غَيَّرَ عبد الله بن رواحه في شعره لأنَّهُ فهم موقف النبي (ﷺ) منه فتدارك الأمر وأصلح ما في شعره.

وفي موقف آخر أخذ ابن رشيق القيرواني حديث النبي (ﷺ) شاهداً في مسألة الربط بين الدين والأخلاق ، حينما تعرض إلى حادثة أعرابي جاء إلى الإمام علي (عليه السلام) يطلب منه حاجة وكان الإمام يطلب منهم أنْ يكتبوه في كتاب لكي يحفظ ماء وجوههم ، إذ ورد "يروى أنَّ أعرابياً جاء إلى الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقال له: إنَّ لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أنْ أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدتُ الله تعالى وشكرتك، وأنْ أنت لم تقضها حمدتُ الله وعذرتك.. فقال له علي (رضي الله عنه): خط حاجتك في الأرض فإنّي أرى الضُّرَّ عليك – ويظهر أنَّ الأعرابي من خجله لم يفه بالذي يريده – فكتب الأعرابي على الأرض: إنّي فقير... فقال الإمام علي لغلامه: يا قنبر ادفع إليه حُلَّتي... فأخذها الأعرابي ثم أنشد قائلاً:

كَسَوتَنـــي حـــلَّةً تَبلـــى مَحاسِنُهـا فَسَوفَ أَكسوكَ مـن حُسنِ الثَّنا حُلَلا
إِنَّ الثَّناءَ لَيُحيـــي ذِكْـــرَ صاحِبِـــهِ كالغَيثِ يُحيـــي نَداهُ السَّهلَ والجَبَلا
لا تَزْهَدِ الدَّهـــرَ فيُ رْفٍ بَدَأْتَ بِـــهِ فكـــلُّ عَبدٍ سَيُجْزَى بالـــذي فَعَلا[1]

فقال الإمام علي: يا قنبر أعطه خمسين ديناراً.. ثم التفت إلى الأعرابي وقال له: أمَّا الحُلَّة فلمسألتك، وأمَّا الدنانير فلأدبك، ولأجله أستشهد بحديث النبي (ﷺ): ((أنزِلوا النَّاسَ مَنازِلَهم))[2].

الواضح من موقف النبي (ﷺ) والنقد الأدبي الموجه تجاه الشعر في الغالب اتسم بالتوجيه إلى المعاني الإسلامية والتزام الأخلاق مقياساً لهُ ينقد الشعر ويوجهه وبلا شك أنَّ مداد هذا النقد

(١) العمدة في محاسن الشعر ادبه ونقده: ٢٩/١.

(٢) النوافح العطرة في الاحاديث المشتهرة، محمد بن احمد بن جار الله الصعدي اليمني، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩١م: ٥٩.

جاء من القرآن الكريم حين اتخذ من ألفاظه ومعانيه أساسا وقواعد يريد فيها الحث على السلامة في القول والتعبير وإرشاد الشعراء في البعد عن التكلف والنهي عن الغلو وبهذا نجد أنَّ المقياس الديني هو الأساس والفيصل الذي اتخذه نبينا محمد (ﷺ) لسان حال يعبر فيه عن موافقه ونقوداته الشريفة تجاه الشعراء وأشعارهم(١).

البين في نقد النبي (ﷺ) المذكور آنفا أنَّ أتخاذ أحاديث النبي (ﷺ) شاهداً نقدياً كان في غالبه ينظر إلى النقد ما إنْ كان مطابقاً للحق أو عدوله عنه واتخذ من نقده منهجاً إسلامياً كان يبعث بروح الإيمان وبالتالي فأنَّها خطوة محمودة اتجه بها نحو التطور وعلى الرغم من أهمية تلك المواقف التي صدرت تجاه الشعراء أو من خلال عرض النقاد واتخاذ الحديث شاهداً على قضية ما نجد في مجمله نقداً فطرياً انطباعياً قد عدل فيه الرسول (ﷺ) بالشعر عن اتجاهه الجاهلي نحو قبس من نور الإسلام واتخذ منه شاهداً نقدياً ووسيلة لرفع قيمة النقد ومحتواه(٢).

وإذا رجعنا إلى الأقوال والمواقف التي أُثِرَتْ عن الرسول (ﷺ) في نقد الشعراء وأشعارهم نجد أنها تركز – في الغالبية العظمى – على نقد المضمون ومادة الكلام، ويقفون كثيراً على القيم والأفكار التي يحتويها النص، أو القضايا التي يثيرها ويعززها. حيث إنَّ ما وجد من قيم وأعراف جاء بها الإسلام قد اتخذها الأداة الفنية في نقد الشعراء – وأنَّ ما جاء به الإسلام في نقده لتلك النصوص الأدبية وتوجيه الشعراء لا يشكل عقبة، ولا يخلق مشكلة، لا يُلزم المنشئ بأسلوب فني معين، ولا يقيدهم بطريقة خاصة في التحدث والتعبير عما في داخلهم، بل

(١) ينظر: النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول والخلافة الراشدة، محمد عارف محمود حسن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ١٥، العدد ٥٨، ١٤٠٣هـ: ٢٧٥.

(٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٥٤-٥٥.

يترك المجال للأدباء لإبراز مواهبهم وتفردهم وقدرتهم على إتقان الركائز الأساسية للفن ولكن بمنظور نقدي إسلامي [١].

إذ إنَّ دراسة الحديث النبوي بوصفه شاهداً نقدياً تبين أنْ النقد الموجه من الرسول (ﷺ) هو نقد توجيهي وإرشادي أكثر ما هو نقد أدبي. قد برزت عبر أحاديث النبي (ﷺ) وتعليقه على بعض الشعراء ممّا أرسى بعض تلك القضايا والقواعد التي أرشدهم إلى انتهاجها في أشعارهم، إذ كانت نظرة النبي (ﷺ) نظرة نقدية ملائمة لطبيعة المجتمع ممّا وجه الأداة النقدية في خدمة الدين الجديد، فقد كشف شاهد الحديث النبوي في النقد عن تلقي النبي (ﷺ) للشعر إذ نجده تارة يبين أثر البيئة والبنية الثقافية في نتاج الشعراء وتارة أخرى يعدل على بعض الأبيات لكي تتماشى مع النهج الجديد فضلاً عن أبراز مواطن الجمال في بعض الأبيات الشعرية وبالتالي بين لنا ذوق النبي (ﷺ) وحرصه في نقده فضلاً عن أنَّهُ بين أثَر سلطة النبي (ﷺ) التي فرضها من خلال نقده لبعض الأبيات الشعرية في ضرورة المضي على التعاليم الإسلامية التي جاء بها تهذيباً وتوجيهاً وإرشاداً لتلك الأداة الفنية.

وفي النهاية نجد إنَّ أستعمال الحديث النبوي شاهداً على القضايا النقدية المختلفة امراً حاضراً كشف عنه النقاد في مدوناتهم ، إذ أنَّ المتصفح لتلك المؤلفات يجد الأحاديث النبوية شاهداً لإثبات قضية اللفظ والمعنى أو الاستدلال بالحديث النبوي وما يحتويه من على الفنون البلاغية والتمثيل به فضلاً عن أتخاذه شاهداً لبعض قضايا النقد الأدبي.

(١) ينظر: من قضايا الأدب الإسلامي، وليد إبراهيم قصاب، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨: ٩٤.

الفصل الثاني

الحديث النبوي موجهاً نقدياً في قضايا النقد العربي

- المبحث الأول: قضية الشعر
- المبحث الثاني: قضية المفاضلة
- المبحث الثالث: قضية الاقتباس والسرقات

الفصل الثاني

الحديث النبوي موجهاً نقدياً في قضايا النقد العربي

توطئة :

نتيجة لتعدد اتجاهات النقد العربي وتنوع القضايا والموضوعات التي اهتم بها النقاد للكشف عن الرؤية النقدية بشكل أوضح أخذ الباحثون على عاتقهم البحث عن جل تلك القضايا في إطار استخدامهم الشواهد في توجيه قضايا النقد الأدبي ونتيجة لكثرة تلك الشواهد وتنوعها ما بين شواهد قرآنية وشواهد الحديث النبوي أو الشعر والنثر نراها اوجدت موضوعات قيمة عكف الباحثون على دراستها لبيان مدى الإفادة في توجيه تلك الدراسات بوصفها مادة ثرية لهم، إذ نجدها تارة توجه قضية من القضايا وتارة أخرى يتلمس فيها بعض النقاد مادة خصبة لتقوية حجتهم وأنَّ إسهام الحديث النبوي الشريف في توجيه قضايا النقد الأدبي حاضر عبر المواقف والأحاديث التي صدرت من النبي (ﷺ) تجاه تلك القضايا أو في استخدامه من قبل النقاد لتقوية حجتهم كونه مصدر التشريع الثاني من بعد القرآن الكريم والذي نال حظوة لدى معظم النقاد في مؤلفاتهم الأدبية والنقدية، ولذلك نجد النبي (ﷺ) وضع بعض البذرات التي كانت انطلاقة لبعض تلك القضايا ممّا شرع في الارتقاء بها وتشتد أروقتها لكي تصبح أساساً صالحاً. لذا نجد أنَّ الحديث النبوي الشريف وأسلوبه قد لاقت صدى واسعاً وحظيت باهتمام النقاد والباحثين وعَدَّوه مصدراً من مصادر الشاهد لديهم فيما يخص قضايا النقد الأدبي والتي يُعَدُّ في أهميته ومكانته المميزة مصدرٌ موثوق به بعد القرآن الكريم وأثر حضوره في تلك المؤلفات كبيرا [1].

(١) ينظر : أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، قدمه: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٥٢م: ٣٦.

المبحث الأول

قضية الشعر

أحدث الإسلام والأقوال التي صدرت عن النبي (ﷺ) حدثاً عظيماً، إذ أنَّ موقف الإسلام من الشعر قضية نقدية ، و الذي أخذ يسير في اتجاه غير الذي سلكه في عهد الجاهلية، ومتابعة النقاد الذين استشهدوا بأقواله ليدعموا ما ارتضاه وما لم يقبله في ذلك الشعر، والشعر بوصفه موضوعاً يخضع لأحكام وسنن من حيث الاستقباح أو الاستحباب، ويُعَدُّ موقف النبي (ﷺ) تجاه قضية الشعر نابعاً من موقف القرآن الكريم، فهو يدعو إلى الإصلاح والإيمان والارتقاء بالإنسان نحو القيم النبيلة ويذم كل ما يتعارض مع تلك القيم والتقاليد وكل مذموم مستقبح يذمه التشريع الإلهي والفطرة الإسلامية، وإذ نظرنا إلى موقف النبي (ﷺ) نجده موقفه نقدي ولابدَّ قبل الشروع في بيان نظرة النبي (ﷺ) إلى هذه القضية يجب أنْ نفرق ما بين تلك اللمحات، أكانت موجهة إلى الشعر ومفهومه بشكل عام؟ أم إلى الشاعر؟ وكيف تعامل النقاد مع تلك الأقوال؟ وكيف أحدث ثورة ضد بعض التقاليد الجاهلية واخص بالذكر ما حصل من تغيير في الأغراض الشعرية أو تجديد وأهمها ما نادى بها الرسول (ﷺ) وأكدَّ على ضرورة توافرها في الشعر ألا وهي عنصر الصدق بجعله شاهداً على النقد الملتزم ، الذي كان محط اهتمام أغلب النقاد ولاقى صدى واسعاً .

وللأهمية والمكانة التي احتلها الشعر لدى العرب، صدرت عن النبي (ﷺ) أقوال ومواقف متعددة كونه أُرسِلَ إلى أمة ازدهرت فيها قضية الشعر. وقد كان عنوان أصالتها وفخرها بل أنَّهُ عند دراستنا لهُ نجده الميدان الذي تتسابق به العرب فيما بينها والشعر محور العالم الثقافي للعرب، حيث يمثل جوانب المعرفة والحفظ وبه تخلد العرب مآثرها الروحية والعلمية، لذا من الطبيعي أنْ يحتل عند النبي (ﷺ) منزلة واهتماماً وعند دراسة

تلك القضية وطبيعة التأثير الذي أحدثه الحديث النبوي الشريف نجده يتمحور في دائرة الشعر المقبول أو المرفوض فضلاً عن أنَّ دراسة ذلك الجانب يكشف لنا هدي تلك الأقوال ومحاسنها في توجيه تلك القضية(١)، إذ تُعَدُّ " كبير فائدة لدارسي الأدب والشعر حين يقرؤونه على هدي السيرة النبوية الصحيحة؛ ولأنَّهُ المرآه الوحيدة الصادقة لذلك التاريخ قبل البعثة وفي إثنائها وفي جنباتها التأريخ الحق فيدركون ما دخل الشعر من جديد المعاني وطريف الأفكار "(٢).

وبعد مجي الإسلام كان للأدب والشعر خاصة حظٌّ من اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية لذا نجده أقام المنهج السليم للشعر بإزالة ما حملته سلبيات الجاهلية من فساد الفكر والعقائد التي لم يرض بها النهج الإسلامي والتي لا ترتقي بالمجتمع ولا تكون ذات فائدة لهُ فأكد بذلك ما يجنيه الشعر من منفعة الى جانب القيمة الفنية ولأنَّ تلك القيم المقبولة لم يرفضها ويحدها القرآن والسنة ولم يقيدهم بشكل خاصٍ يلتزمون به وإنَّما وضع بعض الأسس التي لابدَّ للشعراء اعتمادها(٣).

وانطلاقاً من رؤية الأصمعي حين قال " الشعر نكد بابه الشرّ، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسّان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهليّة، فلمّا جاء الإسلام سقط شعره. وقال مرّة أخرى: شعر حسّان في الجاهليّة من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم "(٤) مُؤدَّى كلام الاصمعي أنَّ الشعر ، نكد قليل الخير، يكمن الشر في أبوابه الكثيرة، ويرى أنَّ مجاله الأنسبَ للنمو والنضج ، لَمَّا يتناول من مواضيع الشر مِثل الخمرة والغزل الفاحش، والاعتداء على أعراض الناس ، والفخر أو المدح

(١) ينظر: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، فاروق حماده، دار القلم، دمشق: ١٤١-١٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٢.

(٣) ينظر: الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، محمد بن مريسي الحارثي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ٥٢.

(٤) الشعر والشعراء : ٣٠٥/١

الكاذبين اللذان لا يعبّران بصورة صادقة عن خصال الآخر، كما في أشعار امرئ القيس أو الأعشى وغيرهم من الشعراء في الجاهلية ، إذ إنَّ مسألة ضعف الشعر في صدر الإسلام ربط بها بين الشعر والأخلاق وكأنَّه يقول أذا أبتعد الشعر عن أبواب الشر فُقد بريقه ولمعته ومتانته وأصبح ليناً ضعيفاً وكان شاهد قوله عندما ضرب المثل بحسان بن ثابت ، إذ قال " شعر حسّان في الجاهليّة من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام ..." وهذا الرأي غير موفق ، إذ أنَّ لكل مرحلة مزية وتوجيه معين ولا بد لذلك الشاعر أنَّ يسلكه حتى يكون في أعماق تلك المرحلة الجديدة معبراً عنها بألفاظ ومعانٍ نابعةٌ منها وأن مثل هذه القيم التي أتى بها الإسلام وتجسيد الشعر مبادئ الدين وتوجه قلم الشاعر وموهبته لخدمة الدعوة والنبي (ﷺ) لأمر يحمد عليه الشاعر لاسيما إنَّ الشعر قد أكسب روحاً إيمانية وتوفيقاً ودعوة من النبي (ﷺ) لرفع منزلة ومكانة الشعراء .

ونلاحظ أنَّ غاية الشعر ونظرة الإسلام إليه قد بني على أسس خلقية ونفعية وإرشادية وتوجيهية والحديث النبوي الشريف لم يقف أمام الشعر لذاته وإنما رفض المنهج الذي سار عليه بعض الشعراء والذي يكشف عن سيطرة الأهواء والانفعالات، فضلاً عن رفض الإغراق في الخيال، وعندما جاء الإسلام بفيء عطائه استقرت الروح على المنهج الإسلامي، شعراً وفناً عن طريق تحقيق هذه المشاعر في دنيا الواقع والتزام التعاليم الأخلاقية. لذا فالإسلام والأحاديث النبوية لم يكره الشعر كله ولم يحاربه بل يكون حكم الرفض على البعض منه[١].

إذ وردت أحاديث عن النبي (ﷺ) يعبر فيها عن تشجيعه للشعر والشعراء وأنَّ هذه القضية قد لاقت قبول وعناية من النبي (ﷺ) لأنَّهُ أدرك قيمة الشعر والشعراء وأهمية نتاجهم على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والنفسية[٢].

---

(١) ينظر: النقد بين الفن والأخلاق حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مريم النعيمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ط١، ٢٠٠٨: ٢٢.

(٢) ينظر: النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند طه حسين، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م: ٥٩-٦٠.

لما لهُ من قيمة عظيمة تميزوا بها فهو سجل مفاخرها ومستودع أخبارها لن ينفصلوا عنه كونه قسطاس علمهم وقد أكد هذا الكلام قول النبي (ﷺ): ((لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين))[١]، حيث يفصح عن شديد تعلقهم بالشعر ووسيلة للإفصاح عما في نفوسهم كونه جِبلَّة انفطروا عليها تأصلت في نفوسهم ويجري في دمائهم ويسري على ألسنتهم وليس من الغريب أنْ نجد تشجيعاً من النبي (ﷺ) نحوه[٢]، وكان مما يفتخر به العرب كونه جزءاً كبيراً من حياتهم وتلاقح مع أرواحهم بوصفه أحد مظاهر الإبداع الذي شغل فكرهم وتسابق به الشعراء فيما بينهم وأعجبوا بالفصيح منه وأطربوا لما سمعوا من جميل أوزانهم[٣].

ولعل موقف النبي (ﷺ) من خلال أحاديثه عن هذه القضية تجاه الشعر والشعراء كان يدور حول إبراز المفهوم الجديد الذي حدده القرآن الكريم للشعر، وقد اتضح موقفه من الشعر في اتجاهين. الأول: أعطى فيه الشعر أهمية كبيرة وذلك بوصفه فنا ذا قيمة معرفية قادراً على إثارة العقول لما جاء به من تلك القيم المعرفية الخيرة والفنية الموحية، التي يحملها وهذا الاتجاه الذي استأثر باهتمام النبي (ﷺ). أمَّا الاتجاه الثاني فقد تناول فيه الشعر من زاوية أخرى وهي ما يحدثه من ضرر أو أذى كما في الهجاء الذي نهى عنه فذلك مذموم وغير مقبول [٤].

وإنْ كانت تلك المواقف قليلة في هذا الاتجاه إذا ما قورنت بالمواقف الإرشادية والتوجيهية للشعر والشعراء في الاتجاه الأول. فالنبي (ﷺ) "بشر يتأثر بالكلمة والموقف، وعربي في قمة الفصاحة، يقدر التعبير الفني، ويعرف خطره وعمق تأثيره في النفوس، ويطرب لهُ حين

(١) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية: ٣٣٦/٦.

(٢) ينظر: الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي (أطروحة دكتوراه)، مرسل فرمان، جامعة بشاور، الكلية الإسلامية، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م: ٣٥٠، ظاهرة الإيجاز في النص النقدي العربي القديم (رسالة ماجستير)، زهراء ستار حسن، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٦٣هـ-٢٠١٥م: ٥٢.

(٣) ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: ٣١-٣٢.

(٤) ينظر: الإسلام والشعر، يحيى وهيب الجبوري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: ٥٠-٥١.

يعبر عن مبادئ خلقية وجمالية مقبولة من الدين الجديد، ويرفضه ويقبحه حين يكون دعوة إلى الشر أو الشقاق أو الرذيلة أو تحريضا على طرح الجدية في الحياة والاستسلام لمباذلها"[١].

والنبي (ﷺ) كان ينصت إلى الشعر في مجالسه وهذا امر طبيعي لا يختلف عليه أحد. إلَّا أنَّه كان حريصاً على توجيه تلك الموهبة التي أشتهر بها العرب للالتزام بقوانين الإسلام، وصحح بعض المفاهيم حتى تتفق مع نهج الإسلام وروحه.

ونتيجة لذلك أدرك الرسول (ﷺ) قيمة الشعر السياسية والاجتماعية فأخذ منه وسيلة في نشر دعوته واستنصاره وتشجيعه الشعراء الموالين لهُ وأدرك أنَّ أغلب الأغراض الشعرية التي تطرق لها العرب بشعرهم لا يمكنهم أنْ يتخلوا عنها بالنهي لذا نجده وقف موقفا وسطاً، إذ لم يقف بالند منه ولم يرفضه فأثاب على الشعر الجيد وعاقب على الأذى وهذا من عظيم إدراكه لما للأدب من أثر وبالأخص الشعر، إذ أثر في النفوس لما فيه من قوة لفظة وسحر أسلوبه[٢].

إذ نلتمس في الأقوال التي وردت عن النبي (ﷺ) التي تتعلق بالشعر بمعناه العام وليس بمفهومه الضيق الخاص، ولم يميز شعر المسلمين على غيره ولم يصرح بأنَّهُ الجيد من الشعر حيث جاء وصفه للشعر الحق كل تلك الأشعار التي قيلت سواء في صدر الإسلام أم قبله كونها لم تناقض وتجافِ ما عندهم من قيم ومبادئ والمثل السامية والكثير من المواقف يوجه النبي (ﷺ) فيها انتباه المسلمين إلى أنَّ قيمة ذلك الشعر يصدر عن ذات إنساني[٣].

وينقسم على نوعين: "الأول: أنه لا خير فيه؛ لأنَّهُ لا يوافق أي جانب من جوانب الخير التي يجب أنْ يدعو إليها الشاعر أو أنْ يشيعها في مجتمعه. والثاني: ضرب موافق

(١) مقدمة في النقد الأدبي، محمد حسن عبد الله، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٧٥م: ٢٧٧.

(٢) ينظر: تاريخ النقد العربي في الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري: ٢١-٢٢.

(٣) ينظر: الأمالي في الأدب الإسلامي، ابتسام مرهون الصفار، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م: ٤٨.

للخير والحق والجمال ، وهذا التقسيم نراه يتفق مع قول النبي (ﷺ): ((بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارمَ الأخْلاقِ)) "[1]

وهذا القول يشمل فقط ما تصالح مع القيم الإنسانية والأخلاقية، فهو عقيدة ومعتقد ووسيلة دعائية قد استخدمها وهذا الرأي الإيجابي لم يكن يشمل الشعر كافة فهو كالكلام فيه الحسن، وفيه القبيح، فالشعر وهو بمنزلة الكلام يجعلنا نعلم أنَّ ذلك يمكن أنْ، يُستخدم ويسخر في الخير وفي الشر، والأمر بالنهي عنه بمعناها أننا نلغي الكلام، أو نبطل اللغة؛ وذلك لأنَّ هناك من يَسْفَهون ذلك الكلام ويسخرونه في العبث والفساد، وهذا الأمر ليس بصحيح، إذ كان ابن رشيق القيرواني ممن اعتنى بهذا الصدد حيث ورد في كتابه العناية بوضع الحد الذي وضعه النبي (ﷺ) لهُ وردا معظم تلك الأقوال التي من شأنها أنْ تبين موقفه من قضية الشعر والنبي (ﷺ) إذ قال في وصف الكلام الذي يشتمل عليه الشعر حين: ((سُئلَ رسولُ اللهِ (ﷺ) عن الشِّعرِ فقال: هو كلامٌ فحَسَنُهُ حسنٌ وقبيحه قبيحٌ))[2].

إذ يحدد ابن رشيق القيرواني قول النبي (ﷺ) بأنَّهُ وصف الكلام المقبول والمرفوض، الخير والشر من خلال عرضه لأصناف الشعر ويتفق تماماً مع ما أتى على لسان النبي (ﷺ) بوصفه كلاماً وما يحمله هذا الكلام وما ينطوي عليه هو من يحدد صفته من حيث الحسن أو القبح القبول في المضي على العمل به أو النهي عنه، إذ يقول: "فالشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد، والمواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثل به بالخير...؛ والشعر هو شر كله، وذلك الهجاء، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس؛

---

(١) الأمالي في الأدب الإسلامي: ٤٨، صحيح الجامع : ٢٨٣٣

(٢) العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده :٢٧/١ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠ هـ] ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م: ١/ ٨٠٨ ، حديث رقم ٤٤٧، ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ٤٩٣/٧.

وشعر يتكسب به، وذلك أنْ يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، و يأتى إليه من جهة فهمه"[١].

وبوصفه كلاماً ليس بمعناه الحرفي فقد ذكر صفة (الكلام) وأراد بها موصوف (الخير والشر) الذي يوصف به الشعر يشتق منه كلام ويعبر عنه بطريقة مختلفة تجعل منه ذات بعد تأثيري ينساب إلى النفس ويعلق في الأذهان ويشد المتلقي لمعرفة ما يختفي تحت تلك الضلالات والإيحاءات التي تترجم عن طريق ألفاظ ومعانٍ قد نظمت وفق طريقة مخصوصة , تداخلت عليها علوم اللغة والبلاغة والعروض ممّا جعل منها قيمة عليا تعج الكتب والمؤلفات بدراستها وتحليلها وتفسيرها ومعرفة الآثار التي تخلفها ما جعلها ديواناً للحفظ ومدرسة للتقويم ودروساً للنقاد تنفتح لهم الأبواب للغوص بها.

وفي موضع آخر يورد ابن رشيق وصف الرسول(ﷺ) للشعر بأنَّهُ: ((إنَّما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه))[٢].

هنا نجد نظرة الإسلام والنبي (ﷺ) إلى الشعر قد اختلفت تماشياً مع نوع الشعر فتارة يقبله ويؤيده ويحث على إنشاده ويثيب على قائليه وتارة أخرى نجده مرفوضاً ينهي عنه، وهذا لا يعني بأنَّ هناك تناقضاً في موقف وتعاطي الإسلام مسألة الشعر بل هذا يمثل " المنهج الذي اختطه الإسلام لهذا النشاط العقلي عند الإنسان العربي"[٣]، إذ وصف الشعر هنا بأنَّهُ (مؤلف) فقد ذكر الدكتور كاظم جاسم العزاوي موضحاً أنَّ "التأليف: هو

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١١٨/١.

(٢) المصدر نفسه : ٢٧/١.

(٣) سوسيولوجيا النقد العربي القديم–دراسة العلاقة بين الناقد والمجتمع، داوود سلوم، مراجعة: محمود أحمد ربيع مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م: ١١.

النظام والتنظيم والترتيب، فأنْ أَلَّفَ بين الكلمات ورتبها فقد نظمها"[١]، ويقال: ألفت شيئاً تأليفا، وصلت بعضه ببعضه ومنه تأليف الكتب"[٢]، ومن هنا أطلق لفظة التأليف على الشعر أيضاً كونه قد كد خاطره والتزم قواعد معينة في نظمه وأخرجه في صورة مؤثرة وبعبارات متزنة وأجهد ذهنه في توظيفه لقواعد اللغة والبلاغة والعروض.

وتذهب الدكتورة ابتسام الصفار إلى أنَّ النبي (ﷺ) حدده (بالتأليف) أي ميزه عن الكلام العادي بطريقة نظمه وترتيبه وإقامة دعائم الشعر الفنية وقد أباح تأليفه بشرط إقامته ونظمه على أساس فكري توجيهي أكثر ممّا هو فني جمالي والغاية منه منفعة لا غير[٣].

وتفسيراً لذلك عندما سئل عبدالله بن رواحه من الرسول (ﷺ) عن الشعر فقال: "شيء يختلج في صدري فينطق به لساني"، فالشعر في مفهوم ابن رواحة "شعور مضطرب في الصدر يعبر عنه اللسان"[٤]، حيث يصفه بأنَّهُ تلك المشاعر المضطربة التي تحدث في ذات الإنسان وكان الشعر وسيلة للإفصاح عنها والتخلص منها باستخدام قوة اللغة والطبع الذي يمتلكها فتترجم ألفاظاً ومعانيَ قد صبت في قوالب مخصوصة كشفت لنا عن ما يختلج في نفس قائلها وهي أقرب ما تكون في انسجام مع الروح.

وهنا أدركنا قيمة الشعر من كلام الرسول (ﷺ) بمعنى أنَّ الشعر بمعناه الدقيق أوسع وأشمل ممّن عَرَّفهُ من قبله وبعده وليس كما بينت ابتسام الصفار من أنَّ النبي

---

(١) قضية الشعر بين الاصوليين والنقاد حتى نهاية القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير)، كاظم جاسم منصور العزاوي، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٥٢.

(٢) لسان العرب: مادة (الف).

(٣) ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: ٣٣.

(٤) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ: ١٢٨/٦.

(ﷺ) قد اكتفى بتعريفه الشعر، (بأنَّه كلام مؤلف) "لأنَّ العرب ما كانوا بحاجة إلى توضيح ركني الشعر الوزن والقافية"(١).

ويقول النبي (ﷺ) معرفا الشعر: ((إنَّما الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من بنيها))(٢).

وللوقوف أكثر على سمة (الكلام) نجدها: "اسم جنس يقع على القليل والكثير"(٣). لذا يعد جنساً من كلام لدى العرب، وهذا يعني وجود جنس آخر من الكلام عندهم: الشعر والآخر وهو: ما يتكلم به في الخطب والأحاديث والوصايا، ويقصد به (النثر) والتفريق بين الجنسين عن الكلام العادي، إنَّما هو آت من جملة السمات الفنية التي تميز بها الشعر ما جعل لهُ تلك الخصوصية(٤)، ويقول الدكتور حاكم حبيب الكريطي "التفريق النبوي بين جنسي الكلام عند العرب، يكمن في الوزن والقافية، لأنَّ السمات الفنية الأخرى يقترب فيها الجنسان إلَّا الوزن، فإنَّهُ الفيصل بين الشعر وغيره"(٥).

ووصفه بأنَّهُ جزل لما تميز به من القوة والمتانة وتأثيره في النفوس بتفوقه على الكلام العادي بما يمتلكه من خصائص ذوقية وفنية تجعله يعبر عن ما في النفس الإنسانية ويستمد حيثياته من الواقع والذات الذي يعيش فيه ولكن إذا كانت القيمة الفنية التي تأتي من خلال الشعر الذي لا ينفع المجتمع المسلم ويدعو إلى إثارة الضغائن والأحقاد بين أفراده، لا يُعَدُّ ذا أهمية في منظورهِ فضلاً عن ذلك نجد أنَّ القرآن والسنة النبوية " لم يحرم قول الشعر ولم يقف

---

(١) محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: ٣٣.

(٢) العمدة في محاسن الشعر: ٢٧/١، زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود أبو علي نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٩٨١م: ٤٤/١.

(٣) لسان العرب: مادة (كلم).

(٤) ينظر: مباحث تأويلية في نقد الشعر العربي القديم، حاكم حبيب الكريطي، ط١، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر،٢٠٢٠م: ٣٥.

(٥) المصدر نفسه : ٣٥.

دونه أو ينتقصه من حيث قيمته المعرفية إذا التزم بالحق، وأغراض الشعر جميعها معرضة للشاعر إذا قصد فيها تغليب جانب الخير على جانب الشر"[١].

هذا ما يخص الشق الأول من وصف النبي (ﷺ) للشعر عندما خصص المقبول منه وغير المقبول اشتراط إقامة الحق ونحن نعلم أنَّ الإسلام هجر ونبذ كل شعر لا يوافق الحق مبني على الغلو والاغراق وبذلك يكون بعيداً عن الواقع لا يعكس ما بالمجتمع وبالفرد وذاته من شعور وكأنَّهُ سبحات من الخيال ولا خير ومنفعة منه، فقسم الشعر قسمين المقبول ما وافق الحق وهو الحسن أمَّا المرذول كل ما جافى وتنافى مع ما جاء به الإسلام فهجنه ورفضه وكل شعر لا يقوم على أساس إيماني عقائدي يخدم النفس الانسانية وفكرها لم يرضَ به النبي (ﷺ) وخير ما نستشهد به قول النبي (ﷺ): ((من قال في الإسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر))[٢]، وقوله: ((لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ له مِن أنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا))[٣].

حيث أكد الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري أنَّ الموقف النبوي من الشعر يتضمن ما ورد عن النبي (ﷺ). إذ وردت الأخبار التي تنقل لنا موقف الرسول (ﷺ) من الشعر بمواقفه المختلفة، نجد فيها الأخبار التي يذم فيها النبي (ﷺ) بالشعر وينهى عن تداوله وروايته[٤].

وخير ما يمثل موقفه هذا نجده في الحديث النبوي الذي ورد عنه والذي اختلفت وجهات النظر حوله وتوسعت مناهج الأصوليين، تجاه بعض تلك الأقوال واستخدموا معيار موافقة العقل أو مخالفة العقل في قبول الحديث النبوي والعمل به وليس هذا فحسب

(١) الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٥٣.
(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ٣٤٨/١ ، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٩/٤.
(٣) صحيح البخاري:٣٦/٨ ، حديث رقم ٦١٥٤.
(٤) ينظر: الاسلام والشعر : ٤٤.

بل وجب علينا النظر إلى النص وفهم المراد منه وجمع الأحاديث التي وردت عن الشعر والأدب كافة كخطوة أولى ومقارنته والاحتكام به للقرآن بعدها نعمل به مع اختلاف السياقات والمواقف التي ورد بها، وقد بوركت جهود الكثير من العلماء في معالجة هذا الحديث وتفسيره وفق الأحاديث الكثيرة التي وردت عن النبي (ﷺ) في مدح الشعر والتمجيد والثناء على ملقنيه والذي ينفي صفة العمومية على الشعر بذمه كله " المراد به النهي عن أنَّ يكون حفظ الشعر أغلب على قلب الإنسان، فيشغله عن حفظ القرآن وعلوم الدين حتى يكون أحضر حواضره، وأكثر خواطره، فشبهه عليه الصلاة والسلام بالإناء الذي يمتلئ بنوع من أنواع المائعات، فلا يكون لغيره فيه مَسْرَب، ولا معه مذهب. وقال بعضهم: إنما هذا في الشعر الذي هُجي به النبي (ﷺ) خصوصاً، والصحيح أنَّهُ في كل شعر استولى على القلب كل استيلاء عموما؛ لأنَّ النهي يتعلق بحفظ القليل مما هجي به النبي (ﷺ) وكثيرة يراعى فيه أنْ يكون غالباً على القلب وطافحاً على اللب"(١).

ويبين أبو هلال العسكري أيضا جهة الصواب في هذا القول كونه التمس حقيقة الذم الذي وصف به الشعر "وأما النقص الذي يَلْحَقُ الشعر من الجهات التي ذكرناها فليس يُوجب الرغبة عنه والزهادة فيه، واستثناء الله عزّ وجل في أمر الشعراء يدلُّ على أنَّ المذموم من الشعر إنما هو المعدول عن جهة الصواب إلى الخطأ والمصروف عن جهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور"(٢).

ونتيجة لذلك لا يمكن الزعم بالقول إنَّ القرآن والسنة النبوية لم يُحرما الشعر ونهى عن قوله، ولم يشجع الشعر من دون توجيه أو انضباط. لذا نجد أنَّ التشجيع أو النهي يجب النظر إليه في ضوء الأحداث التي صاحبت الإسلام وطبيعة المواقف والمراحل التي

(١) المجازات النبوية: ١١١.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٣٨.

شهدها الإسلام، و لا يمكن النظر إلى الشعر بمعزل عن هذه المواقف والمراحل[١]. إذ جاء الاسلام ديناً شاملا لمجريات الحياة كافة يصفه الدكتور وليد قصاب بكونه " ديناً شاملاً يصحح ما أعوج من الفطرة، وما فسد من العقائد والأخلاق والتصورات. وكان الشعر في جملتها. لم يقف الإسلام منه –كما يشيع فريق– موقف العداء، ولم يحمله سَفَه طائفة من الشعراء...، بل رسم له منحى جديداً مستمداً من الإسلام وتميزه. عَدَّهُ نشاطاً ذا بال ما دام هادفاً ملتزماً قيم العقيدة. وقال للشعراء الذين كانوا ينافون الباطل، ويذبون عن الدين. وجعل عليه الصلاة والسلام –من ضروب الجهاد– الجهاد بالكلمة في صورها كافة"[٢]. إذ فيما سبق بين أنَّ هناك نمطاً توجيهياً محذراً من خلال أحاديث النبي (ﷺ) أما الآن نجد نمطاً مناصراً للشعر وذلك عبر توجيه النبي (ﷺ) للشعراء على قول الشعر .

أمَّا نظرة النبي (ﷺ) في الشعراء نجدها في ظل الإسلام واضحة على الرغم من أنَّ الشاعر فقد بعض مكانته التي كان عليها في الجاهلية من خلال الفهم الظاهري لبعض المواقف والأحاديث أو من خلال عدم تفريقهم ما بين المقبول والمرفوض؛ إلَّا أنَّ الإسلام حاول أنْ يرد إليه اعتباره، وأنْ يحفظ له ما فقده من مكانة على أعتاب الجهل وفي واستخدمهم غير الصحيح لتلك الوسيلة بالخبث والضلالة[٣].

إذ نجد نظرة النبي (ﷺ) إلى الشاعر رسالة يحث فيها على الخير والإصلاح، وجعل مهمة الشاعر الأساسية خدمة الإسلام كون الشعر أقرب الفنون لهم، فضلاً عن التعبير عن النفس الإنسانية ويصرح عن مشاعره ومشاعر أمته والدفاع عنها والالتزام بما جاء بالدين الجديد من أسس سليمة، وهذا ساعد في جعل الشاعر يعبر عن إنسانيته بعيداً

(١) ينظر: الإسلام والشعر، فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٠م: ٨٧–٨٨.

(٢) من قضايا الأدب الإسلامي: ٤٧–٤٨.

(٣) النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب ، وليد قصاب ، المكتبة الحديثة، العين، ١٩٨٨م: ٦٩.

عن اللهو وملذات الحياة فيؤدي الشاعر من وجهة نظر الإسلام فائدة كبرى إذا ما عبر عن تلك الموهبة بالشكل الذي يتلاءم مع ما جاء به الإسلام من معايير جديدة تظهر مواهبهم الشعرية بشكل آخر تختلف عما كان يعهدوه قبل الإسلام(١).

ونلحظ أنَّ النبي (ﷺ) قد أحتضن الشعراء، ورحب بهم، وذلك بجعلهم أصحاب رسالة، ورجال مواقف تشهد لهم كلمتهم. من خلال اعطائهم مهمة عظيمة الشأن، ألا وهي الدفاع عن المجتمع والقيم الإنسانية والمثالية الفاضلة التي أتى بها, يدافع بالكلمة، ويستخدم الشعر بصلاح المجتمع، وإشاعة الفضيلة والخير(٢).

وقد حاولنا جمع الأحاديث النبوية التي كان فيها النبي (ﷺ) موجهاً للشعراء بقول الشعر وكانت في أغلبها في استخدامهم الشعر وسيلة دفاعية للرد على المشركين حيث وردت مجموعة أحاديث منها: قول النبي (ﷺ) لحسان بن ثابت: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته. قال: «والله ما يسرني به مقول من معد، والله إن لو وضعته على حجر لفلقه، أو على شعر لحلقه»(٣)، وقوله (ﷺ): ((اهجهم أَو هاجهم وَجِبْرِيل مَعَك)) أو ((اهجهم كَأَنَّك تنضحهم بِالنَّبلِ))(٤)، وقوله (ﷺ) لحسَّان: ((قلْ وروحُ القُدُس معك))(٥)، وقوله (ﷺ) لحسان بن ثابت ((اهجهم يعني قريشاً فو الله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام، في غلس الظلام))(٦).

---

(١) ينظر: الأمالي في الأدب الإسلامي: ٤٩.

(٢) ينظر: النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٦٩-٧٠.

(٣) البيان والتبيين: ١٦٩/١.

(٤) طبقات فحول الشعراء: ٢١٧/١، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.: ١٨٦٨٩.

(٥) دلائل الاعجاز: ١٧، مسند احمد بن حنبل: ١٨٦٧٨.

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٣١/١.

فلو أنَّ الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي (ﷺ) من شعراء يثيبهم على الشعر، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم. ومن الواضح بما مر سابقاً الأحاديث النبوية حث فيها النبي (ﷺ) على قول الشعر، والشعر الذي نلتمسه من تلك المواقف كان شعر الحق والجهاد، وهذا نلتمسه في قول النبي (ﷺ): ((جاهِدُوا المشرِكينَ بِأمْوالِكمْ، وأنْفسِكمْ وألْسنَتِكمْ))[1]، وأنَّ الشاعر الذي يجند ما وهبه الله من ملكة البيان وجمال اللسان، في الانتصار للخير والحق ضد الضلالة والباطل، يحاربون بألسنتهم الرذيلة ويقارعون المشركين وأهل الباطل بكلمات شبهها النبي (ﷺ) وكأنها رمي بالنبل والسهام لقوة تأثيرها ونفاذها إلى نفوسهم التي ملأتها الأحقاد تجاه المسلمين؛ حيث أنَّها لمهمة عظيمة الشأن عند الله ورسوله (ﷺ) وأنَّهم مؤيدون بروح ونفح جبرائيل (عليه السلام) وهو من يشدد أزرهم ويقوي عزيمتهم ولأنَّ كلمتهم هي كلمة الله والنصرة لهُ وبتأييد منه تبقى هي العليا.

والممعن نظراً بتلك الأحاديث يجدها تشجيعاً من النبي (ﷺ) على الشعر ولكن أيّ شعر؟ والإجابة عن هذا السؤال واضحة جداً من المؤكد يخص الشعر الحق الذي يتوافق مع الإسلام والشاعر يكون مؤزراً ومؤيداً من جبرائيل (عليه السلام) حيث وَجَّهَ وشَجَّعّ لنوع معين من الشعر وبذلك مضى بالشعر نحو الأمام وأكد ضرورة الشعر ولكن ضمن الضوابط الإنسانية والإسلامية الجديدة والتزامهم بعض الضوابط والتي كان اهمها الصدق الذي أراد النبي (ﷺ) التماسه في أشعار الشعراء مؤكداً على ضرورة الالتزام به.

إذ إنَّ الصدق من أهم المبادئ التي أتى بها الإسلام وأكد على ضرورة توفرها في الشعر هي مسألة صدق "والصِّدْق: نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْداقاً. وصَدَّقه: قَبِل قولَه. وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق"[2].

(١) صحيح الجامع :٥٩٣/١ ، حديث رقم ٣٠٩٠.

(٢) لسان العرب : مادة (صدق).

وورد أيضاً لدى الجرجاني معنى "الصدق: مُطابقة الحكم للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أنْ تصدق في موضع لا يُنجيك منه إلَّا الكذب. وقيل: الصدق هو ضد الكذب، وهو الإبانةُ عَمَّا يُخبر به على ما كانَ"(١).

بعدما تعرفنا على المقصود من الصدق نلاحظ من الآراء التي صدرت تجاه الشعراء وشعرهم وإنْ كانت آراء فطرية ذاتية انطباعية لكنها كانت تصب في خانة واحد واضحة هي مدى مطابقة الواقع أو مخالفتها لهُ لذا فإنَّ هذه القضية حاضرة وربما اكتسبت تسميات عدة منها الغموض والذي نجده في المبالغة والابتعاد عن الواقع أو الذي ينجم بسبب الإغراق في الخيال والاتجاه نحو واقع غير موجود لربما يمقته العقل البشري لذا انتقدوا الكثير من الشعراء جراء عدم التزامهم هذا المعيار ونجد أنَّ مسألة الصدق حاضرة في أغلب المؤلفات النقدية وفي وعي النقاد في الحكم على الشعراء.

وخير دليل على تبني مفهوم الصدق والالتزام بها ما جاء عن عند النبي (ﷺ) الذي جاء وصفاً لبيت الشاعر لبيد الذي يقول فيه(٢):

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

إذ نجد في حديث عن النبي (ﷺ) يقول فيه: ((أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: ((أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلٌ))(٣)، المراد منها القول الذي وافق الإيمانَ وأقر بربوبية الله عز وجل وصمديته وعلى الرغم من أنَّ الشاعر جاهلي إلَّا أنَّ النبي (ﷺ) التمس التزام الصدق في نصف بيت قاله حيث أنَّهُ وافق الشطر الأول لأنَّ كل شيء

(١) كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١٣٢.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به، حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط١،، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م:٨٥.

(٣) صحيح البخاري:٤٢/٥ ، حديث رقم ٣٨٤١ ، وانظر أيضاً: اشعر بيت قالته العرب، حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ٣٢٣/١.

منقوص وليس باطلاً أمام كمال الله ولم يثنِ على تكملة البيت الشعري بيد أنَّ نعيم الاخرة باقً لا يزول .

ومن هذا المنطلق نجد أنَّ توجيه النبي (ﷺ) نحو التزام الصدق حاضراً فقد ورد عند ابن سلام الجمحي حديثٌ يحث فيه حسان عن التزام الصدق في هجاء المشركين فقد ورد عن النبي (ﷺ): ((اذهبْ إلى أبِي بكرٍ لِيُحدِّثكَ حديثَ القومِ وأيامَهم وأحسابَهم ثم اهجُهُمْ وجبريلُ معكَ))[1].

وينطوي بما في هذا الحديث النبوي دعوته لبعض الشعراء المسلمين ومنهم حسان في أثناء هجائه المشركين واتخذه من الشعر وسيلة إعلامية لنشر الحق والفضيلة بتأليفه مجموعة شعراء يتخذهم للرد على المعادين لهُ وكان أبو بكر يرشد الشعراء على هفوات وعورات القوم لكي يكون شعرهم ملتزم بمبادئ الإسلام [2].

نجد في حديث النبي (ﷺ) أنَّ ما طلبه من حسان الذهاب إلى أبي بكر ليعلمه بعض ما يجب معرفته عن أخبار القوم الذين يود هجاءهم إنَّما هو في الحقيقة طلبه تحري التزام الصدق في هجاء القوم المشركين وأنْ لا يبني شعره على أكاذيب أو تلفيق أو تجنً أو في اتخاذه صفات غير التي فيهم، إذ أتضح لنا في حديثه ذلك النهج الإسلامي الذي أخذ على عاتقه توجيه الشعراء نحوه. ونجد أيضاً تأثر النبي (ﷺ) بأبيات لكعب بن زهير وقد سبق أنَّهُ وعد بقتله لكن ما ألقاه من شعر قد كان سببا في العفو والتجاوز عنه وليس هذا فحسب بل مكافأته أيضاً ووهب له بردته، حيث قال:

إِنَّ الرَّسُـولَ لَنُورٌ يُسْتَضَـاءُ بِـــهِ مُهَنَّدٌ مِـــنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُـولُ

(١) طبقات فحول الشعراء: ٢١/١، السلسلة الصحيحة:٦١٨/٤ ، حديث رقم ١٩٧٠.

(٢) ينظر: النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، داوود سلوم، مكتبة الاندلس، بغداد، ط٢، ١٩٧٠م: ٢٦.

فِـي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْــنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُــوا زُولُوا

شالُــوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَــاءِ وَلاَ مِيلٌ مَــعَازِيلُ[1]

نظر النبي (ﷺ) إليه ببصيرة ثاقبة وحكمة وذوق، حين عدل بأبدال لفظة (الهند) بلفظ الجلالة على ضرورة الالتزام بالتعاليم الإسلامية فضلاً عن الإخلاص والصدق في الشعر وشاعره، وكيف توغلت فيه الروح الإسلامية إلى الأعماق وأنَّ مثل هكذا شعر لا يصدر إلَّا من ضمير أشرب الروح الإسلامية، وتمسك بفضائلها، وذاب روحه في قيمها والمثل التي جاءت بها. لذا كانت إشارة النبي (ﷺ) وإرشاده إلى توخي الصدق، من أجل أنْ يخلق تياراً بطابع إسلامي ونقدي[2].

وروي أيضاً "أن رسول الله (ﷺ) جلس في مجلس ليس فيه إلَّا خزرجي ثم استنشدهم بقصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أجالدهم يــــوم الحديقة حاســرا كأن يــدي بالسيف مخراق لاعب[3]

فالتفت إليهم رسول الله (ﷺ) فقال: هل كان كما ذكر؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسه فجالدنا كما ذكر"[4].

لذا فأنَّ النبي (ﷺ) "سأل مستفهماً يريد الصدق في شعر قيس بن الخطيم، ومن وراء ذلك يريد أنَّ يوجه المسلمين إلى التزام الصدق في أشعارهم"[5].

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد السكري، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠: ٦.

(٢) ينظر: مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، عبد الرؤوف ابو السعد دار المعارف، ط١: ٨٩.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الاسدي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م: ٨٨.

(٤) الأغاني: ١٠/٣.

(٥) قضية الشعر بين الأصوليين والنقاد حتى نهاية القرن الخامس الهجري: ٧٥.

وخلاصة القول نجد أنَّ الصدق لقي الكثير من الاهتمام لدى النقاد ، ومن ثم وجه نظر الشعراء إلى التزامهم من خلال تقديم موضوعات مفيدة وأفكار جيدة تنمي روح الإنسانية وتحقق الأهداف الأخلاقية، وتهيئ لأصحابها تقدير جوانب الخير والمساهمة في التقدم والحث على المثل والفضائل التي يجب اتباعها عبر عرض الموضوعات بصورة صادقة نابعة من مفهومهم لمعيار الصدق(١).

يتضح لنا من موقف الإسلام تجاه الشعر بأنَّهُ موقف يتناسب مع طبيعة الشعر وما يحمله من معانٍ وأفكار إذ لم يحرمه كله بل كان مع الشعر الذي يصلح المجتمع ويبنى على أسس سليمة وأفكار صالحة ويذم كل ما يتعارض معها، إذ كشفت لنا الأحاديث النبوية موقفه من الشعر في كل الحالات التي كان يتلقى الشعر ويلتفت إليه وفي كثير من الأحيان يصدر ملاحظات عنه حتى غدت تلك الملاحظات النبوية النقدية البسيطة من الركائز التي أقيم عليها النقد الأدبي فيما بعد.

إذ كان الشعر في صدر الإسلام والنقد الموجه لهُ والمفاهيم التي صَرَّحَ بها النبي(ﷺ) تجاه الشعر ولادة جديدة يطرح نهجاً جديداً ومفاهيم جديدة أطر الشعر العربي برؤية إسلامية.

وبذلك أوجد مجتمعاً جديداً وفناً جديداً لهُ تلك الثوابت التي تبعد الشعر والفنون الأخرى عن الانحراف وقد اهتم النبي (ﷺ) بالفن الشعري لإحساسه بأهميته وخطورته التي يؤديها في جوانب الحياة كافة ونظراً للمكانة المميزة التي حظي بها ومقدار الطاقة التي يؤديها شجع النبي (ﷺ) عليه ووضع بعض الأسس الأخلاقية والفنية والدينية التي وجب على الشعراء الالتزام بها.

(١) ينظر: قضايا النقد الأدبي : ٦٣.

المبحث الثاني

قضية المفاضلة

المتتبع لقضية المفاضلات في كتب التراث النقدي عند العرب يرى أثرها الواضح في وعي النقاد منذ عصر الجاهلية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، أمَّا بوصف الحديث النبوي الشريف شاهداً حاضراً في هذه القضية يحكم فيه النبي (ﷺ) بين الشعراء أو في إطار استخدام الحديث النبوي في توجيه المفاضلة وبيان منزلته وعظمته فأنَنْا سنبحث في سبر أغوار تلك المدونات واتخاذ الحديث موجهاً نقدياً أدبياً يبين لنا فيصل الحكم لبعض الشعراء وإنْ كانت تلك الأحكام التي أنيطت بها غير معللة إلَّا أنَّها كانت بذرة صالحة لأنْ يرتقي صرح المفاضلات وتطورها شيئاً فشياً وتتحول من أحكام ذاتية فطرية انطباعية غير معللة إلى أحكام معللة تتبع الحجج والبراهين الفنية والعقلية في الحكم على الشعراء.

لذا كان الذوق وما يزال منطلقا للمفاضلات الشعرية، وبقيت مسألة (أشعر الشعراء) تحتل مكانة كبيرة لاسيما في بدايات النقد الانطباعي،إذ وضعت هذه المسألة بداية ومنطلقا لفكرة المفاضلات والنصوص الأولى التي كانت تصب في تقويم الأشعار فيما بين الشعراء بالأسواق الأدبية شاهدا على المفاضلة في النقد العربي في مسيرته نحو الأمام [1].

وأنَّ المفاضلة بوصفها ظاهرة نقدية تكشف عن قدرة الناقد أو الأديب وبيان ملكته في الحكم على الشعراء وفقاً لمجموعة من المعايير التي كانت في بداية الأمر آراء مبتسرة، لا تخرج عن حدود الذوق والفطرة وفيما بعد نهضت تلك المفاضلات وأقيمت على مجموعة قواعد من خلالها يتم الوصول إلى الحكم الدقيق.

(١) ينظر: في قضايا النقد العربي القديم ، حميد قبايلي ، مركز الكتاب الأكاديمي ، ٢٠٢٠م : ١٤٧.

وقضية المفاضلة وحضورها في التراث النقدي القديم أمرً لا بدَّ منه، إذ إنَّ النفس البشرية تحكم وتميز الأشياء وتفاضل فيما بينها والشعر أخذ حظه من تلك المفاضلات التي تمتد إلى عصور ما قبل الإسلام بجذورها المبكرة وممّا لا شكَّ فيه أنَّ النظرة إلى ذلك الشعر تطورت تبعاً لتغير ظروف الحياة وتغير الفكر والوعي لديهم فضلاً عن المفاهيم التي أوجدها الإسلام من فكر عقائدي ومنطلق إيماني قد أضاء للبشرية ونَوَّرَ دروبها وانتشلها من الجهل في أصعدة الحياة كافة.

ولا بدَّ أنْ نبين مفهوم وحدود قضية المفاضلة لدى النبي (ﷺ) والمعايير التي رسمها للحكم بين الشعراء في بعض المواقف وكيف تماشت هذه الأحكام وفقاً لما أتى به الدين الجديد والملاحظ في هذه الأحكام أغلبها كانت تصب في صالح من حمل في شعره تلك المعالم الإسلامية وضمنها شعره إلَّا بالحالات النادرة نجد بعض الآراء النقدية الفنية والتي نجدها في حكم النبي(ﷺ) على امرئ القيس [1] الذي سنتطرق إليه لاحقاً.

والمقاييس التي استخدمت للمفاضلات في النقد الأدبي وإنْ كثرت تلك المقاييس التي اعتمد النقاد عليها في إجراء الموازنات الأدبية وإطلاق الأحكام على الشعراء، إلَّا أنها كانت في بدايات النقد يرجع الحكم فيها إلى مقياس ذوقي تأثري أحيانٍ، وفي حين آخر تعتمد على مقياس ديني أخلاقي[2]، كما وأنَّ أهم مقياس قد استخدمه النبي (ﷺ) من خلال مفاضلته بين الشعراء ، وقد اتسم النقد أبان زمن النبي (ﷺ) بإصدار أحكام مختصرة، وتمثل الغالب منها بأنَّها قائمة على أسس سليمة معروفة، والبعض الآخر منها أقيم على موهبة الذوق والسليقة، من دون الانحراف في الاستدلال على الأسس التي وجدت في حينها، والاهتمام

(١) طبقات فحول الشعراء :١٣١/١ ، الشعر والشعراء : ١٢٦/١ ، العمدة في محاسن الشعر ولآدابه ونقده :٩٣/١

(٢) ينظر: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، أحمد محمد نتوف ، دار النوادر ، ط١ ،١٤٢١هـ - ٢٠١٠م : ٢٥٠.

بالصدق فيها وبيان القيمة السامية التي يتميز بها العمل الأدبي؛ إلَّا أنَّها كلها كانت نظرة وأحكاماً موجزة. ومعيار النقد الموجه إليهم يتمثل بما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف الذي يعتمدون عليه في إصدار أحكامهم الناقدة للشعر والشعراء، وهو أحد أهم الدوافع لظهور النقد الأدبي، وعَدُّوه المصدر المباشر الذي نشأت منه جميع العلوم اللغوية، والموازنة جزء لا يتجزأ من تلك العملية النقدية فأوجد الحديث النبوي الشريف حيزاً يطل من خلاله بإصدار بعض الأحكام على الشعراء(١).

ونجد المفاضلات التي صدرت عن النبي(ﷺ) في هذا الصدد أنها دلت على بصيرة واعية وحكمة مستمدة من وحي القران في أثناء مفاضلته بين الشعراء. و إنَّ أهم ما يميز تلك المدة، أنَّها تتجلى في رفض النبي (ﷺ) للشعر الذي يحمل المفاهيم الجاهلية بكل قيمها، والاتجاه نحو تلك القضية بالوجهة الإسلامية، ومعيار الحكم على العمل الأدبي فيها هو الدرجة التي يتوافق معها أو لا يتوافق مع الحقائق التي حملها الوعي الجديد المتمثل بالدين والأخلاق ممّا فتح الباب لقضية المفاضلة أو ظهورها فيما بين المشركين وشعراء النبي (ﷺ) المسلمين من خلال فن النقائض الذي استجد في العصر الإسلامي(٢).

والباحثون على علم بتلك الحملة الشديدة التي وجهها القرآن الكريم والسنة النبوية ضد الشعر والشعراء، لكانوا أخذو بعض الحذر في حكمهم على الشعراء ، لأنَّ الشعر في حينها كان قويا والعرب تعتز به، وكان الشعراء ينالون من العزة وشرف المرتبة(٣).

---

(١) ينظر: النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٥٦، ظاهرة الإيجاز في النص النقدي العربي القديم: ٤٦-٤٧.

(٢) ينظر: محددات النقد الادبي القديم -دراسة تحليلية- لكتاب (النقد المنهجي) لمحمد مندور: ٤٦.

(٣) ينظر: الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،٢٠١٢م: ٣١.

نتيجة التغيرات التي عصفت بالأمة وبروز الإسلام كان عصر البعثة حافلاً بالشعر، فالخصومة بين النبي (ﷺ) وأصحابه من ناحية، وبين قريش من ناحية أخرى كانت عنيفة حادة؛ لم تقتصر على السيف، بل امتدت إلى البيان والشعر، وإلى المناظرات والجدل وإلى المناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة وغيرها من الذين خاصموا الإسلام وألبوا على المسلمين مما خلق موقفاً للنبي (ﷺ) تجاهها[١].

على هذا الأساس، وضع العهد الجديد معايير جديدة لقياس الشعر، وإنْ لم نجد معايير ثابتة ومعروفة للحكم، وتقديرات لحجم الشعر في عصر ما قبل الإسلام. وهذا المعيار الجديد هو الدين، الذي فتح باباً للصراع بين الشعراء المسلمين والمشركين، كان الأمر أشبه برؤية ما تختفي في نفوسهم يترجموه عبر أبياتٍ وقصائد[٢].

ولقد كان النبي (ﷺ) وهو سيد الفصحاء والعلماء والبلغاء، قد مَيَّزَه الله تعالى بحاسة نقدية توجيهيه، وكان على علم ودراية وعارفاً بمكانة الشعراء ومدى ما يمتلكوه من قدرات فنية، ويدرك ما يمكن أنْ يبلغه ويحققه كل الشعراء. لذا أثرت عنه أحكام نقدية واضحة ودقيقة من خلال حكمه على الشعراء[٣].

ولعل تلك المناقضات بين شعراء مكة المشركين وشعراء المدينة المسلمين هي البداية لفن النقائض في الشعر العربي، وفي ظن الدكتور طه أحمد إبراهيم أنَّ النقد العربي قد نما واتسع مع ازدهار هذه المناقضات وذلك لما كان يتبعها من نقد وإصدار أحكام أو إذعان أحياناً، ويكفي أنَّ نستدل على ذلك بصورة من تلك المناقضات وما تبعها من آراء نقدية[٤]،

---

(١) ينظر: النقد الأدبي في تراث العرب النقدي، نبيل خالد ، غزة ـ فلسطين ، ط٦ ،٢٠١٨م : ٤٥، الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين طه، ط١، ١٩٨٦م: ٢٦.

(٢) ينظر: دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث: ٧٠.

(٣) ينظر: النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٨١، في النقد الادبي عند العرب: ٧٧.

(٤) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري: ٣١.

إذ أنَّ تتبع قضية المفاضلة في كتب التراث النقدي باتخاذهم من الحديث النبوي الشريف حجة للموازنة أو في استخدامه موجهاً في الموازنة بين الشعراء أو في أثناء موازنة أقوال النبي (ﷺ) بغيرها من الأشعار كونه نتاجاً أدبياً مقدسا وتوجيهياً ومن هذه المواقف والأحكام التي وجدت صدى واسعاً، إذ نجد عند ابن سلام[١]، حيث ورد في الخبر "حدثني يزِيد بن عِيَاض بن جعديه أَنَّ النبي (ﷺ) لما قدم الْمَدِينَة تناولته قُرَيْش بالهجاء... فَقَالَ لعبد الله بن رَوَاحَة رد عَني فَذهب في قديمهم وأولهم فَلم يصنع في الهجاء شَيْئا فأمر كَعْب بْن مَالك فَذكر الْحَرْب كَقَوْلِه:

نَصِلُ السيّــوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُماً وَنُلْحِقُـــهَا إِذَا لَـــــمْ تَلْحَــقَ

فَلم يصنع فى الهجاء شَيْئا فأمر حسانا للرد عليهم..." حيث أثار هذا الموقف موازنة عن النبي (ﷺ) بين شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة فقال ((أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى))[٢].

وأنَّ تقدير النبي (ﷺ) لشاعرية حسان، وإدراكه لموهبته كان يستدعيه في الشدائد، ويطلب منه قول الشعر عندما وفد عليه وفد من تميم وفيهم من الشعراء والخطباء اللسن [٣]" نادوا بصوت عال جاف: اخرج إلينا يا محمد، فخرج إليهم، فقالوا جئنا لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال نعم: قد أذنت لخطيبكم فليقم، فتحدث خطيبهم عطارد بن الحاجب، ثم قام خطيب النبي، ثابت بن قيس، فأفحمه، ثم قام الزبرقان[٤]، بن بدر شاعرهم، فأنشد مفاخرا في استعلاء"[٥]:

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ٢١٥/١.

(٢) صحيح مسلم: ٢٤٩٠، نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث، وليد قصاب، المكتبة الحديثة، الإمارات، العين: ٤٩.

(٣) النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٨٢.

(٤) الزبرقان بن بدر (توفي نحو سنة ٤٥هـ/ نحو ٦٦٥م) هو الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، صحابي من رؤساء قومه. قيل إسمه الحصين ولقب بالزبرقان. ولاه رسول الله (ﷺ) صدقات قومه فثبت إلى أيام عمر وتوفي في أيام معاوية، انظر: ديوان حسان، شرح وكتب هوامشه ، عبدا مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م: ١٥٠، الأعلام: ٤١/٣.

(٥) النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٨٢.

نَحــنُ الكِرامُ فَــلا حَــيّ يُعادِلُنا مِنّا المُــلوكُ وَفينا تُنــصَبُ البِيَعُ
وَكَــم قَسَرنا مِنَ الأَحياءِ كُلِّهِم عِنــدَ النِهابِ وَفضــلُ العِزِ يُتَّبَعُ
وَنَحــنُ يُطعَمُ عِندَ القَحطِ مَطعَمُنا مِــنَ الشِواءِ إِذا لَم يُونس القَزَعُ[1]

ناقضه حسان بن ثابت قائلاً:

إِنَّ الذَوائِبَ مِــــن فِهــرٍ وَإِخوَتَهُم قَــــد بَيَّنوا سُنَّةً لِلناسِ تُتَّبَــــعُ
يَرضـــى بِها كُلُّ مَن كانَت سَريرَتُهُ تَقــــوى الإِلَهِ وَبِالأَمرِ الَّذي شَرَعوا
قَــــومٌ إِذا حارَبــوا ضَروا عَدُوَّهُمُ أَوحاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا[2]

فأذعن وفد بني تميم؛ وقال زعيمهم الأقرع بن حابس[3]، "والله إن هذا الرجل لَمُؤتًّى لهُ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا..."[4]، ثم أسلموا جميعاً. فمن الواضح لما سبق ذكره أنَّ صدق فراسة النبي (ﷺ) في تفضيله لحسان، وصواب حدسه وذوقه النقدي فيه، فقد أقرّ لهُ الأعداء أنفسهم، ولما حمل شعره الذي أقبل لهم به، والذي شبهه النبي (ﷺ) أكثر من مرة بوقع النبل أو السهام، على المشركين[5].

ونلاحظ أيضاً كيف استخدم النبي (ﷺ) الشعر بوصفه سلاحاً للدعوة الإسلامية ونلاحظ هذا في إطار تلك المفاضلة التي عقدت بين شعراء المسلمين في هجاء المشركين كيف أحدث كل منهم بقدر ما اشتمل عليه شعره من منزلة وحظوة لدى النبي (ﷺ) وكيف كان أفضلهم في الرد على المشركين وتفضيله لحسان بن ثابت دليل على أنَّ المفاضلة

(١) ديوان شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم، دراسة وتحقيق: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٤٦-٤٧.

(٢) ديوان حسان: ١٥٢.

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. في وفد بني تميم الذين قدموا على رسول الله (ﷺ) فأسلم وكان ينزل أرض بني تميم ببادية البصرة. انظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ٢٧/٧.

(٤) في النقد الأدبي القديم عند العرب: ٧٨، النقد الأدبي في تراث العرب النقدي : ٤٨.

(٥) ينظر: النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٨٣.

كانت مبنية على تلك المواقف الإيمانية لشعر الشاعر بوصفه الأساس الذي تقيم عليه دعائم المفاضلة عند النبي (ﷺ) تابعة لموقف القرآن الكريم. والميزانُ الذي يقيم به مفاضلته والحكم على الشعراء هو ميزان الإسلام ومدى موافقته للقيم النابعة منه ومدى توظيف المعاني الإيمانية مهما كان قدر الشاعر من ذلك الإبداع(١).

ووردت ايضاً عن ابن سلام الجمحي(٢)، وابن قتيبة الدينوري نصوصٌ في قضية الموازنة في تفضيل النبي (ﷺ) للشاعر امرئ القيس في "ذكره حديث النبىّ (ﷺ) في بيان منزلة امرئ القيس بين الشعراء فقال: «هو قائد الشعراء إلى النار» وفى خبر آخر: «معه لواء الشعراء إلى النار» حيث ورد في الخبر قال ابن الكلبي: أقبل قوم من اليمن يريدون النّبى (ﷺ) فضلّوا الطريق، ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء، إذ أقبل راكب على بعير، فأنشد بعض القوم شعر امرئ القيس(٣):

ولَمَــا رَأتْ أنّ الشَّريعَـــةَ همُّها وأنَّ البَياضَ مِنْ فَرَائصِها دامـــي(٤)

تَيَمَّمتِ العَيْـــنَ التي عِنْدَ ضارجٍ يفيءُ عليْها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي(٥)

"فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض(٦)، والظلّ يفىء عليه، فشربوا منه وحملوا ولولا ذلك لهلكو، حتّى بلغوا النبىّ (ﷺ) فأخبروه، وقالوا: أحيانا ببيتين من شعر امرئ القيس.

---

(١) ينظر: التفكير النقدي عند العرب: ٥١-٥٠.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١٣١/١، فقال الرسول ((ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، خامل يوم القيامة، معه لواء الشعراء إلى النار)). وقد ورد عن ابن سلام الجمحي في إن حساناً سئل من أشعر الناس؟ فقال ((أشعر الناس حيا هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب)).

(٣) ديوان امرئ القيس، أعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ١٥٥.

(٤) الشريعة، مورد الماء. فرائصها، فريضة، اللحمة بين الجني والكتف ترعد عند الخوف.

(٥) تيممت: قصدت، أمّت. ضارج: موضع.

(٦) الشعر والشعراء: ١٢٦/١- ١٢٧، العرمض: الطّحلب. الطامي: المرتفع.

فقال النبي (ﷺ): ((ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسيّ في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيمة معه لواء الشعراء إلى النار)) "[1].

ويتابعهم في القضية نفسها أيضاً ابن رشيق القيرواني الذي تحدث عن سر تقديم الشاعر امرئ القيس على غيره من الشعراء ووصفه بأَنَّهُ قائد الشعراء حيث ورد عن النبي (ﷺ) أَنَّهُ قال:

((امرؤُ القيسِ قائِدُ الشعَرَاءِ إِلَى النارِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَحْكَمَ قَوَافِيها))[2].

إذ يُصَرَّحُ ابن رشيق القيرواني بأَنَّ الشعراء كثيرون وكانوا في قبائل وكل قبيلة تفتخر وتتعصب لشاعرها وقلما نجد من بينهم برز نفسه واجتمع أغلبهم على جودة شعره لذا تميز منهم امرؤ القيس الذي ورد حديث عن النبي (ﷺ) نحوه مبيناً منزلته بين الشعراء وعقابه وأعطى سبب تفضليه.

نلاحظ في حكم النبي (ﷺ) لأمرئ القيس لم يكن متعصباً في كونه قد اتخذ من الدين مقياساّ للحكم بل جعل أيضاً من القدرة الفنية وأجادت الشعراء في استخدامهم تلك الموهبة سبباً للحكم والتفضيل ونجد ما ورد عن النبي (ﷺ) في هذا الحديث النبوي تجاه الشاعر، أدرك النبي (ﷺ)، وتميزه بحس نقدي مرهف وموهبة عالية في تذوق الشعر وإنْ لم يكن الشاعر إسلاميا، إنَّما جاء تمييزه بوصفه شاعراً بين الشعراء وبجعله أشعر الشعراء، إبرازا لمكانته، إذ نجد النبي (ﷺ) في حكمه والاعتراف بأَنَّهُ شاعر وقبول نتاجه شيء مقر به بغض النظر عن توجهه الديني ويقول الدكتور وليد قصاب بأَنَّ الحكم، "أشار فيه النبي إلى الملكة الفنية العالية التي يتمتع بها هذا الشاعر والتي تجعله على رأس الشعراء، ولكن الإقرار بالشاعرية– وهو من العدل والإنصاف شيء، وقبول هذا الشعر أو رفضه شيء آخر"[3].

---

(١) الشعر والشعراء: ١/١١١–١١٢ ، مجمع الزوائد :١/١١٩ ، حديث رقم ٤٦٧

(٢) العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده: ١/٩٣. ضعيف الجامع:١٨١ ، حديث رقم ١٢٥١.

(٣) النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب: ٨٤.

أمَّا ابن المظفر الحاتمي فنجد حديث النبي (ﷺ) موجهاً للمفاضلة لديه في أثناء عرضه لأنصف بيت قالته العرب من الشعر بإيراده أبياتاً لحسان بن ثابت وكان شاهد قوله واختياره نابعاً وتابعاً لذوق النبي (ﷺ) من خلال تعليق النبي (ﷺ) عليها فالموقف هنا عقد بحضوره وفصل الخطاب وحكمه ما ورد عن النبي (ﷺ) حيث يقول "أخبرنا عبيد الله بن أحمد النحوي قال أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال، أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن أبيه قال: أنشد النبي (ﷺ) ابياتاً لحسان بن ثابت يمدح النبي (ﷺ) ويهجو أبا سفيان في قصيدة يقول فيها:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْــهُ وَعِنْــدَ اللَّهِ فِــي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فقال لهُ النبي (ﷺ) :((جزاؤك على الله عز وجل الجنة ياحسان)) فلما انتهى الى قوله

فَإِنَّ أَبِــي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِــي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُــمْ وِقَاءُ

قال لهُ النبي (ﷺ) : ((وقاك الله حر النار)) فلما قال :

أَتَهجوهُ وَلَــــستَ لَهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُمــــا لِخَيرِكُما الفِداءُ[1]

قال من حضر "هذا أنصف بين قالته العرب" [2].

وإنْ دَلَّتْ هذه المفاضلة على شيء فأنَّها تدل على حرص النبي (ﷺ) في حكمه وممّن تابعه من النقاد والرواة العرب حيث إنَّهُ فتح باباً واسعاً لمفاضلة هذه الأبيات بسائر الأبيات الشعرية التي قالها الشعراء وقد فضلت من لدن النبي (ﷺ) وقد أجاد وأحسن حساناً فيها .

في المواقف السابقة الذكر نجد أنَّ الحديث النبوي كان لهُ الفصل في توجيه الحكم على الشعراء وأنَّ المقاييس التي تم الأخذ بها في المفاضلة هي مقياس الدين والأخلاق

(١) حلية المحاضرة في صناعة الشعر : ٣٣٠، ديوان حسان: ١٧.

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر : ٣٣٠.

وأنَّ تلك المناظرات (النقائض) التي اشتدت فيما بين المسلمين والمشركين كانت بداية عهد جديد سارت عليه المفاضلات.

ويتضح ممّا سبق بأنَّ سلامة الألفاظ وجودتها وما تميزت به قيم أخلاقية ودينية وعقائدية كانت سبباً في تفضيل بعض الشعراء على غيرهم أثناء المفاضلة بينهم حيث كشفت لنا تلك المفاضلات عن القيمة الفنية وكذلك الأخلاقية التي وظفت في تلك النصوص.

المبحث الثالث

قضية الأقتباس والسرقات

عَرَّفَهُ محمد بن عبد الرحمن الشافعي الاقتباس بأنَّهُ "يُضَمَّنُ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنَّهُ منه"(١)، وعُرِّفَ أيضاً بأنَّ "الاقتباس في البديع العربي أنْ يتضمن الكلام نثراً أو شعراً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف"(٢).

حيث نهج الشعراء في استيحاء معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومفرداتهما وقاموا بتقليد أسلوبهما مستفيدين من تلك الأبنية والتراكيب التي لا يجدونها في باقي الأعمال الأدبية ، إذ يمثلان ذروة البلاغة والفصاحة وأشرف المعاني.

أما السرقة فأنها تعني أخذ الشاعر شعر غيره لفظاً أو معنى أو من خلال نسبته إلى نفسه أمَّا دراستنا للسرقات فسوف تختلف قليلا وذلك ؛ لأنَّ المعني بالدراسة في إطار السرقات هو الحديث النبوي باتخاذه موجهاً نقدياً لهذه القضية ، إذ نجده فتح أفاقاً جديدة للسرقة الحسنة كون الحديث النبوي منهلاً عذباً اغترف منه الشعراء يأخذون من ألفاظه ومعانيه التي وجدوها " تحرر من حوشي القول ومسترذل التشبيه أو التركيب فهو (ﷺ) لم يتأثر في ذلك بطبيعة البداوة وقساوة البيئة..."(٣).

وأنَّ البحث في اتخاذ الحديث النبوي موجهاً لقضية الاقتباس و السرقة دفع النقاد إلى دراستها ولارتباطها بالحديث النبوي نلاحظ كيف اتخذ الشعراء من كلمات وأقوال النبي (ﷺ) في شعرهم فضمنوه أشعارهم ، واتخذوا من ألفاظ الحديث النبوي ومعانيه وساماً لإشعارهم

(١) تلخيص المفتاح، الشافعي، المدينة العلمية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م: ٢١١.
(٢) علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط١: ١٢٧.
(٣) في الحديث الشريف والبلاغة النبوية: ٥٠.

وبياناً لمقاصدهم ورفعاً لمقاديرهم لما احتوته تلك الأحاديث من الحكم والأمثال وقمة ضروب التعبير والجودة، ودقة الوصف، وقد يتساءل البعض أنَّ دراسة هذا المبحث كان بعضها مرتبطاً بين النقد والبلاغة ومنه والجواب أنَّ النقاد في دراستهم يفصلو بين النقد والبلاغة ومن ثم تداخلت مباحثهما مع بعضها البعض ، لذا تناولت هذه القضية من الجانبين النقدي والبلاغي، الأقتباس بأن يضمن شعره حديثاً نبوياً فو قضية مستحسنة أو أخذ الشاعر معنى الحديث النبوي الشريف وتصرف بلفظه فهو سرقة.

لذا نجد في مؤلفات النقد والبلاغة أنَّ قضية الاقتباس والسرقة أخذت حيزا واسعا، لذا سنتطرق إليها من ناحيتين النقد والبلاغة محاولين قدر الإمكان تعزيز حجتنا بالأدلة البينة والواضحة عند دراسته في مجمل تلك القضايا، التي تخصُّ النقد والبلاغة على حدً سواء والكشف عن بعض الجوانب المحمودة تجاهها كون أنَّ أغلب النقاد جعلوها من أكبر مساوئ الشعراء ؛لأنَّ الموجه بدراسة هذه القضية هو الحديث النبوي الشريف سنرى كيف لفت أنظار بعض الشعراء للأخذ منه واقتفاء أثره وأخدوا منه لفظاً أو معنى في أشعارهم لذا فأنَّ حضور الحديث النبوي في كونه الثقافي و الديني تأثير واضح في أشعار الشعراء، فقد أثرت وألهمت الكثير في مختلف الفنون ولم ينقطع التواصل بين الدين والشعراء العرب منذ ولادة الإسلام، وهذا واضحٌ، إذ إنَّ الشاعر يحظى بالرفعة بسمو الأفكار والمعاني عند محاولته استيعاب المحتوى الديني في أشعارهم، ومن ثم ألهم الشاعر في الخروج بفكر جديدة لم تكن حاضرة في ذهن المتلقي أو من خلال إظهار القيمة الدينية التي من شأنها أنْ تحدث أثر في مشاعره " فالشاعر عند توظيفه للنص واستلهامه من الحديث النبوي الشريف هو استلهام لجعل نصه يقف على أرض صلبه فهو جانب ديني يجعله يستند عليه بنيانه لجعله سقفاً سامياً لبلاغة النص وروعته فأنَّ إحساس الشاعر بصورة عامة فكل من النبي(ﷺ) والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته والفارق بينهما أنَّ رسالة النبي

(ﷺ) رسالة سماوية وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته ويعيش غريبا في قومه محاربا منهم أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم"[١].

ممَا خلق لدى الشاعر الرغبة في التطلع لهُ واستيعابه لتلك المعجزة البليغة المتمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف ويحاول أنْ يجلب للقارئ كل ما وجده في الدين الجديد الذي يصَرَحَ به عن طريق الشعر ويقوي حجته "عن طريق استحضار الشاعر للنصوص الشريفة المقدسة يضفي على نصه الشعري رؤية فكرية للموضوع الذي يريده مما يزيد للنص ثراء وقوة وترتبط ويعزز الغرض أو الفكرة التي يطرحها ضمن سياق قصائده ومعتقدات وميوله"[٢]، فالدين وما حواه بيت الحكمة والقيم والأخلاق ومنه يستمد الناشئون أفكاراً وصوراً تقوي به أفكارهم الإبداعية.

ويذكر الدكتور شوقي ضيف أنَّ ما أمتلكه الحديث النبوي من لغة سليمة وألفاظ رقيقة عُدَ لدى الشعراء من الكنوز الثمينة وأخذوا يستمدون منه بعض الأفكار أو الألفاظ في كتابة أشعارهم ما أضاف إليها ذلك البعد العقائدي والديني في تصورهم للمواقف والحوادث ، إذ كان الحديث يمتزج مع حياة العرب ويفسر بعض أحوالهم ويوجه أفكارهم[٣].

أمَّا في بدء حديثنا عن جانب الاقتباس من الحديث النبوي الشريف ومايندرج تحته من مفاهيم آخرى نجد هذا الآمر واضحاً عند الدكتورة هند حسين طه في نص تقول فيه: "والسرقات الأدبية فن له أهميته في الدراسات البلاغية؛ ولهذا فقد اعتنى بها العرب قديماً وحديثاً، وأفردوا لها –كما ذكرنا– المؤلفات. وعني بها الباحثون المحدثون وأولوها اهتماماً

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م: ٧٧.

(٢) ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي (رسالة ماجستير)، زياد جايز الجازي، جامعة مته عمادة الدراسات العليا، ٢٠١١: ٢٩.

(٣) ينظر: العصر الإسلامي : ٤٠.

كبيراً، لأنها السبيل الوحيد الذي يوصل الناقد لمعرفة إبداع الأديب، ومقدرته على الابتكار، ومقدار أخذه عن الآخرين"[١].

حيث تكشف هذه الخصائص البلاغية عن قدرة الشاعر ومعرفته الثقافية، وسعة اطلاعه والحديث النبوي الشريف جزء من ثقافة الشاعر الدينية حيث يسعى بعض الشعراء جاهداً لاستحضار بعض التراكيب الموجودة في الحديث النبوي الشريف، وتوظيفها لتعميق رؤيته، ودعم موقفه، وهذا ما سنتطرق إليه:

الاقتباس:

إذ بدأوا الشعراء يقتبسون من الحديث النبوي وبلاغته وأسلوبه المميز أبياتاً شعرية وكان نصيبه وافراً من الاقتباس ،إذ توافد الشعراء على معانيه ومفرداته لتقوية حجتهم الشعرية وإغناء ألفاظ شعرهم ومعانيه بالقيم الإسلامية[٢].

وإنَّ تتبع هذه الخصيصة في شعر الشعراء وكيف أخذوا يقتبسون من ألفاظ الحديث النبوي الشريف في أشعارهم ألتفت النقاد لهذه المسألة في النقد العربي حتى نهاية القرن الخامس وأهم الكتب قد اختصت بهذا النوع نجدها في كتاب (البديع) لابن المعتز (٢٩٦هـ)

إذ عالج مشكلة السرقات وفطن إلى أنَّ السرقة قد تكون لوناً من ألوان البديع وتطرق إلى هذا النوع من السرقات التي تكون في الأقتباس من الحديث النبوي وكان محط الاهتمام بهذه القضية حينما عَرَّجَ بكلامه على الشاعر أبي تمام وكيف ضمن شعره حديثاً نبوياً[٣].

---

(١) النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ١٨٨.

(٢) ينظر: الاسلام والشعر، سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م: ١٩٤.

(٣) ينظر: مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة ، محمد مصطفى هداره، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨م: ٩١.

حيث يقول أبو تمام:

جَــلا ظُلُماتِ الظُلْــمِ عَن وَجهِ أُمَّةٍ أَضاءَ لَها مِــن كَوكَبِ الحَقِّ آفِــلُهْ[1]

يصرح أنَّهُ أخذه من قول الرسول: ((الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيَامَةِ))[2].

نجد في وصف النبي (ﷺ) وحديثه عن الظلمات إشارة إلى من أضل سبيل المعروف في الدنيا ولم يخبئ لأخرته ما يضيء عتمتها من خلال عدم إسداء المعروف للناس وسوء معاملته وأخلاقه ممّا جعله الله في ظلمات يعاني فيها عدم إبصاره وسوء حالته.

إذ استمد الشاعر من معنى ولفظ الحديث النبوي الشريف وصفه لخلافة المعتصم وكأنَّهُ اضاء للناس ظلماتهم وأنَّ خلافته أزالت ظلمات طريقهم من خلال إسداء فضائله والأعمال الإنسانية الخيرة التي قدمها لأمته من إحقاق حقوق الناس وإزالة ظلم الرعاة وإرجاعه الحقوق المسلوبة وبذلك إنار دروبهم[3].

وخلاصة القول إنَّ "العادة يكون المختار لتضمينه أو للاقتباس منه آية من آيات البلاغة، لما فيه من اختيار لفظ أو قوة معنى، وقد بلغ من النفوس مبلغا من الإعجاب صلح معه أنْ يجري على ألسنتهم ويصبح مثلا سائراً جديراً بالإعادة والتكرار"[4]، والحديث النبوي من آيات البلاغة من بعد القرآن الكريم وهو أولى بالحفظ والتكرار لما امتلكه من جزالة لفظ وقوة المعنى ودقة وصف .

---

(١) البديع : ٢٦، شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدمه ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م : ١٤/٢.

(٢) البديع : ٢٦، صحيح مسلم :١٩٩٦/٤ ، حديث رقم ٢٤٤٦.

(٣) ينظر: حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي (رسالة الماجستير)، نداء محمد عز الدين ومحمود الحرباوي، جامعة الخليل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٨١-٨٢.

(٤) السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة: ١٦٩.

البديع:

ونحن نتحدث عن السرقات كان لابدَّ من أنْ نقف عند هذه المسألة كونها تمثل عمود السرقات ؛ لأنَّ السرقة لا تكون في تلك المعاني المتداولة التي يتناقلها الشعراء فيما بينهم وإنَّما تكون في البديع المخترع(١).

إنَّ النقاد عَدَّو تلك المعاني الجديدة المبتكرة خصيصة مميزة تجعل من الأخذ بها سرقة سواء كانت شعراً أم نثراً فعدوا الحديث النبوي الشريف كالنجمة الساطعة التي يتوافد إليها شعراء ويستمدون منها أفكاراً جديدة وهذه الميزة لا يقدر عليها إلَّا الشاعر المتمكن الذي يميز ما بين تلك الألفاظ ويعرف المخترع منها والمتداول الذي لا يحق لأحد ادعاء السرقة فيه.

وقد وردت مسألة كيف بدأ الشعراء تضمين أشعارهم بعض أحاديث النبي (ﷺ) التي مثلت التراكيب والمفردات الجديدة التي جاء بهاعند أبي محمد الحسن بن وكيع (٣٩٣هـ) حين صَرَّحَ بأنَّ بعض الشعراء استخدموا بعض التراكيب المبتدعة من قبل النبي (ﷺ) ووظفوها في اشعارهم وبين من أجاد وأحسن في استخدامها.

خَودٌ جَنَت بَينـي وَبَينَ عَواذِلي حَرباً وَغـادَرَتِ الفُـؤادَ وَطيسا(٢)

"الوطيس: التنور، أوّل من تكلم بها رسول الله (ﷺ) قال: ((الآن حمِيَ الوطيسُ))(٣).

(١) ينظر: الموازنة بين شعري ابي تمام والبحتري: ٣٤٦/٢، العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده: ٢٨١/٢.

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، ابو محمد بن علي بن وكيع، منشورات جامعة بنغازي، ط١، ١٩٩٤م: ٣٨٧، ديوان المتنبي: ٥٨.

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي: ٣٨٧، صحيح الجامع: ٢٧٥١.

إذ جاء بالحديث لبيان توظيفه ذلك المبتدع لتشبيه أشتداد القتال (الوطيس) الذي هو من صفات الحرب بعواذله وكأنَّهم في حرب حمي لها قلبه فكان كالوطيس، فأمَّا قول أبي تمام:

فتركْتَ تلك الأرضِ فَصْلاً سَجْسجاً مـــن بَعْد ما كادت تكُـــونُ وَطِيسَا[١]

وهذا الكلام أصح من كلامه والأقسام أصح من أقسامه؛ لأن السجسج[٢]، ضد الوطيس وليس الحرب ضد الوطيس فأبو تمام أحق بمعناه"[٣].

وذلك لأنَّ أبا تمام في شعره نجد السلاسة والسهولة وأظهر أيضاً انطباعه وعدم تكلفه على العكس ممّا نجده في شعر أبي الطيب حيث نجد التكلف والصنعة وإيراده للحديث النبوي بالشكل والمضمون وليس فقط استيحاء الفكرة والنظم على منوالها فضلاً عن ذلك فقد عَقَّدَ المؤلف هنا موازنة ما بين شعر الشاعرين وبين أيهما أجاد في أخذ ذلك المعنى وتوظيفه في شعرهما ولا ننسى أنَّ هذا الأخذ يدخل في أطار البديع كون أن ((حمى الوطيس)) أول من نطق بها هو النبي (ﷺ) وأنَّ من أتى من بعده فهو متبع.

نظم المنثور (العقد):

العَقْد: العَقْدُ لغةً نَقِيضُ الحَلِّ... والعُقْدَةُ: قِلادَةٌ. والعِقْدُ: الخَيْطُ يُنْظَمُ فِيهِ الخَرَزُ، وَجَمْعُهُ عُقُودٌ. وقد اعْتَقَدَ الدُّرَ والخَرَزَ وغَيْرَهُ إِذا أَتَّخَذَ مِنْهُ عِقْداً"[٤].

---

(٣) شرح ديوان أبو تمام: ٣٧٠/١.

(٢) السجسج: هو الهواء المعتدل الذي لا حر فيه ولا برد يؤذي وشاهد القول هذا ((أن ظل الجنة سجسج))، انظر: معجم مقاييس اللغة: ٦٤/٣.

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه في أظهار سرقات ابي الطيب المتنبي: ٣٨٧.

(٤) لسان العرب: مادة (عقد).

وفي الاصطلاح يذكر سامي مكي العاني بأنَّ (نَظْمُ) المنثور من الكلام شعراً أو هو الاقتباس الحرفي لنَصَّ الحديث النبوي وإقامة الشعر من خلاله[١]، وورد في البديع لأسامة بن منقذ تعريفٌ للحل والعقد حيث عَرَّفَهُ بأنَّه "ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب، وهو أنْ يأخذ لفظا منثُورًا فينظمه أو شعرا فينثره"[٢]، ومنه قول الشاعر:

احفَظْ لِسانَك أنْ تقــولَ فتُبْتلَى إنَّ البــلاء مُــوكَّلٌ بالمنطِــقِ[٣]

نجده أخذ نص الحديث النبوي الشريف وجعل عجز البيت مطابقاً تماماً لما ورد عن النبي (ﷺ) : ((البلاءُ مُوَكَّلٌ بالمنطِقُ))[٤]، إذ لم يغير ما به من ألفاظ فقد رَكَّزَ على جعل منثور الكلام شعراً من خلال إقامة أركان الشعر من الوزن والقافية والشطرين وبذلك يدخل ضمن نظم المنثور (العقد) ؛لأنَّه أخذ المنثور برمته لفظاً ومعنى في شعره وأنْ يأخذ معنى نص نثري دون لفظه كما في عقد الحديث في قول الإمام الشافعي[٥]:

عُمــدةُ الدِّينِ عنــدنا كلماتٌ أربــعٌ مِن كَلامِ خيــرِ البرية!

اتــقِ الشبهاتِ وازهَد ودَع ما ليس يَعنِيــك واعمَلَــن بِنِية

حيث أنَّه عقد بعض أقوال النبي (ﷺ) منها قوله:

((الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما أُمُورٌ مُشَبَّهَاتٌ))[٦]، وقوله: ((من حسنِ إسلامِ إسلامِ المَرءِ تركُه ما لا يعنيه))[٧]، وقوله ((إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ))[٨].

---

(١) ينظر: الاسلام والشعر : ١٩٥.

(٢) البديع في نقد الشعر: ٢٦٥.

(٣) الاسلام والشعر : ١٩٦.

(٤) ضعيف الجامع : ٢٣٧٩.

(٥) التضمين في التراث النقدي والبلاغي (رسالة ماجستير)، ربى عبد القادر أحمد، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٩٩٧م: ١٤١.

(٦) صحيح البخاري: ٢٠٥٠.

(٧) سنن الترمذي: ٢٣١٧.

(٨) صحيح البخاري: ١.

ويعرف العقد بأنه "عبارة عن نظم النثر لا عن طريق الاقتباس"[١]، حيث جعل من هذه الأحاديث النبوية القصيرة الموجزة عبارة عن سلسلة من الأبيات الشعرية يعقد الحديث تلو الآخر وكأنه سلسلة كل واحد منها يأخذ ويكتمل معناه من الذي قبله والذي يأتي بعده لذا عكف الشعراء على تزيين وتوشيح أشعارهم بهذه الأحاديث النبوية وعقدوا من ألفاظها أبياتا شعرية وحكم واعية.

أمَّا حضور هذه المسألة في التراث النقدي فوردت في باب نظم المنثور عند كُلٍّ من ابن مظفر الحاتمي وابن وكيع وابي هلال العسكري ولنقدم تصورهم عن السرقات ثم نبين كيف عقدوا من أحاديث النبي (ﷺ) شعراً بأخذه معنى دون لفظه أو بأخذه لفظاً ومعنى، إذ نجد عند الحاتمي في فصل "نظم المنثور" الذي يقول فيه "ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرق، تلبسه اعتماداً على منثور [الكلام] دون منظومه، واستراقاً للألفاظ الموجزة، والفقر الشريفة، والمواعظ الواقعة، والخطب البارعة"[٢].

وهذه إشارة واضحة إلى أنَّ الشعراء يأخذون من منثور الكلام بما فيه الخطب والأقوال وهذه حيلة جديدة يتخذها الشعراء لإخفاء سرقاتهم والمقصود بها أنَّ بعض الشعراء تأخذ "الفقرة الشريفة" أي بأخذ أحاديث النبي (ﷺ) وغيرها من أحاديث الأئمة والخطباء ويعملون بيتاً شعرياً على نسجه بأخذ بعض ألفاظه أو فكرته وهذا ما نجده عند أبي العتاهية الذي يصفه الدكتور بدوي طبانة "لا يكاد يخلو شعره ممن تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة"[٣]، إذ يقول:

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م: ٥٣٢.

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ٩٢/٢.

(٣) مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة: ١٩١.

افرح بمـا تأتيه مـــن طَيِّبٍ إنَّ يد المعطـــي هـــي العليا[١]

أخذه من قول النبي: ((اليد العليا خير من اليد السفلى))[٢].

حيث نجده أخذ بعض اللفظ، الذي وجدناه في قول النبي (ﷺ) إلَّا أنَّهُ أخل ببعض المعنى وصياغة البيت الشعري[٣]. ونلتمس هنا سرقة تكاد تخفى لكنها لا تخفى على أهل العلم والدراية بأخبار العرب وأقوالهم ومآثرهم.

وابن وكيع أيضاً يُصَّرح بأنَّ المتنبي أخذ بعض اللفظ مع معناه من حديث النبي (ﷺ) الذي يقول فيه: ((ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا مستقر الجنة والنار وقريب يفرق جيران ديارهم الأعمار))[٤]، إذ منها أخذ المتنبي قوله:

ذر النَّفس تأخذُ وسعها قبـل بَيْنها فمفتـــرقٌ جاران دارهمـا العُمْر[٥]

نجده هنا قد أخذ اللفظ والمعنى معاً وقام بإيراد بيت شعري مراعياً ما يتلاءم مع الشعر من الوزن والقافية وإدخاله بعض التغييرات على نص الحديث النبوي فَقَدَّمَ وآخَّرَ ونجد هذا قد دخل في مضمار نظم المنثور.

ويتابعهم في ذلك أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) الذي قدم لنا رأياً حسناً في تصوره ودراسته لمشكلة السرقات حيث تناولها وقدمها بشكل يبعد عن الأذهان تلك التصورات القديمة التي قيلت بالسرقات الشعرية ،إذ نجده فصل القول في السرقات قائلاً: "ليس لأحد

(١) حلية المحاضرة في صناعة الشعر : ٢/٩٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٩٢، متن الحديث «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ.» صحيح البخاري:١١٢/٢ ، حديث رقم ١٤٢٧.

(٣) ينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر : ٢/٩٢.

(٤) المنصف للسارق والمسروق منه في أظهار سرقات ابي الطيب المتنبي: ٧١٤، تخريج احاديث احياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي واخرون، تخريج: ابي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ١٨٦٣/٤.

(٥) المنصف للسارق والمسروق منه في أظهار سرقات ابي الطيب المتنبي : ٧١٤، ديوان المتنبي: ١٨٩.

من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدمهم والصب على قالب من سبقهم، لكن عليهم، إذا أخذوها، أنْ يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويوردوها في معارض من تآليفهم في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق ممن سبقهم إليها"(١).

حيث يُصَرَّحُ هنا أنَّهُ لا غنى للشعراء عن أشعار أو خطب وأقوال من سبقهم وأنْ يكون مطلعاً عليها وعلى الفنون الأدبية الأخرى كافة، ولكن اشترط في اطلاعه واستمداده للأفكار من قبلها أنْ يكون طرحه مختلفاً يظهر لنا شخصية الشاعر وآراءه وأفكاره وتصوراته وتخرجه من دائرة السرقة وإنَّ المعاني متاحة للجميع لكن الطريقة تكمن في كيفية استخدامها وطرحها في خلق افقٍ واسع للشاعر ولابدَّ من التذكير بأنَّ الاقتداء بالشعر أو النثر كان من مميزات الشاعر الحسن الذي يتميز به.

إذ لم يعد أبو هلال العسكري السرقة عيباً أو مخالفة أو ذنباً يرتكبه الشعراء ، إنَّما عَدَّها ركناً من أركان بناء القصيدة أو العمل الأدبي لأجل استكمال دعائم البناء الفني وهي حتمية لا يمكن لشاعر أنْ يغادرها أو ينجو منها وعَدَّها نوعاً من تداول المعاني فيما بين الشعراء ولكن اشترط حسن النظم والتعبير والصب في قوالب جديدة حتى يخرج من تلك الدائرة التي تقضي على العمل الأدبي وتقدح في فنية وقدرة الشاعر ولا ضرر من أجل الاقتداء بمن سبقه ليرسخ فكرة أو معنى باسلوب حسنٍ(٢).

لذا نجده في كتابه قدعقد فصلين لتلك القضية هما "حسن الأخذ وقبح الأخذ "وما يهمنا في بحثنا هو "حسن الأخذ" حيث تطرق في حسن الأخذ وحل المنظوم "إشارة

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٦.

(٢) ينظر: تطور المصطلح النقدي، دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام (كتاب الموازنة انموذجا) (رسالة ماجستير)، أمزيان سهام، جامعة وهران، كلية الآداب، ٢٠١٥م: ٢٠٠.

واضحة إلى قضية مهمة ألا وهي الحل والعقد وأنَّهُ عقد حديثاً برمته" حيث نجد في البيت المنسوب للعسكري الذي يقول فيه:

يسعـــــى بذمَّتِهم أدناهُمُ وهـــــمُ يدٌ علــى من سواهم حَيثُمُا كانــوا[1]

إذ كتب بيتاً شعرياً عندما سمع قول النبي (ﷺ): ((يسعى بذمَّتِهم أدناهُم وهم يدٌ على من سواهم حَيثُمُا كانوا))[2].

إذ أخذ ابو هلال العسكري معنى ولفظ الحديث النبوي كاملاً وهذا يدحل ضمن (العقد) وأنَّ ما وقع هنا لم يكن التشابه بين البيت الشعري والقول الذي أَثِرَ عن النبي (ﷺ) لم يكن توارد خواطر أو تشابه بل هو تكرار لما قيل ولربما يكون السبب في الاقتداء بالحديث النبوي وأهميته أو لبيان أنَّ الكثير من كلام النبي (ﷺ) ما صح وزنه ولو حولناه إلى شعر لم نواجه مشكلة؛ لأنَّه قد امتاز بتناسب الحروف والشطرين وكأنَّه قول موزون مقفى وأنَّ كثيراً من المنثور يصح أنْ يصبح منظوماً مجرد إقامة الوزن والقافية واستعمال الأشطر المستوية.

وفي النهاية لا بدَّ من الإشارة إلى انَّ نظم المنثور من أخطر أنواع السرقات، إذ يجد فيه الشعراء متسعاً ووفرة من المعاني أمامهم التي نظمها السابقون من الكُتَّاب والحكماء والبلغاء والخطباء فشرع الشعراء يأخذون من تلك المعاني المبتدعة والتي لم يستطيعوا المجيء بمثلها بوصفها كنزاً من التراكيب الحاضرة أخذوا ينظمون فيه أبياتاً شعرية[3]، والحديث النبوي الشريف امتلك أفضل الصفات التي وردت لفظاً ومعنى وأعذب الأساليب وأدق التفاصيل فكان نصيبه من النظم كبيراً.

---

(١) كتاب الصناعتين : ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢١، متن الحديث "المسلمون تتكافأُ دماؤهم، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أدناهم، ويُجِيرُ عليهم أقصاهم، وهم يَدٌ على مَنْ سِواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ على مُضْعِفِهِمْ، ومُتَسَرِّيهِم على قاعدهم. لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عَهْدٍ في عَهْدِهِ" سنن أبي داود :٩٢/٨ ، حديث رقم ٢٤٥٧

(٣) ينظر: السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها: ١٩٠.

السرقات

أما دراسة موضوع السرقات نجد أول ما يطالعنا في هذه القضية ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) حين تطرق إلى مسألة السرقات في حديثه عن أخبار الشعراء وتراجمهم، إذ إنَّ ابن قتيبة لم يستخدم في ايراد أخبار الشعراء الإسلاميين والجاهليين بلفظ السرقة وارجعها إلى مسألة التوارد بدلاً من السلب والإغارة ربما كان يلطف تلك المصطلحات واستعمل الأخذ بدلاً عن السرقة في أثناء عرضه الشعراء الإسلاميين والجاهليين(١).

أمَّا استشهاده بالحديث النبوي الشريف باتخاذه موجهاً لقضية السرقات جاء عند مسألة الآخذ الذي التمسه عند بعض الشعراء لأحاديث رويت عن النبي (ﷺ) من خلال ترجمته للشاعر أبي نؤاس حين تعرض لخبيث هجائه قوله للفضل الرقاشي(٢):

وجدنا الفضل أكـــرم مـــن رقاشٍ لأنَّ الفضـــــل مولاه الرســـولُ

فلـــو نضح القفا منـــــهُ بمـــاءٍ بدا الينبوت منـــــــهث والفسيلُ(٣)

إذ ذهب أبو نواس إلى قول النبي (ﷺ): ((أنا مولى من لا مولى له))(٤).

ونلاحظ أنَّ الشاعر قد أمد معاني بيته الشعري من الحديث النبوي حتى انصهر واتحد بمضمونه من خلال السياق الشعري الذي أظهر فيه الشاعر قدرته وبراعته في استحضار الحديث النبوي والتمثّل به في شعره ولكن من دون التصريح به وبهذا عند النقاد أخذ

(١) مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة : ٨٣.

(٢) الشعر والشعراء: ٨١٣/٢، الفضل الرقاشي (هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش. وهو من ربيعة، وكان مطبوعا سهل الشعر، نقيّ الكلام، وقد ناقض أبا نؤاس، وفيه قال ابو نؤاس هذه الأبيات) له ترجمة في الاغاني: ٢٦٠/١٦.

(٣) الشعر والشعراء: ٨١٣/٢، ديوان أبي نؤاس الحسن بن هاني، حققه وضبطه وشرحه: احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان: ٥٢٥.

(٤) الشعر والشعراء: ٨١٣/٢، متن الحديث (اللهُ ورسولُه مولى من لا مولى له ، والخال وارث من لا ورث لهُ).سنن الترمذي:٦٠٧/٣ ، حديث رقم ٢١٠٣،

من الحديث. فالشاعر استطاع بقدرته عبر توظيف الحديث النبوي الشريف إذ أخذ معناه ونصرف بلفظه جعلته يصب أبياته الشعرية بوصفها مقصدية للحديث النبوي الشريف ليحقق مقومات الحديث النبوي الشريف داخل النص الشعري فالشاعر استخدم أقوى الوسائل للتأثير على المتلقي وأعطى الحجة والقوة على خصمه الذي اكتسبها من النص المقدس.

أمَّا ابو العباس المبرد (٢٨٥هـ) فيظهر لنا مقدرته العالية على تذوق الأدب والخوض في عمق المعاني، إذ نجد عند حديثه في السرقات الشعرية قد أهلته قدرته على تمييز المعاني الأصلية عن المعاني التي حاول السراق من الشعراء إخفاءها من خلال كسوتها بعبارات جديدة محاولة منهم لحراجة موقفهم من أنْ يعيب عليهم بالسرقة(١).

وفي أثناء حديثه عن قضية السرقات كانت مسألة الأخذ هي محور الدراسة التي قامت عليها قضية السرقات وتطرق أيضا إلى السرقات وتشابه مع الجاحظ في مسألة أخذ المعنى فهو يلتقي معه في النقطة نفسها لكنه من ناحية أخرى نراه تطرق إلى مسألة مهمة وهي مسألة السرقات ما بين الشعر والنثر ولكون النقاد الذين سبقوه تطرقوا إلى مسألة السرقات ما بين الشعر والشعر ما أدخل السرقة في جوانب أخرى وهي ما بين الشعر والنثر والتي من ضمنها الأخذ من الحديث النبوي الشريف لكون الشعراء قد أخذوا معنى بعض الأحاديث النبوية في أشعارهم ومن هذه الإشارات:

وَالخيَرُ مما لَيسَ يخفى هوَ الـ مَعرُوفُ والشرُّ هـــوَ المُنكَرُ(٢)

إذ نجد أسماعيل بن القاسم أبي العتاهية قام بتضمن شعره حديث النبي (ﷺ) الذي يقول فيه: ((يا عبد الله كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم، وصار الناس هكذا". وشبه بين أصابعه، فقلت: مرني يا رسول الله، فقال: خذ ما عرفت

(١) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري: ١٩٢.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ١١/٢، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ١٧٨.

ودع ما أنكرت، وعليك بخويصّة نفسك، وإياك وعوامّها))[١]، لذا فالشاعر عند لجوئه إلى الحديث النبوي الشريف الذي يعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فورد استلهامه في النص الشعري متألقا ومتطابقا فأخذ "معنى" الحديث النبوي الشريف فقد استثمر النص النبوي للتوظيف وتجسيد فكرة الخير والشر بمنبع المعروف والمنكر.

ونجد عند المبرد(٢٨٥هـ) أيضاً في قول لأبي العتاهية حين قام تضمين شعره حديثٌ نبويٌ كاشفاً عن زهده كما في قوله :

ليَعْلمَـــنَّ النّاسُ إنْ التُقـــى . والـــبِرَ كانَا خيَـــرَ مـــا يُذْخَرُ[٢]

مأخوذ من قول النبي (ﷺ) قال: ((إذا حشر الناس في صعيد واحد نادى منادٍ من قبل العرش: ليعلمن أهل لا لموقف، من أهل الكرم اليوم؟ ليقم المتقون! ثم تلا رسول الله (ﷺ): ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾))[٣].

فتوظيف الحديث النبوي الشريف جاء عن الكشف الناقد نضم "بشكل فعال بحيث انصهر في السياق الشعري واتحد بمضمونه متوقفا على براعة الشاعر وقدرته على استحضار النص، ودمجه ليضفي بأبعاده الثقافية والمعنوية الراسبة في أعماق الشاعر والمتلقي معا، فيجعل منه أفقا للتواصل والاندماج، ويزيد بذلك في النشاط الإيجابي للتراكيب والصور لهذه المسوغات حضر النص الحديثي في نصوص الشعراء"[٤]، وارتكز الشاعر على الحديث النبوي الشريف، واستوعب مضامينه ودلالاته اللغوية واستطاع أنْ

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: ١١/٢، صحيح البخاري:١٠٣/١ ، حديث رقم ٤٨٠.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ١١/٢، ديوان أبي العتاهية: ١٧٨.

(٣) الكامل في اللغة والأدب: ١١/٢، متن الحديث " إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أمرتكم، فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي، وأضع أنسابكم، أين المتقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم " السلسلة الضعيفة:٤٥٦/٥ ، حديث رقم ٢٤٣٦.

(٤) السرقات الأدبية ونظرية التناص بين الاتصال والانفصال (رسالة ماجستير)، فؤاد حملاوي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٨٣.

يذيبها في نصه الشعري وكأنَّهُ يبغي إثراء نصه الشعري فقد بين النبي(ﷺ) أنَّ المنزلة عند الله للعبد تأتى من التقى، فاستلهم الشاعر كلمات الحديث النبوي الشريف، واستحضر مفرداته ووظفها في السياق نفسه.

وما أنْ ننتقل بعد ذلك لمحمد أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) وكتابه (عيار الشعر) الذي بدأ حديثه عن السرقات بعذر المحدثين قائلاً "والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم؛ لأنَّهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة. فإنْ أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول. ومع هذا فإنَّ من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء..."(١).

إنَّ للشعراء الحق في إنعام النظر في الأشعار السابقة أو النصوص النثرية حيث إنَّها صفات الشاعر الجيد واشترط في ذلك عند الأخذ يجب أنْ يؤخذ بعين الاعتبار أنْ يكسوا تلك العبارات والألفاظ أفضلها وأحسنها وأرقاها وأنْ يجدد في المعاني ويصبها في قوالب جديدة قد صنعها بنفسه حتى يخرج من دائرة السرقة المذمومة ،أمَّا ما يخصُّ توجيه الحديث النبوي الشريف في نقده لقضية السرقات والتي كانت في أغلبها سرقة محمودة لأنَّ أخذ الحديث النبوي الشريف أمر يحمد عليه كونه نصاً متاحاً والذي نستدل عليه في أشعار الشعراء والتنبيه عليها.

وها نحن بصدد توجيه الحديث النبوي الشريف النقاد في دراستهم للسرقة وارتباطها بالحديث النبوي نجد بعض الأمثلة ، ومنها أذا وجد الشاعر معنى في منثور الكلام عند

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م : ١٣.

الخطباء والبلغاء لا مانع في استعماله في أشعارهم وكذلك يمنحه القدرة على إخفاء تلك السرقة كون أنَّ نظرة النقاد تطال النظر للسرقة ما بين أشعار الشعراء وليس بين الشعر والنثر فأورد قائلًا "وإنْ وجد المعني اللطيف في المنثور من الكلام، وفي الخطب والرسائل والأمثال، فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن"(١).

وفي قول اخر نجده قد خاض في القضية نفسها وجعلها بلاغة في القول والإقرار بها ويوضح نظرته إلى الأخذ من النثر كون كلامهم مناسباً للشعراء "قيل للعتابي: بماذا قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام! فالشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة إما تناسبا قريبا أو بعيدا، وتجدها مناسبة لكلام الخطباء، وخطب البلغاء وفقر الحكماء"(٢).

ثم أنَّ ابن طباطبا يتطرق إلى باب في الأخذ وهو الأخذ من الحديث النبوي الشريف وقد سبقه كُلٌّ من ابن قتيبة وابن المعتز والمبرد في هذا الأمر(٣).

ويذكر في هذا ما رواه ابن عائشة قال: انصرفت من مجلس حماد (٤)، فقال لي أبي: ما حدثكم حماد؟

فقلت: حدثنا أنَّ النبي (ﷺ) قال: ((لو لم يلف ابن آدم إلَّا على الصحة والسلامة لكفي بهما داء))(٥).

---

(١) عيار الشعر: ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ١٣١، ونصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، داوود سلوم، جميل سعيد، مكتبة الأندلس، بغداد: ٣١٨.

(٤) عيار الشعر: ١٣١، وحماد عجرد (١٦١هـ/٧٧٧م) أبو عمرو – وقيل أبو يحيى – حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي – وقيل الواسطي – مولى بني سوأة بن عامر بن صعصعة المعروف بعجرد الشاعر المشهورهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولم يشتهر إلَّا في العباسية ونادم الوليد بن يزيد الأموي، وقدم بغداد في أيام المهدي، ينظر: وفيات الأعيان: ٢/٢١٠-٢١١.

(٥) عيار الشعر: ١٣١، متن الحديث، (كفى بالسَّلامةِ داءً)، السلسلة الضعيفة:٩/٩٢ ، حديث رقم ٤٠٩٠.

فقال أبي: قاتل الله حميد بن ثور حيث يقول:

أرَى بَصرِي قَد خانني بَعْدَ صِحَّــةٍ وَحسْبُكَ دَاءً أنْ تَصِــحَّ وَتَسْلمــاَ[1]

فالشاعر حميد بن ثور أخذ الشطر الثاني من حديث النبي (ﷺ) وهو قوله:((وحسبك داءً أنْ تصح وتسلم)) أنَّ من يتأمل النص يدرك التوافق مع مضمون الحديث النبوي الشريف فوظف الشاعر عبارة "وحسبك داءً أنْ تصح وتسلم" من أجل تقوية قوله وإسناده مع الحديث الشريف فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ ما أنزل داء إلَّا معه الدواء إلَّا الهرم أو مرض الموت وهي غاية الشاعر:

ورصد ابن طباطبا هذا المظهر أيضاً لدى النمر بن تولب حيث يقول:

ودَعَــوْتُ ربِّي بالسَّلامَةِ جَاهِــداً لِيُصِحَّنــي، فإذَا السَّلامَــةُ دَاءُ[2]

ونتيجة لما سبق ذكره نجد كيف تعامل ابن طباطبا بصورة طبيعية مع مسألة الأخذ من الحديث النبوي الشريف ولم يذم الشعراء ولم ينتقص منهم بل أعطى الحق للشاعر للأخذ من منثور الكلام وتناول المعاني اللطيفة في النثر وعَدَّها من أرقى أنواع السرقات وأحسنها.

أمَّا القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) فقد تطرق في وساطته لهذه القضية ذاكراً قولاً يفسر فيه حالتهم ويصف ما وقع فيه الشعراء بقوله: "والسرق . أيدك الله . داء قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد... وإنَّ تجاوز ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ"[3].

---

(١) عيار الشعر:١٣١ـ ١٣٢ ، ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع وتحقيق: محمد شقيق البيطار، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠م: ١٦٢.

(٢) عيار الشعر: ١٣٢ ، ديوان النمر بن تولب، جمع وتحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ١٤٢.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٢١٤.

ونجد الأخذ ما بين الشعراء يمكن أنْ يكون تلميحاً وربما يكن تصريحاً لذا لابدَّ للناقد من علم ونظر وتمعن ويغوص في قرارة المعاني ومعرفة المقاصد والأغراض من وراءئها وهذه خصيصة استخدمها الشعراء في إخفاء سرقاتهم وتفننهم في الطرق التي تبعد عنهم تلك التهمة ومن الطرق التي اتبعها الشعراء ولم تخفى على النقاد واستطاعوا الكشف عنها هو ما قام به بعضهم في التستر بتحويل المعنى إلى معنى آخر بتغيير الغرض الذي استخدمه أو من خلال الأخذ من النثر في أشعارهم(١).

حيث تبين لنا هذا بما ذكر سابقاً بأنَّ السرقة لا يمكن لأحد أنْ ينجو منها ولا مناص أنْ يقع فيها كل شاعر كون أنَّ المعاني متاحة لكل الشعراء وتكون نتيجة تأثير متبادل فيما بينهم وأنَّ الحكم على شاعر بالسرقة يتطلب ناقداً متمرساً بصيراً بأخبار العرب وأشعارهم كيف وإذا كان المقصود بتلك القضية الحديث النبوي كونه الكلام الصادر من النبي (ﷺ) وهو أولى بالتداول والحفظ والرواية فمن الطبيعي أنْ يستمد منه الشعراء بعض تلك الألفاظ أو المعاني التي يحملها ذلك الفيض الذي يسري ويجري على كل لسان ومن هذا المعنى قول أبي تمام:

إنْ ينتحِـــل حدَثانُ الـــدهرِ أنفُسَكُم ويُسلـمُ الناسَ بين الحــوْضِ والعطَنِ
فالماءُ ليس عجيبـــاً أنّ أطيبَـــــهُ يفْنـــى ويمتدّ عُمرُ الآجِنِ الأسِـــنِ(٢)

ويـذكر هنـا الامـدي أنَّـهُ مـأخوذ مـن قـول ورد عـن النبـي (ﷺ) إذ قـال " وهـو ماروى عن النبي (ﷺ) من قوله : ((أعظَمُ الناس بلاءً الأمثَلُ فالأمثل))(٣).

---

(١) ينظر: فن البديع، عبد القادر حسين، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١٤٦.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٣٥٤، شرح ديوان أبي تمام: ٢٤١/٢ .

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٣٥٥ ، متن الحديث: ((يا رسولَ اللهِ! أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثم الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسبِ دِينِه، فإن كان في دِينِه صلابةٌ، زِيدَ في بلائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه ولا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشي على الأرضِ وليس عليه خطيئةٌ)) ، الإيمان لابن تيمية، الألباني: ٧٨،

يبين صورة واضحة كيف وَظَّفَ أبو تمام معاني الحديث النبوي في تلك الأبيات إذ استطاع الشاعر تأكيد مقدرته على رسم الصور الشعرية وتحويله للمعنى عبر كسوة الألفاظ حلة جديدة وألفاظ أخرى محاولا أخفاء ألفاظ الحديث النبوي الشريف من ناحية ومن ناحية أخرى رسم أدواته الفنية لكسب عواطف المتلقين عموما، فالشاعر قد لجأ إلى الماء لكي يناسب المغزى المطلوب فالموت – لدى الشاعر– يختار أفاضل الناس سريعا، في حين يمتد عمر الآخرين ممّن دونه وهذا انصهار واضح مع الحديث النبوي الشريف.

وفي موضع آخر نجد أنَّ الكثير من الشعراء تصرفوا بما وجدوه في الحديث النبوي الشريف وكثرت الأبيات الشعرية التي نظمت على غراره حيث ورد عند الجرجاني "وقد أكثر الناس في الرّعب، وتصرفوا"(١).

كما في حديث النبي (ﷺ) :((نُصِرْتُ بالرُّعْبِ))(٢) .

الذي استمد المتنبي ما وجدنا في البيت الشعري:

بَعَثوا الرُعبَ فـــي قُلوبِ الأَعادِ ـــي فَكانَ القِتالُ قَبلَ التَلاقـــي(٣)

إذ نجد كيف أخذ معنى الحديث الذي فَسَّرَهُ البخاري "فيقذفُ في قلوب أعدائه الرُّعب وهو على بُعد مسيرةِ شهرٍ بيْنه وبيْنهم..."(٤)، بأنَّ النبي (ﷺ) وهو على بعد مسافة شهر من اعدائه إلَّا أنَّهُ أحدث في قلوبهم ذلك الهلع والخوف من ملاقاته والوقوف أمامه والمتنبي بنى تلك الأبيات على ما وجده عند كبير قومه من مكانة وسمعة تجعل من يذكره يخاف لقاءه حتى قبل المضي برؤيته تشبيهاً منه بالنبي (ﷺ) .

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٣، متن الحديث «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ». صحيح البخاري :٩٥/١ ، حديث رقم ٤٣٨.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٢٦٤، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ٢٣٧.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٢٦٤ ، صحيح البخاري: ٤٣٨.

وإذا ما انتقلنا في حديثنا عن عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي تعرض إلى مسألة السرقة، إذ يقول "اعلم أنَّ الحُكْم على الشاعر بأنَّهُ أخذ من غيره وسَرَق، واقتدى بمن تقدَّم وسبق، لا يخلو من أنْ يكون في المعنى صريحاً، أو في صيغة تتعلق بالعبارة"[١].

والجرجاني صرح بأنَّ الأخذ والسرقة قسمين وجعل كل واحد منهما يكمل الآخر على حد قوله وتحدث في أوّلها عن: "العقليُّ تتفق العقلاء على الأخذ به، والحكم بموجَبه، في كل جيل وأمّة، ويوجد له أصل في كل لسَان ولُغة"[٢].

ومن الجدير بالذكر أنَّ أكثر ما نلمسه ونجده في أحاديث النبي (ﷺ) وأقواله كونها أدلة صحيحة وحجج واعية يشهد لها العقل بالصحة كما في قول الطفيل:

إنّـــي وإن كنتُ ابنَ سَيِّد عامـــرٍ وفي السِّرِّ منها والصَّريـحِ المهذَّبِ
لَمَا سوَّدتنـــــي عامرٌ عن وِراثةٍ أَبَى اللَّه أن أســـمُو بأُمٍّ ولا أب[٣]

ومن خلال هذه الأبيات تبين لنا النص الذي يقول فيه " أصل في كل لسَان ولُغة "وأنَّ أشرف منزلة وفخرها هو ما وجدناه في الحديث النبوي الذي يتناسب مع ما جاء به الشاعر حيث ورد عن النبي (ﷺ): ((من أَبْطأَ به علمُه لم يُسْرِع به نسبُه))[٤]، وقوله ((ﷺ): ((يا بني هاشم، لا تجيئني الناسُ بالأعمال وتجيئوني بالأنساب))[٥].

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٦٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٣، مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة: ١٠٥.

(٣) اسرار البلاغة: ٢٦٤، ديوان عامر بن الطفيل، برواية ابي بكر بن محمد بن قاسم الانباري، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٢٨.

(٤) أسرار البلاغة: ٢٦٤ ، صحيح الجامع : ١١١٩/٢ ، حديث رقم ٥٧١٥.

(٥) أسرار البلاغة : ٢٦٤ ، متن الحديث: قَامَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، قالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا...). صحيح البخاري: ١١١/٦ ، حديث رقم ٤٧٧١.

نجد أنَّ الشاعر أخذ المعنى الذي نَصَّ عليه الحديث النبوي لما احتواه من حجة صريحة معترف بها يشهد لها العقل بالصحة والقبول كون الكلام الصادر عن النبي (ﷺ) هو حجة بحد ذاته ولا يختلف على الأخذ والاعتراف به اثنان وأنَّ كل ما ينطق به فهو مصدق وحق مسلم به.

ونلتمس أيضاً في قول الشاعر محمد بن ربيع الموصلي الذي يقول فيه[١]:

الناس في صورة التّشبيه أكفاءُ أبوهُـــــمُ آدمٌ والأُمُّ حـــــوَّاءُ

فإن يكن لهُم فـــي أصلها شَرَف يفاخرون بـــــه فالطِّين والمـاءُ

معنى من قول النبي (ﷺ): ((كلُّكم لآدم، وآدمُ من التراب))[٢].

ويقول الجرجاني بأنَّ هذا "الباب من المعاني التي تُجمَع فيها النظائر، وتُذكَر الأبيات الدالّة عليها، فإنها تتلاقى وتتناظر، وتتشابه وتتشاكل، ومكانُه من العقل ما ظَهَر لك واستبان ووضح واستنار"[٣] .

إذ إنَّ المعاني المجتمعة التي احتوتها النظائر من البيت الشعري وحديث النبي (ﷺ) عند إنعام النظر بها نجدها كيف تتعانق وتتشابك فيما بينها وردت منها نصاً شعرياً بحلة جديدة وأسلوب آخر يختلف عن سابقه لكن صورة هذا المعنى الحسن وما احتواه مرجعها الأصل إلى النبي (ﷺ) ونجده في كلامه وطرحه لا يضاهيه ولا يعاضده ولا يلحقه أحد لأنَّهُ قد ألم بدروس العبر والحكم والمواعظ وبيان مسائل الدين والدنيا بنظرة شاملة ومن الطبيعي أنْ نجد الشعراء اهتدوا وأخذو وقلدوا أسلوبه ومعانيه لكي يكون لهم شرف الاتباع.

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٥، متن الحديث ((...كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ)). الترمذي:٦/٢٢٤ ، حديث رقم ٣٩٥٦.

(٣) أسرار البلاغة : ٢٦٥

ونجد أيضاً قولاً للمتنبي الذي استوحى بيته الشعري من قول للرسول (ﷺ) والذي يقول فيه:

وَكُلُّ اِمــرِئٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُــلُّ مَكانٍ يُنبِتُ الــعِزَّ طَيِّبُ[1]

واضح أنَّ جوهر البيت الشعري للحديث النبوي الشريف وليس للشاعر في جوهره وذاته نصيب، وإنَّما ما الْبَس تلك العبارات من الألفاظ، وتأدية المعاني باختصار، ومن ذلك قول النبي (ﷺ): ((جُبلت القلوبُ على حُبّ من أحسن إليها))[2].حيث أخذ الشاعر معنى الحديث مع بعض ألفاظه لكنه ألزم نفسه بالمحافظة على المعنى المراد تأديته.

إذ إنَّ دراسة السرقات بوصف الحديث النبوي موجهاً لها وجدنا كيف وَظَّف الشعراء الأحاديث النبوية في أشعارهم؛ لأنَّها مادة غنية بالألفاظ والتراكيب مكتنزة بأدق التفاصيل فَعَدَّوها مادة يثرون بها أشعارهم تصريحاً أو تلميحا.

وكشفت لنا الدراسة استيعاب الشعراء ذلك الموروث الثقافي والمتمثل بالحديث النبوي كونه جزءاً من تراث الأمة الديني والأخلاقي بما يتلاءم مع طبيعة الشعر.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ تلك الأبيات التي تصدر عن الشاعر هي مزيج من تلك الثقافات التي توافدت على عقل الشاعر ووعيه ثم يخرج لنا بتلك الأبيات ولاسيما أنَّ الحديث النبوي الشريف جزءاً لا يتجزأ من حياة الفرد فضلاً عن ذلك الكثير من الشعراء كانوا رواة للحديث فكيف لا يتأثرون به ويدخلونه أشعارهم.

وخلاصة لما سبق يمكننا القول والاعتراف بأنَّ الحديث النبوي الشريف لا يقل أهمية عن القرآن الكريم عندما ضمنه بعض الشعراء في أشعارهم كاشفاً للأهمية التي

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٦٥، ديوان المتنبي: ٤٦٨.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٦٦، السلسلة الضعيفة :٣٣٦/٧ ، حديث رقم ٦٠٠.

أخذها الحديث النبوي الشريف وتوافد الشعراء عليه وحفلت به أشعارهم من دلالات ومعانٍ ممّا رفع قيمة الفن الشعري بتلك التراكيب المقدسة كاشفاً بذلك على التميز الذي يخص به الشاعر عندما يوشح أبياته الشعرية بتلك المفردات الرقيقة والعذبة وأنَّ تضمين الشعراء الأحاديث النبوية وتكرارها يضمن استمرار ذكر أحاديثه على الألسن ويعزز قدرة الشاعر الفنية.

الفصل الثالث

إسهامات الحديث النبوي في تطور النقد العربي

- المبحث الأول: تعدد القراءات النقدية
- المبحث الثاني: تشكيل المصطلح النقدي
- المبحث الثالث: إصدار الأحكام النقدية

الفصل الثالث

إسهامات الحديث النبوي في تطور النقد العربي

توطئة:

إذا أردنا الكلام عن التطور الذي أسهم فيه الحديث النبوي في النقد نراه واضحاً إذ كشف تلقي كتب التراث النقدي للحديث النبوي ونتجت عنه مادة غنية للدراسات وذلك بالكشف عن الكيفيات التي أسهم الحديث النبوي فيها بلفت أنظار الدراسين لبيانها والعكوف على تتبعها ودراستها فقد ساعد الحديث النبوي في تطور النقد ولما لهُ من أثر عظيم في صياغة الفكر النقدي لدى العرب ومن تلك الإسهامات ما تركه في الخطاب النقدي وكتب النقد من مجال لتعدد القراءات النقدية وهذا نلمسه عند تتبع كتب التراث النقدي وذلك من خلال تعدد قراءات الحديث النبوي الواحد من ناقد إلى آخر فضلاً عن الإسهامات التي تركتها بعض الأحاديث النبوية وأثرها في بعض الأبيات الشعرية، إذ مثلت دافعاً للنقاد إلى المضي في دراستها في مؤلفاتهم والكشف عن الأسباب التي من أجلها نالت اهتمام النبي (ﷺ) وتعليقه عليها ماكشفت ذلك عن تعدد قراءات تبعا للنقاد ونظرتهم إليها.

أمَّا ما يخص إسهام الحديث النبوي في تطور المنظومة المصطلحية للنقد فقد كشفت عن جوانب متعددة أحدثها ظهور الإسلام وأحاديث النبي (ﷺ) في تشكيل بعض المصطلحات أو في تطورها أو من خلال استثمار الحديث النبوي شاهداً يبين الأثر الجمالي الذي يبين الإنموذج الفني ويثبت قوة المصطلح نظرياً بوصفه معيار لتلك المصطلحات النقدية. في حين أنَّ إسهام الحديث النبوي في إصدار الأحكام النقدية نجد أنَّ الأمر واقعاً فرضته الأحاديث النبوية الشريفة والمواقف على وضع بعض الأسس النقدية وإرساء بعض المفاهيم التي يجب أنْ يشتمل عليها العمل الأدبي فضلاً عن اعتمادها في وضع الإطار العام للنظرية النقدية لدى العرب.

المبحث الأول

تعدد القراءات النقدية

إنَّ مقاصد القراءات متعددة ومختلفة تختلف باختلاف النقاد والقراء فقد يكون القصد منها مساءلة النص وعلاقته بكاتبه أو قد تكون تلك القراءة مقصدها البحث عن القيمة الجمالية التي يحتويها النص والحكم عليه وتصنيفه بعد ذلك أو قد تكون القراءة وسيلة أو أداة للموازنة بين غرضين أو فنين والبحث عن أيهما أكثر أصالة أو قد يكون سببها تلك القراءة البحث عن الشاهد سواء كان نحوياً أم لغوياَ والهدف منه تتبع أخطاء الشعراء أو بحث ملاءمة ألفاظ القصيدة للغرض وغيرها من المسوغات التي أخذها بعض النقاد على عاتقهم في قراءة بعض النصوص وتعددها(١).

وقد يتساءل بعضهم عن القيمة التي يأخذها النص جراء تعدد قراءاته وهل كل هذه القراءات صالحة على اختلافها بغض النظر عن اهميتها وقيمتها؟ إذ ببساطة نجد أنَّ التفسير والتأويل الذي يعرض على النص يتطور نتيجة تطور الوعي الفكري، وأنَّهُ يكتسب في كل مرحلة مزية إضافية وقراءة نابعة من ذات قارئها يكشف عنها ممّا يخلق طرحاً جديداً ورؤية مختلفة ، إذ يُذكر زكي نجيب محمود "رأى الدراسون أنَّ من خصائص الفن أنْ يكون قابلا لاختلاف التأويل دون أنْ يفقد شيئا من قيمته لا بل إنَّهُ كلما تباينت ضروب التأويل ازداد الفن قيمة وارتفع مقاما فكل اثر فني هو حمال أوجه... واختلاف التأويل دليل على أنَّ وراءه حقيقة إنسانية يحاول المؤولون أنْ يصلوا إليها"(٢).

وبذلك يكون تعدد القراءات شديد الارتباط بالنصوص الشعرية ويكون النهوض فيها واسعاً؟ إذ من خلال ما تحتويه النصوص الشعرية من ضروب المجاز والاستعارة والتلميحات يترك أثراً لدى القارئ ويفسح لهُ مجالا من القراءات

(١) ينظر: تعدد القراءات في تراثنا الشعري، الشملان، نورة صالح عبد المحسن (٢٠٠٢)، علامات في النقد، ج٤٤، م١١: ٣٢١-٣٢٢. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/307858

(٢) في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود ، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٣م: ٤٦-٤٧.

بنية كشف أسرارها ومحاولة تفسيرها وتأويلها للوصول إلى الدلالات المناسبة التي أراد الشاعر إيصالها، إذ إنَّ الأثر الذي يتركه النص الشعري أو النثري على حد سواء هو الباعث الرئيس الذي يدفع إلى عملية القراءة وتعددها عند القراء الحاذقين وهذه العملية لا تنطلق تجاه أي نص من النصوص عبثاً بل أنَّ هناك دوافع أسهمت في حفظ بعض النصوص وتداولها وكثرة تأويلها ولفت الأنظار إليها نتيجة خبرات وثقافة تؤهل القارئ في الكشف عنها والبحث في جوانب لم يتناولها غيره بتكرار الحديث فيها أو الزيادة في شرحها وتفسيرها وإدراك أهميتها حيث إنْ "المتتبع للقراءات الشعرية وتنوعها عند القراء القدماء يلمس بجلاء أنَّها كانت منطلقة من مرجعيات مسبقة لديهم غدت مسؤولة عن تحديد توجهات قراءاتهم وللمرجعية قيمة ثقافية على المستويين الكتابي والقرائي فهي تضفي طابع الذاتية (ذاتية القارئ على ما يقرأ)"[١].

وتعدد القراءات والمعاني التي تحملها تكشف تعدد القراءات على تأويلات عدة من الممكن أنْ يكشف عنها القارئ تجاه النص ومن أجل ذلك لا بدَّ من مراعاة البنية الداخلية للنص من حيث العناصر المكونه لها من خلال استعمال اللغة وآلياتها والسياق الخارجي الذي يكشف عن امتداد النص في الواقع ويفصح عن تصور الناقد لذلك النص حسب فهمه للمعطيات الثقافية والفنية في استقرائه للنص[٢].

إذ تُعَدُّ القراءة الأولى للنص بمثابة فك شفرات النص بحيث يمكن للناقد وضع تأويل يتناسب مع الموقف ومن ثم تأتي قراءات متتالية وفق التطور التاريخي الذي يعتري بعض تلك النصوص واختلافها من ناقد إلى آخر وبذلك "سيكون تعدد القراءات مخصباً للنص، ومفيدا لتطوير النقد الأدبي بإعادة الاعتبار لما يدعى بالتأويل في عملية القراءة،

---

(١) تعدد القراءات الشعرية في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، نادية هناوي سعدون، ط١، دار ومكتب البصائر، بيروت–لبنان، ٢٠١١م: ٥١.

(٢) ينظر: القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الادبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م: ١١٧–١١٨.

شرط اعتماد كل تأويل على معطيات نصية وليس على القريحة الخاصة وحدها"[١]، تكشف القراءة عن المستوى الإبداعي للقارئ وبحثه في ما وراء الألفاظ، واستحياء منها غير دلالات ما يفصح عنها ظاهرها، إذ يمنح القراء أنفسهم الصلاحية في ابتداع المعاني من خلال القراءة العميقة التي تستبطن معاني النص وتضيف إليه ما وجدوه من معانٍ جديدة. وهذه القراءة نجدها عند القراء الذين يخترعون المعاني ويضيفون معاني جديدة كشفت عنها حاجاتهم النفسية تجاه نص معين[٢].

يبين ابن سلام الجمحي (٢٣١هـ) أثر القراءة التي تتخصص في بعض النصوص والحكم عليها من خلال مقولته المشهورة "وللشعر صناعَة وثقافة يعرفهَا أهل الْعلم كَسَائِر أَصْنَاف الْعلم والصناعات مِنْهَا مَا تثقفه الْعين وَمِنْهَا مَا تثقفه الْأذن وَمِنْهَا مَا تثقفه الْيَد وَمِنْهَا مَا يثقفه اللِّسَان"[٣]، إذ أفاد بأنَّ القراءة ليست أمراً عابرا أو اعتباطيا إنَّما هو دربة وموهبة اختص بها أهل العلم في معاينة النصوص والحكم عليها.

والآمدي (٣٧٠هـ) نلاحظ في مرحلته غلبة التخصص والعلمية على أطوار النقد كون أنَّ هذه المرحلة متطورة نقلت فيها العملية النقدية من طور الشفاهية إلى التدوين ، إذ ساعدت المهتمون بالنقد في تطوير ذاتهم وخلق وعي جديد يهتم بالفحص والتأمل والتفسير وليست فقط كما كانت للحفظ والمذاكرة "وهذا يدلَّ على توافر المادة الشعرية مكتوبة ما جعل الناقد يتأمل بها فيمنحها ويحولها إلى أنماط لغوية جديدة ومختلفة وبالتالي منحه الانتقال من مجرد الاستهلاك القرائي إلى الإنتاج الكتابي المبدع"[٤]، ودليل ذلك نجده عند الآمدي ،إذ قال "من أين طرأ عليك العلم بالشعر، أمن أجل أنَّ عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وأنَّك ربما قلبت ذلك أو تصفحته أو حفظت القصيدة أو الخمسين منه؟ فإنَّ كان ذلك هو

(١) القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي : ٢٧٨.

(٢) ينظر: مستويات التلقي واختلاف القراءات في النقد العربي القديم، ابتسام مرهون الصفار، مجلة جذور، مجلد ١، ج١، ١٩٩٩ : ٣٠٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٥/١.

(٤) تعدد القراءات الشعرية في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٢٠.

الذي قَوَّى ظَنَّكَ، ومكن ثقتك بمعرفتك، فلم لا تدعي المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك؟ فإنَّك دأباً تستعمل ذلك وتستمتع به، ولا تخلو من ملابسته كما تخلو في كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته وإنشاده"(١).

والقاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) نجد فيه ذلك الناقد الذي يحتكم إلى الموضوعية في قراءته للنصوص كاشفاً بدوره عن مجموعة من القراء كَوَّنُوا طبقة مختصة لما امتلكوه من ميزات وسمات منها الموهبة وصحة الطبع والدقة في الحكم بنظرتهم الشاملة للنص، إذ يقول: "والآخر غامض يوصَل إلى بعضه بالرواية، ويوقَف على بعض بالدّراية؛ ويحتاج في كثير منه إلى دقّة الفطنة، وصفاء القريحة، ولُطف الفكر، وبعد الغوص. ومِلاك ذلك كله: وتمامُه الجامع له والزّمام عليه صحّة الطبع، وإدمان الرياضة؛ فإنهما أمران ما اجتَمعا في شخص فقصّرا في إيصال صاحبهما عن غايتها رضِيا له بدون نهايته"(٢).

أمَّا أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ): فنجده ينظر إلى عملية القراءة بوضع شروطٍ يتعامل بها القارئ مع النصوص فهو يوجه القارئ إلى النظر إلى النص كاملاً وليس إلى أبياتٍ مفردة لكي لا تنقطع و تتجزأ فكرة النص لأجل أنْ تكون لهُ نظرة شاملة تحيط بالنص وبجميع الحيثيات التي يشتمل عليها، إذ قال في أثناء وضعه لمعنى البلاغة مبيناً الأدوات التي يجب توافرها عند القراءة والأخذ بها "ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليما من التكلّف، بعيدا من سوء الصّنعة؛ بريّا من التعقيد، غنيّا عن التأمّل"(٣).

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ تعدد القراءات قد أخذ حيزًا واسعا في مصنفات النقد القديم للارتقاء ببعض الأبيات الشعرية الذي جاء جراء اهتمام النقاد به وكثرة تناوله وتداوله عندهم وقد كان للحديث النبوي أثر واضح في توجيه النقاد ولفت أنظارهم لبعض تلك الأبيات الشعرية من خلال وقوفهم عند بعض النصوص محاولين الانطلاق من حديث

(١) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ٤١٦/١.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤١٣.

(٣) كتاب الصناعتين: ٤٢.

عن النبي (ﷺ) وشرع كُلٌّ منهم يظهر رأيه الخاص مستفيداً من مؤهلاته وقدرته في توظيفه في المكان المناسب ومناسبته للمقام الذي وجدوه فيه.

فضلاً عن ذلك لو تصفحنا مدونات النقد العربي القديم وجدنا أنَّ نصيب الحديث النبوي وتعدد قراءاته قد نال حظاً من اهتمام النقاد منذ فجر الاسلام حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ، إذ نجد أنَّ هذا البحث في (تعدد القراءات) أول ما ظهر كان مرتبطاً بالقرآن الكريم ونزوله بسبب اختلاف المفسرين في تأويل آيات الذكر الحكيم وقد ألفت العديد من الكتب في هذا الصدد(١).

إذ أنَّ العلم بالنصوص وأخص بالذكر الحديث النبوي الشريف يحتاج إلى منطق سليم ووعي كبير في فهم المعنى وفقاً لتفكير الناقد ، وان لكل ناقد الذهنية والملكة الروحية لاستقبال النص وتفسيره ، بحيث في كل مرة يحاول فهم كلمة أو نص، يتداخل مخزونه الثقافي مع هذا الفهم، ونتيجة لذلك، كل معنى لديه فهم وألوان متعددة من التفسيرات والقراءات والتي تكون في الغالب كلها صحيحة فضلاً عن طبيعة الموضوع الذي وظف فيه الناقد الحديث النبوي الشريف (٢).

أمَّا في الحديث عن الأطر التي تتبعها النقاد في قراءتهم للنصوص الشعرية من خلال أثر الأحاديث النبوية فيها فقد جعل لها اهتماما وعناية كبيرة وأنَّ تكرارها في كتب النقد وتعدد قراءاتها جاء نتيجة أحاديث النبي (ﷺ) في تلك الأبيات الشعرية ما جعلها محط اهتمام للمتلقي والقارئ ليكشف البعد الذي من أجله نالت اهتمام النبي (ﷺ) ممّا زادها أهمية كونه متذوقاً ولكن لهُ ذوقه الخاص يتواشج فيه البعد الديني والعقائدي والإيماني، إذ نجد النبي (ﷺ) يعجب بما عند شاعر من أبيات قد احتوت من الحكمة والبيان وشبهه بأنَّ كلامه لا ينطق به إلَّا نبي مرسل وفي موضع آخر

(١) ينظر: تعدد القراءات، الشيخ محمد تقي مصباح يزدي، ترجمة: ماجد الخاقاني، ط٢، دار التعارف، بيروت–لبنان: ٢٠٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧–٦٨.

نجد أنَّ الحديث النبوي جاء تعضيداً لقراءة سابقة يؤكد صحتها أو من خلال طلبه الإبانة والوضوح بشعر شاعر ما جعلها محط اهتمام الناقد وكثرة استشهادهم بها واختلافهم في توظيفها.

ومن ذلك قول الشاعر النابغة الجعدي[١]:

بَلَغْنَا السَّمَـــاءَ مَجْدُنَا وَجُدودُنا وَإِنَّا لَنَرْجُـــو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَـــرَا

هذا النص وردت فيه أربع قراءات وقد كان المنطلق للاهتمام بهذا البيت من تعليق النبي (ﷺ) عليه إذ جاء على لسان الشاعر:((أَتَيْتُ النَّبيَّ (ﷺ) فأنشَدْتُه من قولي عَلَوْنا العبادَ عِفَّةً وتكرُّما وإنَّا لنرجو فوقَ ذلك مظهَرا قال أينَ يا أبا ليلى قُلْتُ الجنَّةَ قال أَجَلْ إنْ شاء اللهُ قال ثُمَّ قال أنشِدْني فأنشَدْتُه من قولي ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكُنْ له بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكدَّرا ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكُنْ له حليمٌ إذا ما أورَد الأمرَ أصدَرا قال أحسَنْتَ لا يَفضُضِ اللهُ فاك))[٢]، ونلاحظ هنا الأهمية التي أخذها البيت الشعري نتيجةً التفاتة النبي (ﷺ) إلى ما في البيت الشعري من غلو وإسراف وتوجيه الشاعر على أنْ يسلك سبيل البساطة والتواضع.

وفي قراءة لأبن قتيبة يرد هذا البيت شاهداً في ترجمته للشاعر يبين فيها صلة الشاعر بالدين الإسلامي في أهم مراحل حياته وقربه من النبي (ﷺ) موجهاً الشاعر إلى ضرورة تحديد وبيان ذلك المعنى الواسع الذي حمله البيت الشعري[٣].

ثم شرع النقاد بعد ابن قتيبة ويذكر كل واحد منهم عن قراءاته الخاصة فكانوا بين محب ومستحسن لهذا الغلو الذي أتى به الشاعر أو في إشارتهم إلى غلو الشاعر في البيت فقد ورد عن ابن طباطبا في حديثه عن "الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها"[٤].

---

(١) الشعر والشعراء : ٢٨٩/١ ديوان النابغة الجعدي: ١٠.

(٢) الشعر والشعراء : ٢٨٩/١ ، مجمع الزوائد: ١٢٩/٨.

(٣) ينظر: الشعر والشعراء، ١: ٢٨٩، الشاهد الشعري عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، محمد أحمد شهاب، دار الحوار، ط١، ٢٠١١: ١٩٦.

(٤) عيار الشعر: ٧٦.

وقد ورد البيت الشعري عند كُلٍّ من القاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري[١]، في حديثهم عن "باب الغلو" إذ اتفقا مع ابن طباطبا في قراءتهم للبيت الشعري وتابعهم عبد القاهر الجرجاني حيث كانت قراءته في موضع حديثه عن ارتياح واستحسان النبي (ﷺ) للشعر وسماعه إيَّاه[٢]، ويعود سبب اهتمام النقاد العرب بهذا البيت الشعري ومحاولتهم الدائبة في استكناه فحواه وكثرة تفسيره لما وجدوا من تعليق للنبي (ﷺ) عليه فقد أخذوا من أحاديثه وسيلة مهمة لكي يبحثوا فيه ، إذ إنَّ "الدراسة النقدية لم تضع حدوداً فاصلة بينها (بين النصوص الشعرية والنثرية) إلَّا إنَّ التأويل هو الأكثر قرابة من النص الشعري لأنه يحتمل التلميح لا التصريح وبه تظهر قدرة المتلقي الحقيقية في تحليله للنص واستخلاص دلالاته الكامنة"[٣]، كاشفاً عن تقارب وجهات نظر النقاد في نظرتهم للأبيات الشعرية.

أمَّا البيت الثاني الذي قصده النقاد نتيجة تمثل النبي (ﷺ) به وكانت قراءاتهم متعددة كما في قول طرفة:

ستُبْدي لك الأيَّامُ ما كنتَ جـــاهِلًا ويأتيكَ بالأخبـــارِ مَـــــن لم تُزوِّدِ[٤]

إذ يروى في حديث عن عائشة عندما ((قيلَ لَها: هل كانَ النَّبيُّ (ﷺ) يتَمثَّلُ بشيءٍ منَ الشِّعرِ قالَت: كانَ يتمثَّلُ... ويقولُ ويَأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ))[٥].

إذ حظي البيت بقدر من الاهتمام نتيجة التفات الرسول(ﷺ) إليه فقد عَدَّهُ (من كلام النبوة)، فضلاً عن طبيعة تركيب البيت الشعري التي عدت مضربُ مثل للحكمة، وقد روي بأنَّ النبي (ﷺ) كان يتمثل العجز من البيت ويردده لذا فتح الباب للنقاد لقراءاته وتعدد المواضع التي ورد فيها جراء إعجابهم به.

---

(١) الوساطة: ٤٢١، كتاب الصناعتين: ٣٦٠.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢١.

(٣) تعدد القراءات الشعرية في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٤٢.

(٤) ديوان طرفه بن العبد: ٢٩

(٥) الشعر والشعراء : ١٩٢/١ ، سنن الترمذي:٥٣١/٤ ، حديث رقم ٢٨٤٨.

فابن قتيبة كانت قراءته للبيت عند ذكره "المعاني التي سبق إليها طرفة" [١]، وقد جاء نتيجة الاهتمام بالمعنى وأكَّد أنَّهُ قد سبق بعض الشعراء إليها لذا فقد كانت في موضع السرقات الشعرية؛ لأنَّ قضية اللفظ والمعنى كانت أولى الممهدات النقدية التي قامت عليها مشكلة السرقات الشعرية والمعاني التي سبقوا اليها الشعراء هم أولى بها[٢].

أمَّا أبو العباس ثعلب (٢٩١هـ) فقد وردت لديه قراءة تختلف عما وجدناها عند ابن قتيبة فقد جاءت قراءاته في أثناء إيراده "المعدل من أبيات الشعر ما اعتدل شطراه، وتكافأت حاشيتاه، وتم بأيهما وقف عليه معناه ... فهو أقرب الأشعار من البلاغة ،أحمدها عند أهل الرواية ، وأشبهها بالأمثال السائرة "[٣].

اي التوسط في أداء معاني الألفاظ وهي صفة محمودة عَدَّها من الحكمة، إذ يقول "التوسط ممدوح في كل لغة، موسوم بكمال الحكمة..."[٤]، ولجمال مطالعها وحسن خواتمها كانت ابلغ مثال للبلاغة وأرجح ما يكون بالأمثلة السائرة.

وعند قدامة بن جعفر وعلى الرغم من اختلاف المسميات فقد كانت قراءته للبيت الشعري شبيهة بما ورد عند ثعلب فقد كانت فاعلة لديه في باب المساواة في "نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى والتي كان من أنواعها المساواة". الذي يقصد به: "وهو أنْ يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر"[٥]، لذا فقد كانت قراءاتهم تختلف باختلاف وجهات نظرهم نحو البيت الشعري .

---

(١) الشعر والشعراء : ١٩٢/١.

(٤) ينظر: الشاهد الشعري عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة: ٧٣

(٣) قواعد الشعر، ابي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٥م: ٦٦، ٦٧ ،٦٨

(٤) نقد الشعر: ٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٤.

وسبيل تعدد تلك القراءات والأهتمام الذي جاء بهذا البيت الشعري من قبل النقاد سببه استحسان النبي (ﷺ) لشعر طرفة بن العبد وأنشاده إيَّاه، فضلاً عن طبيعة البيت الشعري ومحتواه القيم.

أمَّا النص الذي كشف أيضا عن قراءات لبعض النقاد قولَ "النَّبيُّ (ﷺ) لقول كعب بن مالك قائلاً لهُ: ((ما نَسيَ ربُّك لك، وما كانَ ربُّك نَسِيًّا بَيْتًا قُلْتَه))[1] ، قالَ كَعْبٌ: وما هو؟ قالَ النَّبيُّ: أنْشِدْه يا أبا بَكْرٍ، فقالَ أبو بَكْرٍ:

زَعَمَتْ سَخينةُ أنْ ستَغلِبَ رَبَّهـــا ولَيُغلَبَـــنَّ مُغالِـــــبُ الـــغَلَّابِ [2]

إذ جاءت قراءة ابن سلام[3]، لهذا البيت الشعري وتعليق النبي (ﷺ) عليه كاشفاً عن معاصرة الشاعر للنبي (ﷺ) فضلاً عن إعجابه بالبيت الشعري والمكانة التي احتلها الشعر في حضرة النبي (ﷺ) كمُا أنَّها مثلت موقفا من مواقف النبي (ﷺ) الكثيرة من بعض الشعراء والأشعار التي كانوا ينشدونها وذلك بدافع الإشادة بالقيمة التي أخذها هذا الفن في الدعوة الإسلامية وقبول الشعر الذي أيده النبي الكريم (ﷺ).

أمَا عبد القاهر الجرجاني[4]، فقد جاء استشهاده بهذا البيت الشعري موضحاً أنَّ النبي (ﷺ) كان يأمر الشعراء بقول الشعر والرد على المشركين وأنَّ نتيجة لوقوفهم في الدعوة الإسلامية ومنافحتهم عن رسوله فأنَّ الله لا ينسى ذلك لهم ووعدهم بمغفرة وجنة لرضا الله ورسوله عنهم.

إذ كان لحضور الحديث النبوي بمعانيه الأخلاقية دلالة واضحة لتلقي بعض الاشعار وخلودها ومساهمته في تعدد القراءات حيث يكشف عن "رؤيا تتأول قراءة

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٢٢/١ ، دلائل الاعجاز :١٧

(٢) التاريخ الكبير، البخاري : ١٢٠/١، البيت الشعري في ديوان كعب بن مالك: ٢٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ١: ٢٢٢.

(٤) دلائل الاعجاز: ١٧.

الأشياء بحرية الروح الموصول بصفائه الإنساني المعبر عنه، بحرية الأساليب ومساحات التأويل وفضاءات الاجتهاد في أماكن الاجتهاد بما يتيح للسان أنْ يتأول، وللغة أنْ تتكلم، وللإنسان انْ يكون فاعلاً في تعبيره... بما يجعل كل فن محتفظاً بحرية تعبيره ومساحات أساليبه وفضاءات رؤاه، تلك الحرية تجاور حرية فن آخر أو جنس أدبي اخر وهكذا تتجدد الأجناس والفنون بعد أنْ تتطور أثر فاعليتها الذاتية بوصفها أولاً غاية إبداعية لدى منشئيها عند مبدعيها، بما يتيح لهم أنْ يكونوا أحراراً في حركية وعيهم الإنساني"(١).

ويطالعنا في تعدد قراءات الحديث النبوي النقدية نجدها في الحديث: ((**إنَّ من الشِّعرِ لحكمةً**))(٢).

إذ وردت قراءات متعددة ومواضع كثيرة للحديث النبوي فمثلا جاءت قراءة هذا الحديث عند عبد القاهر الجرجاني من خلال الأحاديث النبوية التي رويت عن الشعر مدحاً وذماً فقد كان حجة لهُ في الدفاع عن الشعر عندما عُدَّ موقف النبي (ﷺ) والإسلام من الشعر كله مذموما محرما وبَيَّنَ أنَّهم نسوا ما علق به النبي (ﷺ) في أحاديثه مدحاً للشعر وأمر النبي (ﷺ) بإنشاده ووعده لكثير من الشعراء بالجنة لما سمعه واستحسنه لكثير من الأشعار ودعائه لكثير من الشعراء ويستشف هذا من خلال مقولته "نعم، وكيف رويت": "لأَنْ يمتلئَ جوفُ أَحدِكم قيحاً، فيَرِيَهُ، خيرٌ له من أَن يمتلئ شِعْراً"، ولهجت به، وترِكتَ قولَه صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن الشعر لَحِكْمةً، وإنَّ مِن البيانِ لَسِحْرا" وكيف نَسِيتَ أَمرَه (ﷺ) بقول الشعر، ووعده عليه الجنَّةَ، وقوله لحسَّان": "قُلْ وروحُ القُدُس معك" وسماعَه له، واستنشادَهُ إياه، وعِلْمهُ صلى الله عليه وسلم به، واستحسانَه له، وارتياحَه عند سماعه؟"(٣).

---

(١) الموجهات الأخلاقية في النقد العربي القديم، رحمن غركان، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج ٥، العدد ٢، ٢٠٠٧: ٣١٦.

(٢) سنن الترمذي:٥٢٨/٤ ، حديث رقم ٢٨٤٥.

(٣) دلائل الاعجاز: ١٦-١٧.

وقد كانت قراءة الحصري القيرواني للحديث النبوي في بيان فضل الشعر، إذ يقول "إنَّ من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه؛ إصابة للمعنى، وقصدا للصواب"(١).

نجد في قراءته يقصد الشعر الذي يكون في خدمة وبيان مسائل وعقائد تكون بمثابة قاعدة ثابته يقوم عليها بناءً أشعارهم وكل كلمة تعطي حقها في لفظها في أشعارهم لكونه أقرب شيء إلى فهمهم ويعُدَّوه سجلاً لحياتهم فلو تصفحنا بعص الأبيات لوجدناها تنطق حكماً يسير المرء على منوالها ويقضي بها أمراً.

أمَّا حديث ((**إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**))(٢)، نجد أنَّ الحديث النبوي قد لاقى خلافاً في قراءته وتأويله بين الفقهاء والنقاد والأدباء، هل كان حديث النبي (ﷺ) مدحاً أو ذماً وبحسب الفهم الظاهري للحديث النبوي كان على وجه الذم لبلاغة البيان من حيث تشبيهها بالسحر والسحر عندهم مذموم محرم لما فيه من الصرف عن ظاهر الشيء والبلاغة وأساليبها تدخل المتلقي في متاهات العي والتفكير وربما الفهم الخاطئ لبعض الأمور وقد يأتي على وجه المدح لما في البيان من سحر المنطق والوعي الذي يؤديه تخير أحسن الألفاظ وأبلغ صيغ التعبير.

نجد قراءة الجاحظ للحديث النبوي في موقف يذكر فيه قائلًا: "ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبني تميم، لأنَّ النبي (ﷺ) لما سأل عمر بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر قال: «مانع لحوزته، مطاع في أدنيه». فقال الزبرقان: «أما إنَّهُ قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي». فقال عمرو: «أما لئن قال ما قال فو الله ما علمته إلَّا ضيق الصدر، زمر المروءة لئيم الخال، حديث الغنى»، فلما رأى أنَّهُ خالف قوله الآخر قوله الأول، ورأى الإنكار في عيني رسول الله (ﷺ)

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م : ١٨.
(٢) صحيح البخاري:١٣٨/7 ، حديث رقم ٥٧٦٧.

قال: «يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة». فقال رسول الله (ﷺ) عند ذلك: «إن من البيان لسحرا»[١].

إذ يبين في هذا الحديث النبوي أثر الخطاب الذي يتركه النص الأدبي وتأثيره في العقل من خلال عرضه لموقف النبي (ﷺ) والإسلام من الشعر والشعراء.

أمَّا ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) فجاءت قراءاته للحديث في موضع الكلام ،إذ "يقال لأهل الدين والكلام عليه: فلان متكلم. فلولا أنَّها شيمة شريفة وصفة مبالغة لما وصف بذلك. ثم يقال للإنسان الذي يورد ما تقل فائدته: هذا ليس بكلام. فقد بان بما ذكرته موضع المبالغة في قولهم: فلان متكلم. وقد قال النبي (ﷺ): "إنَّ من البيان لسحرا"[٢].

وتحدث فيه عن صفة (المتكلم) يصفها بأنَّها صفة شريفة تطلق على من يحمل العلم والمعرفة فكثير من الكلام ما يرفع المرء إلى مصاف العلماء والمتكلمين لما فيه من بلاغة وسحر ولما وجدوا فيه من صرف الألفاظ في الدلالة عن المعاني الحقيقية التي تحمل الفائدة باستغلال إمكانيات البيان وأساليبه لكن يستثنى من ذلك الكلام الذي تقل فائدته ويكون موضع مبالغة لو وصف بذلك.

وفي حديث عن النبي (ﷺ) يبين أثر الصمت أو الكلام على حياة الإنسان وقد تطرق كُلٌّ من الجاحظ[٣]، وابن سنان الخفاجي[٤]، وكانت قراءتهما متشابهة لدرجة كبيرة من حيث الأخذ بظاهر الحديث النبوي الشريف والتسليم به أو من خلال عرضهم القراءات الواعية لهُ.

---

(١) البيان والتبيين: ٥٣/١.

(٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٣١.

(٣) البيان والتبيين، ١٩٤/١.

(٤) سر الفصاحة: ٥٧.

ورد أيضاً حديثٌ عن النبي (ﷺ): ((وهل يَكُبُّ النَّاسَ على مناخِرِهم في النَّارِ إلَّا حَصائدُ ألسنَتِهِم إنَّكَ لَن تزالَ سالِمًا ما سكَتَّ فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ لكَ أو عليكَ))[١].

نجد أيضاً ماورد عن النبي (ﷺ) من حديثه عن اللسان، إذ أنَّهُ آفة الإنسان والجاحظ كانت قراءته للحديث النبوي لبيان أهمية الصمت فقد عُدَّ الصمت من أبواب النجاة من الزلل والوقوع في المحذور الذي ممكن أنْ يسببه كثرة الكلام فقد عُدَّ الصمت أو قلة الكلام من الحكمة والوعي، إذ قال الجاحظ: "وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت، وبالتحرز من زلل الكلام، ومن زلل الرأي، ومن الرأي الدبريّ. والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي الأول وفوت استدراكه، وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم، وبالتقدم في ذلك أشد التقدم"[٢].

أمَّا ابن سنان الخفاجي فقد كانت قراءته للحديث قريبة جداً من الجاحظ كون أنَّ الحديث واضح معناه، إذ يعبر عنه بأنَّك إذا التفت إلى أهمية الصمت وجدت من حولك يمدحونه وينظمون الأشعار في آثاره يذكرون ما تجنيه آفات اللسان وكثرة الكلام وأقرب فهماً وبياناً ما ورد عن النبي (ﷺ) في حديثه بياناً للمعنى الذي أقرَّ به[٣].

ويتضح ممّا سبق ذكره نجد أنَّ "القراءة هي الخطوة الأولى في كل عملية نقدية فإننا نجد لزاماً علينا أنْ نبسط القول فيها؛لأنَّها غدت أصلاً في مجال النقد الأدبي"[٤]، إذ من خلالها يتم الكشف عن ما في النص من جماليات التصوير ومعرفة المعنى الحقيقي الذي يقصده من خلال المعطيات والأبعاد الموجودة في النص وهي من تصرح عن حقيقته والمراد منه.

حيث إنَّ النص الناجح هو الذي يُفصح عن مفاهيم متعددة للقارئ، ويجعل من تلك القراءة دليلا يفيد من قراءته اللاحقون، لأنَّ المفاهيم النقدية تتغير وتتطور وتكشف

---

(١) صحيح الترغيب:٣/٩١ ، حديث رقم ٢٧٦٧.

(٢) البيان والتبيين، ١/١٩٧.

(٣) ينظر: سر الفصاحة: ٥٧.

(٤) الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ، فلسطين، ٢٠٠١: ٢٣٣.

عن شخصية الناقد وتفاعله مع النص وما يحتويه. ومهما كان تحليل الناقد للنص ذاتيا أو خاصاً، فإنَّ تلك الذاتية في القراءة لا بدَّ لها أنْ تتحرك حول النص ومعطياته وما يطرحه من طاقات، فتخرج بذلك قراءة جديدة وعطاء يختلف عن سابقه(١). وأنَّ المعطيات والإيحاءات التي يحتويها النص هي من "توسع مجال التأويل أمام المتلقي ويجعل الوهم يذهب في فهم النص كل مذهب حتى لكأن عملية القراءة تنقلب إلى ضرب من الاستبطان الذاتي، وإذ ذاك تصبح لغة النص مجرد قادح تتداعى له المعاني في النفس وتصبح دلالتها (غائبة) لا تقل شأنا عن دلالتها حاضرة"(٢).

لذا فتعدد القراءات شكل قضية نقدية في النقد العربي القديم؛ لأنَّها تكشف عن ذاتية القارئ في قراءته النص ولأنَّ الحديث النبوي نصٌّ مقدس وشكل موروثاً ثقافياً لديهم نجد أنْ تعدد القراءات ارتبط به ارتباطا وثيقاً لأنَّ الحديث النبوي على مستوى عالٍ من النضج فضلاً عن الخصائص المميزة التي اكتنفت بين جنباته فهو مليء بالسمو والرفعة والجمال والجلال فكان حظه من تعدد القراءات واسعا والإسهام الذي أحدثه الحديث النبوي كشف لنا عن تلقي النقاد لتلك الأحاديث النبوية كاشفاً عن المستوى الإبداعي الذي يؤهل الناقد لقراءة النص قراءة جديدة عن طرق استيحاء دلالات غير التي يدل عليه ظاهر الحديث النبوي أو مدى اسهامه في جذب أنظار النقاد لبعض الأبيات الشعرية من خلال تعليق النبي (ﷺ) عليها فكانت ممهداً قويا لشيوعها وتعدد قراءاتها وكثرة تأويلها وتعدد وجهات النظر حولها.

(١) ينظر: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي: ٢٣٧.

(٢) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية ،١٩٨١م: ٦٢٠.

المبحث الثاني

تشكيل المصطلح النقدي

يُعَدُّ المصطلح أداة مهمة يتم من خلالها الكشف عن التطور العلمي والأدبي الذي من خلاله تكتمل عملية التفكير العلمي، إذ إنَّ "المصطلح مهم في تحصيل العلوم، لأنَّهُ يحدد قصد الباحث أو المجادل أو المتحدث، وكان السلف الصالح يعنون به كثيراً... إنَّ أكثر ما يحتاج إليه في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإنَّ لكل علم اصطلاحاً إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلا ولا إلى فهمه دليلا. وعَرَّفَهُ في الاصطلاح: هو العرف الخاص، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيء"(١)، وأنَّ الخوض في أي مجال في مجالات العلوم لابدَّ من تتبع المنظومة المصطلحية التي أفرزتها تلك العلوم ومتابعة مراحل التطور والتحول الذي أصاب بعض المصطلحات فضلاً عن تسليط الضوء على اللبنات الأولى التي ساعدت في تثبيتها ومادام موضوعنا هو إسهام الحديث النبوي الشريف في تأسيس المصطلح النقدي وتقوية حجته.

وأنَّ تحديد أهمية المصطلح بوصفه مجالاً يتم به اكتشاف عدد من العلوم وتحديد ماهيتها وصولاً إلى مرحلة النضج والاكتمال، من هنا ظهرت الحاجة إليه في الدراسات الدينية المتمثلة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتي فتحت باباً لتحديد العديد من مصطلحات العلوم الأخرى مثل النقد والفقه والتفسير والنحو والصرف والبلاغة وعلومها والتي كانت في معظم نشأتها عربية(٢).

وتتحد دلالات المصطلح على وفق تعريفات الجرجاني إذ يقول "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه من معنى لغوي إلى آخر،

(١) معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩: ٩/١.

(٢) ينظر: المصطلح النقدي العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري مرجعياته وإشكالاته (أطروحة دكتوراه)، زكريا بوشارب، الجمهورية الجزائريه، كلية الآداب واللغات: ٩٥.

لمناسبة بينهما. وقيل: الاصطلاح اللفظ الأول، وإخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"(١).

وورد أيضاً عن أبي البقاء الكفوي: "الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"(٢).

وإنَّ تشكيل المصطلحات النقدية وتثبيتها قد جاء في إرهاصاته الأولى وفقاً لوضع المجتمع والطبيعة التي فرضتها عليها، إذ اقتضت وضع بعض المصطلحات من خلال البواكير الأولى للتطور الذي رافق تلك المصطلحات حيث كانت تحمل معطيات البيئة العربية بما حملته الجاهلية من (المعلقات–القصائد) وبما جاء به صدر الإسلام من (فن النقائض) وصولاً إلى العصور الأخيرة بما اوجدته من بعض تلك المصطلحات (المعارضات–الموشحات)، إذ إنَّ البيئة كان لها إسهامٌ واضحٌ في تكوين بعض المصطلحات النقدية وكان الحديث النبوي جزءاً من تلك الثقافة ممّا عكست ثقافة المجتمع، إذ "لم تعرف مجاميع لغوية، ولا مكاسب للتنسيق وإنَّما عرفت مجالس وأسواقاً أدبية"(٣).

وبهذا يظهر أنَّ تشكيل المصطلحات النقدية وبروزها قد جاء من "خليط من التصورات استمد بعضها من عالم الأعراب وخيامهم كالبيت أو العمود، ومن عالم سباق الخيل كالمجلى والمصلى، ومن عالم الثياب كحَسَن الديباجة أو رقيق الحواشي، ومن عالم الحرب والشجاعة كمتين الأسر، ومن ظروف التصارع القبلي كالنقائض والسرقة والرفادة أو الإغارة"(٤).

ودراسة المصطلحات والإلمام بها تُعَدُّ من أهم ما ينبغي على الباحثين في التراث النقدي دراستها وتتبع العوامل التي أسهمت في وضعها ودراسة مراحل تطورها ، إذ يقول

(١) كتاب التعريفات: ٢٨.

(٢) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة: ١٢٩.

(٣) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص)، الشاهد البو شيخي، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩: ٨٤.

(٤) المصطلح في التراث النقدي، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠: ٦.

الجاحظ "هم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا بذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع"(١).

وعندما جاء قدامة أعاد طرح إشكالية وضع المصطلحات، فوجد لنفسه الفضل في وضع بعض تلك المصطلحات النقدية وأعطى الحق لهُ في وضع الكثير منها(٢). إذ قال "ولما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليه احتجت أنْ أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها"(٣).

وأنَّ المصطلح النقدي في البيئة الإسلامية بحسب ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي "لم يكن وليد غزو ثقافي، أو هيمنة حضارية خارجية، وإنما كان نتيجة تطور داخلي وتفاعل داخلي لمكونات الجسم نفسه"(٤)، فهو يكشف عن ذاتية نشوء تلك المصطلحات وبالتالي كشف عن وعي عميق لدى النقاد حين التفتوا إلى أهميته والظروف التي ساعدت في نشوء البعض منها(٥).

وقد تَكَلَّمَ الجاحظ عن التطور والتحول الدي طال بعض المفردات أبان ظهور الإسلام مشيراً إلى أنَّ العرب قد هجروا الكثير من الألفاظ وجاؤوا بألفاظ كثيرة ممّا أدَّى إلى اتساع الحركة العلمية في وضع المصطلحات بانفتاح الحياة الجديدة واتساعها وما حملته من فكر ووعي قيمي رصين(٦).

إذ أتت معالم الحضارة الإسلامية وغرست في وعي وأعماق الإنسان العربي قيماً ومفاهيمَ جديدة في العقيدة والأخلاق والمعاملات مالم تكن موجودة في الجاهلية ، إذ

---

(١) البيان والتبيين، ١/١٣٩.

(٢) ينظر: المصطلح النقدي في التراث العربي، محمد عزام، دار الشروق العربي: ٦.

(٣) نقد الشعر: ٦٨.

(٤) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص): ٨٤.

(٥) ينظر: المصطلح النقدي في تراث أحمد مطلوب بين القديم والحديث، محمد غانم شريف، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ٢٠٠٩، العدد ٧٩، السنة ٤٩: ٣٠٤.

(٦) ينظر: معجم النقد العربي القديم:١/ ١٢-١٣.

إضافت ثروة لغوية وقد كان المعين الذي استمد منه هذه المادة الخصبة ومصدرها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[١]، ومنها ما وجدناه من تلك المصطلحات النقدية التي ساعد الحديث النبوي في تشكيلها وتطورها أو ما كان فيها الحديث النبوي شاهدا لإبراز الأثر الجمالي للمصطلح النقدي عند بعض النقاد.

❖ **الطبقات:**

قد ورد مفهوم الطبقة عند ابن منظور "تطابق الشيئان: تساويا، وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما. والطبق: الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم. والطبقة: الحال"[٢].

وتعني بأنَّها تحمل عدة معانٍ وأكثرها تعبر عن تقسيم عدة أشخاص وفق مستويات في مجموعة تضم كل منها سمات وخصائص تشترك بينها[٣].

قد كان إسهام الحديث النبوي الشريف في إنتاج بعض المصطلحات النقدية وتشكيلها أو تثبيتها والعمل بها أمراً لا يختلف عليه اثنان فقد كان الحديث النبوي الشريف وما صدرت عنه من مؤلفات اهتمت بدراسته وتفحصه من خلال الإسناد والوثوق به، إذ شرع المهتمون بالحديث النبوي الشريف في جعل رجالاته في طبقات حسب درجة الوثوق بهم بحيث كانت منطلقاً للنقاد وغيرهم ليتنبهوا إلى الفكرة والعمل بها ، إذ "إنَّ الأصل في تأليف الطبقات هو تصنيف جماعة من الناس اشتركوا في فن من الفنون، أو علم من العلوم، وإنَّ أول من قام بهذا العمل هم علماء الحديث الذين أرادوا تصنيف رواته في طبقات زمانية، فوضعوا كل جيل في طبقة، حتى تعرف أزمانهم وأجيالهم مما يساعد فيما بعد على دراسة أسانيدهم والتأكد من صحتها. غير أنَّ هذه الفكرة لم تقتصر على ميدان الحديث، بل امتدت إلى ميادين أخرى...ولكن لم يقتصر

(١) ينظر: المصطلح النقدي العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري مرجعياته وإشكالاته: ٩٤.

(٢) لسان العرب: مادة (طبق).

(٣) ينظر: معجم النقد العربي القديم: ١٠٧/٢.

معنى الطبقات هذا على المعنى، بل تعداه إلى المعنى القيمي حسب مكانتهم ودرجاتهم كما هي عند ابن سلام ..."[١].

لذلك جاهد العلماء على تصنيف هؤلاء الرجال في طبقات بحسب الوثوق بهم ومدى تصديق العلماء بهم، عندما تعرض الشعر للسرقة والتلفيق كالذي أصاب الحديث النبوي، وقد وجد ناقد مثل ابن سلام بأنَّها فرصة مناسبة للاقتباس والدخول بها للأدب وبالأخص الشعر. وتطبيقها على الشعراء في جعل الشعراء طبقات. ولهذا إنَّ الإرهاصات الأولى لدخول هذه الفكرة في الأدب والشعر على وجه الخصوص قد جاء تكوين وإنتاج المصطلح من خلال تأثرهم بالحديث النبوي وتصنيفه[٢].

حيث وجدوا النقاد في دراستهم "القرآن الكريم وعلوم الحديث بغية العلماء، ولما كانت تستوجب معرفة باللهجات العربية المختلفة، فأنَّ العلماء وجدوا في الشعر العربي خير معين لهم"[٣]، إذ عُدَّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما بهما من مصطلحات خير معين على استنتاج بعض تلك المصطلحات ومن ثم تطورها.

ويتبين مما سبق ذكره بأنَّ دراسة النقد وبيان بعض المصطلحات النقدية قد أوقد شرارتها نزول القرآن وتفسير الحديث وأقواله وبيان ما غمض منها بالرجوع إلى الشعر فكانت بمثابة خدمة للعلوم الدينية وليس من الغريب أنْ تجد بعض تلك المصطلحات في أقوال وأحاديث النبي (ﷺ) ما أسهم في الارتقاء بالنقد ووضع مصطلحاته.

ومنها مصطلح الطبقات الذي كشف بكل جوانبه عن الإبداع الإسلامي المتميز الذي أوجده العلماء المسلمون، إذ وجد مصطلح الطبقات في ميدان الأدب تربة خصبة لتثبيته وانطلاقه في تقسيم الشعراء مجموعات وطبقات وفق شروط وقواعد أوجدها بعض النقاد ونحن عندما "نقول الأدب فإننا نعني الشعر؛ لأنَّ التأليف في

(١) طبقات الشعراء في النقد الادبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جهاد المجالي، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٢: ٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧.

الطبقات تركز في الشعر دون غيره من فنون الأدب المختلفة، فتلقف نقاد الأدب هذه الفكرة واستخدموها في تصنيف الشعراء ضمن أسس ومقاييس متفق عليها، غير أنَّ انتشار هذه الفكرة لم يتوقف عند هذا الحد، بل إنَّها وجدت صدى واسعا في ضروب المعارف المختلفة، فظهرت المؤلفات في طبقات الفلاسفة والحكماء والمعتزلة والأمم والأصوليين والنسابين والرواة والبيانيين... الخ"[١]، ومنها نجد فكرة الطبقات قد اشتهرت في الأدب العربي فراح النقاد يؤلفون فيها كتباً ومصنفات على رأسها كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي وهذا ما ساعد عليه الحديث النبوي الشريف، إذ أسهم في تشكيل مصطلح الطبقات.

❖ **الموازنة:**

عُرفت الموازنة بأنها " المفاضلة بين شاعرين أو كاتبين أو عملين أدبيين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي "[٢]

والآمدي عرض في موازنته بين شعر البحتري وأبي تمام جملة من المعايير التي من خلالها استنبط الأحكام الموجهة إلى كُلٍّ منهما فمنها معايير فنية وبيانية ولغوية أو منطقية وما يخصنا هو أتحاذه الحديث النبوي دليلاً وحجة في عرضه هذا المصطلح ، إذ عرض معاييره البيانية فجعل الملائمة في استخدامها وعدم الإسراف بها هو ما يقيس به جودة شعرهم فقد ورد في قبيح التجنيس في شعر أبي تمام حيث يقول الآمدي بأنَّ التجنيس "المجانس من الألفاظ... هو ما اشتق بعضه من بعض"[٣].

وقد أورد في هذا الصدد أمثلة كثيرة من الشعر العربي القديم كأمرئ القيس وذي الرمة والقطامي وغيرهم وصَرَّحَ بأنَّ قول الشاعرين:

---

(١) طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري: ٥٩.

(٢) معجم النقد العربي القديم :٣٧٣/٢

(٣) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري: ٢٨٢/١.

قول جرير:

فما زال معقـــولاً عقالٌ عـن العلا وما زال محبوساً عــن المجد حابس[١]

وقول الفرزدق:

خفافٌ أخـفّ اللهّ مَنـْـه سحـــابه وأوسعــه مــن كلَّ سافٍ وحاصـب[٢]

وكأنَّ هذين الشاعرين في تجنيس ما جنسا من هذه الألفاظ وحاجتهما إليه يشبه قول النبي (ﷺ): ((عصية عصت الله، وغفارٌ غفر الله لها، وأسلم سالمها الله))[٣].

إذ جسدت الموازنة التي أقامها الآمدي في الكشف عن توظيف آليات البلاغة في الحكم على الشعراء، و اتخذ من حديث النبي (ﷺ) دليلاً وحجتاً في عرضه لمصطلح الموازنة الموضوعية وذلك لمن أجاد من الشعراء في استخدامهم التجنيس الذي يقترب من الحديث النبوي الذي يبين مدى توافق الكلمات وذلك البعد الصوتي الذي تخلقه فتثير في المتلقي حب الاستماع لما يقال وكأنَّها تأخذ بعضها ببعض والملاحظ لم يكن ذلك التجنيس من أجل خلق متعة جمالية من خلال التناغم فيما بين الكلمات بل كانت الحاجة إليه لغوية تمثلت في إظهار صدق الدلالة وعمق تأثيرها ويُصَرَّحُ الآمدي "ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود، لكنه إنَّما يأتي منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان، على حسب ما يتفق للشاعر، ويحضر في خاطره، وفي الأكثر لا يعتمده، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه؛ فلا ترى فيه لفظة واحدة"[٤]، لكنَّ أبا تمام أسرف في استخدامه وبذلك كان سبباً في التنبيه والتوجيه على أنْ ينتهج الشعراء التوسط في استخدامه وعدم الإفراط في إدخاله أشعارهم.

---

(١) ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق ، نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط٣ : ١٨٤/١ ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري: ٢٨٢/١.

(٢) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري: ٢٨٢/١.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٣، صحيح مسلم:١٩٥٣/٤ ، حديث رقم ٢٥١٨.

(٤) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري: ١/ ٢٨٤.

❖ **الصدق:**

الصدق: نقيض الكذب، وصدقت القوم: قلت لهم صدق[١].

الصدق أحد القضايا التي شكلتها ثنائية الصدق والكذب وقد تضاربت الآراء حولها منهم من اشترط الصدق في الشعر وغيرهم رجح الكذب وطرف آخر وقف موقفاً وسطاً بينهما وهي قضية نقدية وجدت منذ وجد النقد وقد ورد الصدق في الكثير من الأحاديث النبوية مشيراً إلى أهميته في جوانب الحياة كافة وقد كان الشعر واحداً من القضايا التي طلب الالتزام بها بعنصر الصدق وفتش عنه في أبيات بعض الشعراء حيث قال النبي (ﷺ): ((أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ))[٢].

وفي هذا دليل واضح عن (الصدق) مصطلح وجده الإنسان وحَثَّ على اكتنازه في جوانب الحياة كافة ومنها الأدبية أراد من الشعراء التزامه في شعرهم وحَثَّ على أنْ يكون صادقاً مدحاً وهجاء وفخراً.

❖ **الجزالة:**

إنَّ مصطلح الجزالة ورد تعريفه كثيراً عند النقاد، إذ تعني الجزالة بأنَّها "الجزل: الحطب اليابس، وقيل الغليظ. ورجل جزل الرأي وامرأة جزلة: بينة الجزالة جيدة الرأي. واللفظ الجزل: خلاف الركيك" [٣].

وإذا أردنا تتبع لفظة (الجزالة) في أقوال النبي (ﷺ) نجدها حاضرة، إذ وردت لديه في معرض حديثه على تمييز كلام الشعر بالجزالة كما في قوله: ((الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم فيه في بواديها وتسل به الضغائن من بينها))[٤]، فقد خَصَّ النبي (ﷺ)

(١) لسان العرب: مادة (صدق)، معجم النقد العربي القديم: ٨٨/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٦١٧٤.

(٣) لسان العرب: مادة (جزل)، معجم النقد العربي القديم: ٤٢٥/١

(٤) العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده: ج٢٨/١، زهر الأكم: ٤٤/١.

الشعر بـ (الجزالة) لما تتمتع به الألفاظ الجزلة من قبول لدى المتلقي كونها تبعدها عن الألفاظ الوعرة والخشنة والركيكة التي تحط من الشعر واستناداً لوصف النبي (ﷺ) لكلام الشعر بالجزالة مضى النقاد على بيانه واعتماده في الحكم على الشعراء.

وبياناً لما جاء في القول النبوي فيما يخص وصف ألفاظ الشعر نجد هنا دعوة إلى البحث عن الألفاظ الجزلة لكي يحقق الشعر التأثير في النفوس استنادًا لغاية يريدها الإسلام في تهذيب الألسن والقضاء على ما وجدته من قيم ومفاهيم جاهلية ومن ألفاظ غثة ووحشية لا يرضى بها الإسلام محاولاً بذلك بناء الفن على قيم صحيحة لكي يبني المجتمع ويوجهه بالشكل الصحيح.

❖ **المعاني البليغة :**

ويقصد بها الحكمة في القول : وتعني جلب أبلغ المعاني اللائقة والمعبرة عن النفس والفصح عما يجول في خواطرهم بألفاظ وتعابير أشبه بحكم قريبة محببة إلى النفس، إذ إنَّ المعاني البليغة "لا تصدر في الغالب إلَّا عن العقلاء المجربين المتبصرين بعواقب الأمور، فينطق الإنسان عن أحوال الناس بكلمة تجمع أنواعاً كثيرة. والناس متفاوتون في ذلك، فمنهم من يتوسط، ومنهم من يجيد"(١).

وتلك المعاني قد تكون نتيجة تجربة مؤثرة يعبر عنها بألفاظ موجزة فمنهم من يكون تعبيره بسيطاً ومنهم من يكن تعبيره مؤثراً بليغاً ويعلق في النفوس أمداً طويلاً وتتداوله الألسن.

أمَّا ورود مصطلح المعاني البليغة في أحاديث النبوية نجدها حاضرة في مواقف مختلفة ، إذ ورد عنه (ﷺ) بمعنى الحكمة : ((الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمنِ، فحيثُ وجدها فهو أَحَقُّ بها))(٢). وايضا ما ورد عن النبي (ﷺ) حين علق على أبيات أعجب بها: ((إنَّ مِن الشِّعرِ لحِكمةً))(٣).

(١) معجم النقد العربي القديم: ٤٤٩/١.

(٢) سنن الترمذي: ٢٦٨٧.

(٣) صحيح البخاري: ٦١٤٥، سنن الترمذي: ٢٨٤٥.

والمعاني البليغة مصدرها النبي (ﷺ) وقد تمثلت كثيراً في أقواله الشريفة، إذ عُد الحكمة هدف كل شخص وغايتهُ يريد الوصول إليها ولكن لا يتقنها إلَّا أهل العلم والخبرة والمعرفة وقد عَبَّرَ عنها النبي (ﷺ) بوصفها طريقاً للمعرفة ينال المرء منها ثناء ومدحا وبها تعالج قضايا المجتمع ومنها فقد أطلق على الشعر الذي يتصف برجاحة القول والتسديد بالحكمة تشبيهاً لهُ.

❖ **حسن البيان:**

اصطلاحا: هو قدرة المتكلم التعبير عما يجول في خاطره باستعمال ألفاظ سهلة واضحة لدى المتلقي مع استغلال إمكانات التعبير بالإشارة كحركات اليد أو إيماءات الرأس لكي يوصل ما يريده بأبلغ تعبير وأسهل عبارة وأحسن صورة.

وقال الجاحظ: "وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّل والشكل"(١).

وكأنَّهُ يُصَرَحُ بأنَّ حسن أداء العبارات يزيدها وضوح حسن استخدام الإشارة.

ومثال ذلك حديث النبي (ﷺ) الذي كان فيه إيصال الفكرة بأبسط المعاني مع استخدام الإشارة لحسن بيان المقصود، إذ يقول: ((كيف بك يا عبدَ اللهِ بنَ عَمرو إذا بقِيتَ في حُثالةٍ من الناسِ مرَجَتْ عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا فصاروا هكذا: وشبَّك بين أصابعِه))(٢).

ويقول ابن رشيق القيرواني "ولا أحد أفصح من رسول الله (ﷺ) ولا أبعد كلاماً منه عن الحشو والتكلف"(٣).

---

(١) البيان والتبيين: ٧٩/١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده: ٣٠٩/١. ، متن الحديث " كيف أنت إذا بقيت فى حثالة من الناس، قال: قلت: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال إذا مرجت عهودهم وأماناتهم ... " السلسلة الصحيحة: ٤١٦/١ ، حديث رقم ٢٠٦.

(٣) العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده: ٣٠٩/١.

وكأنَّهُ أراد إبراز الجانب الجمالي لذلك المصطلح مستدلاً بحديث من النبي (ﷺ) كونه قد جمع ما بين سهولة وعذوبة ووضوح ألفاظه مع استخدامه حركات يده (شبك بين أصابعه) للدلالة على اختلاط وتشاكل الأمور فيما بينها.

نستنتج ممّا سبق أنَّ بعض المصطلحات النقدية القديمة ودور الأحاديث النبوية الشريفة فيها قد كان واضحا، إذ نجد أنَّ بعض المصطلحات قد تغيرت دلالاتها وتغيرت تسميتها ،وأنَّ البعض منها قد كان الحديث النبوي سبباً في ظهورها وأنَّ إسهام الحديث النبوي في تشكيل المصطلحات النقدية واضحاً ،ذلك لما أثر عن الحديث النبوي الشريف من مؤلفات ومصادر ومفاهيم استغلها النقاد وأدخلوها ميدان النقد والأدب ممّا ساعد على ظهور وإنتاج بعض المصطلحات ، لذا نجد أنَّ بعض المصطلحات قد استمدت شرعيتها من الدين الإسلامي فأخذت لنفسها مكانا وتوجيها للمضي عليها.

فضلاً عما ورد في الأحاديث النبوية من مصطلحات نقدية كثيرة كانت دليلاً للدراسة وارتباطها بالحديث النبوي شرع لبعض النقاد في الاستفادة منها واعتمادها حجة في نقدهم وليس هذا فحسب بل نجد الحديث النبوي حاضراً للدلالة على المستوى الفني والجمالي لبعض المصطلحات النقدية.

المبحث الثالث

إصدار الأحكام النقدية

إنَّ تأثير الحديث النبوي في تطور النقد واقع يفرضه ما جاء في كثير من تلك الأحاديث النبوية وكان تأثيره جلياً واضحاً من بعد القرآن الكريم.

والمتتبع لمؤلفات النقد الأدبي يلاحظ عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي جاء بها النقاد ليتبعوا ما جاء بها من أحكام نقدية عبر استدلالهم بتلك الأحاديث النبوية لتقوية حجتهم وتمثل تلك المواقف التي اتخذها النبي (ﷺ) من الشعر بشكل خاص والأدب بشكل عام وبالتالي شكلت أحكاماً نقدية مهمة أتخذت فيما بعد ميداناً لزرع القيم الإسلامية الجديدة.

وفي هذا المبحث نتطلع إلى دراسة حجية الحديث النبوي في إصدار بعض الأحكام النقدية والميزات التي حوتها تلك الأحكام، إذ احتلت تلك النصوص أهمية كبرى لدى النقاد، لأنَّ النبي (ﷺ) قد عُرِّفَ بذوقه السليم ولغته الواضحة وأحكامه العادلة. ممّا جعلها تحتل مكانة عظيمة وفيما بعد أصبحت بذرة صالحة مضى النقاد على توظيفها في مؤلفاتهم واعتمادها أدلة واعية لتقوية حجتهم وإصدار الأحكام النقدية.

ولا بدَّ مِنَ الإشارة إلى أنَّ السبب الذي من أجلها لاقت تلك الأحكام صدى واسعاً واستهوت النقاد؛ لأنَّها في الأساس تكشف عن الطريقة التي يتم فيها إصلاح المجتمع والفكر وتهذيب الطباع والألسن لأنَّ الدين وقتها احتل منزلة كبرى في قلوبهم[١].

وقد تجملت تلك الحجج بالالتزام الديني والأخلاقي وكان توجيهها يتناسب مع القواعد الفنية والموضوعية التي حملها الدين ونظرة النقاد إليها كانت نتيجة تأثير واستجابة للتطورات التي شهدها المجتمع وقتها[٢].

(١) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث: ٦٧.

(٢) ينظر: مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي: ٩٢.

ولاقت تلك الأحكام التي صدرت عن النبي (ﷺ) إسهاما واضحاً في تطور النقد والتي فيما بعد أصبحت أسساً وقواعد وأصول ثابتة وإنْ كانت بسيطة لكنها أوجدت حيزاً واسعاً من اهتمام النقاد وكانت منطلقاً لكثير من الأحكام.

ولو امعنا النظر في تلك الأحكام النقدية التي وجدناها عن طريق إصدار حكم من النبي (ﷺ) بشكل مباشر تجاه الشعراء أو إشعارهم كما في ريادة امرئ القيس للشعراء أو استحسانه لقصيدة (بانت سعاد) والتي كشفت عن احكامٍ تناولها النقاد من بعده للوقوف على الأسباب التي من أجلها صدرت فيهم تلك الأحكام أو في اتخاذ النقاد الحديث النبوي حججاً لبعض الخلافات اللغوية أو البلاغية أو فيما يتعلق في الاستدلال على معاني بعض المفردات فأتوا بالأحاديث النبوية كونها حجج واعية مسنودة ودقيقة لامجال للشك فيها ودليلهم القوي في اصدار حكم نقدي دقيق وتقرير بعض الضوابط والأخذ بها.

والذي بَيَنَ تفوق الحديث النبوي على غيره من الكلام ما جاء في وصف مكانة العرب وآدابهم وما جاء به النبي (ﷺ) من عظيم منبعه من لغة وبلاغة "وإذا كان العرب أمة البلاغة وأئمة الفصاحة، تعنو لهم أزمة القول، وتنصاع أعنة الكلام، ويهتفون برائع الخيال، فينقاد لهم عميه، ويروض شامسه، ويستذل أبيه، وإذا كان الكلام صناعتهم بها يفاخرون ويتباهون، فلا بدَّ أنَّ الرسول (ﷺ) الذي يرسل إليهم يبلغهم عن ربهم، وهدم عقائدهم الباطلة ومذاهبهم الزائفة، ويغير ما ألفوا من عادات، وما ورثوا من تقاليد، لابدَّ أنْ يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقه أروع من منطقهم، وخطابه أجل أثراً وأعظم قدراً وأعلى شأناً من خطابهم"[1]، إذ يؤكد مهما بلغ العرب من بلاغة وحكمة فأنَّ النبي (ﷺ) فاقهم بلاغة وفصاحة ورجاحة في القول والمنطق.

إذ أخذ مكانته المميزة لدى المهتمين بالأدب وكان لهُ أثر في تكوين وتبلور قضاياه فأخذ من تلك الحجج القوية والكلام البليغ معالماً للنقد واعتمادها في إصدار الأحكام النقدية.

(١) الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٣.

وكان المسلمون يلتفتون إلى ما يصدر عن النبي(ﷺ) فيما يخص نواحي حياتهم كافة خصوصاً ما يصدر عنه تجاه الأديب والشعر ليس بوصفه حكماً نقدياً فنياً ولكن ليوضح جادة الطريق لهم حتى يوظفوا تلك المعايير الفنية والموضوعية التي يرتضي بها الإسلام(١).

وهنا سنلقى الضوء على بعض الأحاديث والأقوال التي كانت سببا في وضع بعض المعايير النقدية وتقوية الحجية وإصدار الأحكام النقدية ومن هذه الأحكام:

الحكم الذي من خلاله حظي امرؤ القيس بمنزلة خاصة ، إذ كان ممن وصلت إلينا أخبارهم وأشعارهم وقد كانت شهرته واسعة على الرغم من وجود العديد من الشعراء في ذلك الوقت إلَّا " أنَّ شهرته طغت عليهم بما حققه من إنجازات فنية في شعره وصارت علما يهتدى به في عصره ومن جاء بعده من الشعراء"(٢).

إذ ورد عن النبي (ﷺ): ((صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس لأَنَّهُ أول من أحكم الشعر)) (٣).

نجد أنَّ ما صدر عن النبي (ﷺ) تجاه امرئ القيس يعد حكماً نقدياً والحكم النقدي الذي أصدره لم يكن فيما حمل في شعره من معانٍ أو ألفاظ بل كانت تدور حول ما هو خارج النصوص الشعرية وللوقوف على الدلالات النقدية التي حملها الحديث النبوي، نجد أن معنى اللواء معناه "الراية ولا يمسكها إلَّا صاحب الجيش"(٤).

والمعنى الدقيق الذي حمله هذا البيان النبوي وحجيته في جعله صاحب اللواء، إذ يؤكد أن "اللواء علامة يُشهر بها في الناس؛ لأنَ موضع اللواء شهرة مكان الرئيس. إنَّ مقاربة أولى لهذه المعاني، تكشف عن دلالتين، أرادهما التوصيف النبوي: الدلالة الأولى:

---

(١) ينظر: مباحث تأويلية في النقد العربي القديم: ٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري: ٢٠/٩.

(٤) لسان العرب: مادة (لواء).

إنّ امرأ القيس هو صاحب لواء الشعراء أي قائدهم وأميرهم وكبيرهم وذو الشأن منهم. والدلالة الثانية: إنّ امرأ القيس يُمسك بعلامة تدلّ على مقامه وإمرته وقيادته وهذه العلامة هي اللواء أو الراية التي اشتهر بها بين الناس عامة والشعراء خاصة وبمقاربة معرفية ثانية لهذه الدلالات نقول إنّ الشاعر امرأ القيس بما امتلك من موهبة شعرية مميزة في عصره، صار أميراً للشعراء وقائداً لهم، وأمسك بيده لواء الشعر الذي يقود به الشعراء إلى النار والمراد هنا شعراء العصر الجاهلي"(١).

أمَّا ما يتعلق بالجزء الثاني من هذا الحكم النقدي النبوي هو إحكام امرئ القيس لدواعي الشعر الفنية والإحكام يقصد به "أحكم الآمر والحكيم المتقن للأمور، أحكمت الشيء فاستحكم؛ صار محكماً والحكمة القدر والمنزلة "(٢)، إذ يقصد به هنا بمثابة الأخذ بأحسن ما يوصف بأنَّهُ شعر قد ضبط وزناً وقافية وأحكم أموره كلها فأصبح لأحكامه منزلة وقدر.

نلاحظ المعاني التي حملها الحكم النبوي قد كان في جعله على رأس الشعراء في عصره لما تميز به من سمات قد نال بها مكانة كبيرة مقارنة بغيره وهذا الحكم لا ينظر إلى ما في شعره من ألفاظ ومعانٍ، إذ أنَّهُ كان جاهلي المحتوى والمضمون بل إلى الركائز المتينة ودقة أحكامه للحيثيات الفنية التي يقوم عليها الشعر العربي.

ومن خلال الحكم النقدي الذي أصدره النبي (ﷺ) نجد أنَّهُ استنفذ كل دلالات المعاني التي يؤديها (اللواء– إحكام الشعر) ممّا جعل شعر امرئ القيس يفوق غيره من الشعراء في إحكامه الشعر واستغلاله إمكاناته الفنية والموضوعية وتوظيفها عنده وبالتالي أصبح هذا الحكم والنقد الذي أصدره النبي (ﷺ) قاعدة لفتت أنظار النقاد من بعده كونه قد وضع امرئ القيس المكانة التي يستحقها بين الشعراء الجاهلين وبذلك أصبح ركيزة من ركائز النقد فضلاً عن أنَّ الحكم النقدي الذي صدر تجاه الشاعر كان من خير البشر

(١) مباحث تأويلية في النقد العربي القديم: ٣٧.

(٢) لسان العرب: مادة (حكم).

أجمعين الذي عرف بالفصاحة والبلاغة وهو افصح العرب وساداتهم و كان هذا الحكم نابعاً من خلال ما حققه الشاعر من أحكام البناء الفن الشعري ودقه المضامين التي أدخلها في أشعاره ما جعل الشعراء من بعده يحتذون أثره ويتبعونه ويسيرون على منواله(١).

أمَّا الحكم من الموقف الآخر فأنَّهُ يكشف لنا حكما نقديا نجده في قصيدة (بانت سعاد) إذ أرسى قاعدة مهمة تطال الشعر والأدب وعلى الرغم من أنَّ الشاعر قد بدأها بمقدمة غزلية، إذ كشف هذا الاتجاه عن توجه الشاعر الجديد ومناسبة أشعاره للعرف الاجتماعي السائد واستمداد معاني المديح وألفاظه من الدين والتي من خلالها وجه قصيدة المديح نحو مذهب إسلامي.

إذ أنشد كعب بن زهير قصيدته التي أولها(٢):

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبــي اليَوْمَ مَتْبـولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهــا لم يُفْــدَ مَكْبــولُ

وتوقف النبي (ﷺ) عند كلمة في إحدى أبيات القصيدة التي يقول فيها:

إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضــاءُ بِــهِ مُهَنَّدٌ مِــنْ سُيوفِ الهند مَسْلُــولُ

فعدلها إلى (من سيوف الله) ومن خلال هذا الوقفة نجد أنَّ النبي (ﷺ) أرسى قاعدة مهمة فيما يخص الأداة التعبيرية ودقة اختيار الألفاظ التي تعبر عن المعنى بشكل أوضح ومناسبتها للعرف السائد في المجتمع ولكون النبي (ﷺ) وظهور الإسلام على يده كان محورا للعديد من المدائح النبوية التي تنشد في حضرته وهذا ما وجدناه عندما جاء كعبٌ يطلب العفو من النبي (ﷺ) وأنشده تلك القصيدة وما جاء فيها من معانٍ موافقة لمعاني الإسلام وما حوته من قيم ومعتقدات تقبل النبي (ﷺ) لها وبذلك عَدَّهُ موقفاً وحكماً نقدياً تجاه تلك القصيدة، إذ لا بدَّ من الوقوف طويلاً عند

(١) ينظر: مباحث تأويلية في النقد العربي القديم: ٣٨-٣٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر: ٢٤/١، القصيدة في شرح ديوان كعب بن زهير: ٦.

أقوال النبي (ﷺ) والنظر إليها بعين التأمل والتدبر لكي نكشف بعض الدلالات المختبئة وراء تلك المعاني، إذ نستنتج من الحكم النقدي عدة مقررات أولاً: احتلال المديح مكانة مميزة ولكن ليس أيَّ مديح بل الملتزم بالتعاليم الإسلامية والقول الحق الخالي من الكذب والتزلف للممدوح. ثانيا: قبول النبي (ﷺ) لهذه القصيدة لفت أنظار الشعراء في المضي على نفس القيم والأعراف التي توافق الموروث الاجتماعي السائد في ذلك الوقت. ثالثا: الاعتراف بشان القصيدة والبناء الفني شُكَّلَ إطاراً ومنهجاً رصيناً في بناء القصيدة العربية(١).

إذ مثل الحكم النقدي هذا "حجة متينة أمسك بها الناقد العربي القديم وهو يؤهل لبناء القصيدة العربية، إذ رأى فيها شرعية متينة يتحقق فيها أمران الأول التواصل مع الموروث الفني للشعر العربي قبل الإسلام الثاني رضا الإسلام عنه ممثلا برضا النبي (ﷺ) عن قصيدة كعب بن زهير"(٢)، فقد حرص النبي (ﷺ) من خلالها على ضرورة استيعاب معاني الدين الجديد وتوظيف ألفاظه في بناء أشعار الشعراء.

وفي موقف آخر نجد الحديث النبوي في تقوية حجية الحكم النقدي حاضراً عند ابن سلام وذلك حين تحدث فيها عن عيوب القافية في الشعر "وَمِنْها الإيطاء وَهُوَ أَنْ تتفق القافيتان في قصيدة وَاحِدَة"(٣)، والذي يقصد به الموافقة وبعبارة أخرى "الإيطاء: وهو إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها بدون أنْ يفصل بين اللفظين سبعة أبيات على الأقل، وقال الخليل: يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط"(٤).

والذي يقصد فيه اتفاق كلمات على الوزن نفسه وتكرارها فتكون كالقافية التي نجدها آخر البيت الشعري ويقول ابن سلام "إِن كَانَ أَكثر من قافيتين فَهُوَ أسمج لَهُ... ولَا يجوز

(١) ينظر: مباحث تأويلية في النقد العربي القديم: ٤٦.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ٧٢/١.

(٤) أهدي سبيل الى علمي الخليل، محمود مصطفى، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢: ١٠٢.

لمولد إِذْ كَانَ عِنْده عَيْبا... فَإِذا اتّفق اللَّفْظ وَاخْتلف الْمَعْنى فَهُوَ جَائِز نَحْو قَوْلك مُحَمَّد تُرِيدُ الِاسْم وجواد مُحَمَّد تُرِيدُ الْفِعْل"[١].

ثم جاء بمعنى يدعم حجته بآية كريمة تمثلت بقوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[٢]، ثم يأتي بحديث النبي (ﷺ) ليقوي حجته والذي يقول فيه: ((إِن الزَّمَان قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْم خلق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض)) [٣].

"إذ ورد في الحديث النبوي «استدار»، بصيغة الفعل الماضي المزيد وكلها تتفق في المعنى الأصلي وهو تقلب الزمان، وكثرة حوادثه ونكباته"[٤]،إذ ربط بين أستدار الوارد في البيت الشعري الذي مثلها الايطاء وكأنما يحمل قافيتين وبين الأستدارة التي جاءت في الحديث النبوي الشريف

وجاء الحديث النبوي واحتج به ابن سلام لبيان ما ورد عند العرب من مفاهيم ومنها (الإيطاء) والذي خرج فيها إلى قصد الموافقة بين بعض الكلمات وكأنَّما البيت الشعري يحمل قافيتين أو أكثر على نفس الوزن، وقد أباحها ابن سلام شرط عدم الإكثار منها واختلاف الكلمتين في المعنى لكي لا يحصل لبس في الفهم وأنَّ هذه المفاهيم التي وجدوها في أشعارهم احتجوا عليها بآيات من الذكر الحكيم ثم يشرعوا بذكر الأحاديث التي تصب في الموضوع نفسه لصدور الأحكام النقدية وتقوى حجتهم فالحديث النبوي طرف مهم في أيضاح ذلك المفهوم النقدي.

والحجة النقدية الأخرى نجدها عندما توقف ابن قتيبة في شرح وبيان معنى مفردة وردت في البيت الشعري لأبي تمام يصف فيها الخمر، إذ يقول[٥]:

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ٧٢/١.

(٢) سورة التوبة: اية ٣٧.

(٣) صحيح البخاري:١٧٧/٥ ، حديث رقم ٤٤٠٦ .

(٤) الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به: ٣٥٧.

(٥) الشعر والشعراء: ٨٠٥/٢.

لا كَرمُهــا مَــمّا يـُذالُ وَلا فُتِلَت مَرائِرُهــا عَلى عَجــمِ

فإنَّه يشكل معناه. والذي عندي فيه: أنَّهُ وصف الخمر بالصّلابة والشدّة، فشبّهها بحبل فتلت قواه، وهى مرائره..."[١]، حيث صَرَّحَ ابن قتيبة هنا بإشكالية المعنى ووضوحه لديه ثم يستطرد قائلاً "وأصل العجم: النّوى، شبّه ما يبقى من عيدان الكتّان فى مرائر الحبل به، وهذا مثل يضرب لكل شيء اشتدّ وقوى، فيقال: إنّه لذو مرّة، أى ذو فتل. وقال النبى (ﷺ): (لا تحلّ الصدقة لغنى، ولا لذى مرّة سوي)، آي لذي قوّة، كأنّ القوي من الرجال"[٢].

نجد ابن قتيبة استدل بحديث النبي (ﷺ) : ((لا تَحِلُّ الصدقةُ لغَنِيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ))[٣].

إذ مثل الحديث النبوي حكماً نقدياً لبيان معنى المفردة التي وردت في البيت الشعري وهي لفظة (مرائرها) وأنَّ الشاعر أراد بها القوة في بيته الشعري وكانت حجته القوية والمسلم بها ما جاء في الحديث النبوي الشريف لبيان المعنى الذي أراد بها تلك المفردة والاستدلال عليها ولقطع الشك والتأكيد إنْ أراد بها القوة وذلك حين حرم تلك الصدقة على الغني صاحب المال والشخص (ذو المرة) الذي يكون قوي الجسد وصحيح البدن من العلل والأمراض التام الخلقة، فمنعه من الصدقة لما تميز به من صفات تجعله قادراً على تحصيل المآل وقد استدل ابن قتيبة يالحديث النبوي الشريف لتأكيد معنى المفردة والتأكيد على صحتها بمعنى كلمة (ذو قوة).

ونجد أيضاً ملمحاً نقدياً عند الجاحظ، إذ يناقش القضية والجدل الذي حصل حول موقف الإسلام من الشعر والأدب في حديث النبي (ﷺ) الذي استمد منه حجة نقدية وهو: ((الحياءُ والعَيُّ شُعبتانُ من الإيمانِ، والبَذاءةُ والبَيانُ شُعبتانِ من النِّفاقِ))[٤].

---

(١) الشعر والشعراء: ٨٠٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٨٠٦/٢.

(٣) سنن الترمذي:٣٥/٢ ، حديث رقم ٦٥٢.

(٤) متن الحديث ((إن الحياء والعي من الإيمان وهما يقربان من الجنة ويباعدان من النار والفحش والبذاء من الشيطان وهما يقربان من النار ويباعدان من الجنة)) صحيح الجامع:٢٠٧ ، حديث رقم ١٤٣٦.

إذ استمد الجاحظ من الحديث النبوي الشريف حجة نقدية فقال "ونحن نعوذ بالله أنْ يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله (ﷺ) يحث على العيّ، ونعوذ بالله أنْ يجمع رسول الله (ﷺ) بين البذاء والبيان. وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي على كل شيء قصر عن المقدار. فالعي مذموم والخطل مذموم، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالي"(١).

ويبين الجاحظ طائفتين من الأدباء والشعراء كلاً منهما حظي بصفات ومنهم "فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف، والخطل والتزيد، فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف، وإلى الخطل المتزيد"(٢).

هنا يصرح الجاحظ ويخص طائفة من الذين يطيلون ويتكلفون ويسهبون في الكلام دون الحاجة إليه فيخرج الكلام غثاً ركيكاً ويكون في ذكر تفاصيل لا حاجة للمتلقي في معرفتها وفي تشقيق العبارات وتكثيرها لأجل الإطالة.

ومنها قول الجاحظ في نصٍ لهُ: "للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل على قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه"(٣)، مؤكدا أنَّ للكلام غاية وهي تمام إيصال المعنى للمتلقي وإنْ زاد عن الحاجة أصبح من الهذر والاطالة ولا فائدة منها.

وفي وصف آخر يحمد الإطالة التي فيها الخير والمنفعة، إذ يقول: "فأما أرباب الكلام، ورؤساء أهل البيان، والمطبوعون المعددون، وأصحاب التحصيل والمحاسبة، والتوقي والشفقة، والذين يتكلمون في صلاح ذات البين، وفي إطفاء نائرة، أو في حمالة، أو على منبر جماعة، أو في عقد أملاك بين مسلم ومسلمة- فكيف يكون كلام هؤلاء

(١) البيان والتبيين: ٢٠٢/١.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠١/١.
(٣) المصدر نفسه: ٩٩/١.

يدعو إلى السلاطة والمراء، وإلى الهذر والبذاء، وإلى النفج والرياء. ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم"[١].

ويقصد بالطائفة الثانية الذين يطيلون في الكلام بدافع صلاح المجتمع وإطفاء النائرة بين المسلمين فيكون إطالتهم في الموضع المذكورة محموداً كما في خطب النبي (ﷺ) والأئمة من بعده والطباء وغيرهم ممن عرف برجاحة العقل والقدرة على التأثير في المجتمع.

ومن خلال هذا الحديث نجد أنَّ النبي (ﷺ) وضع اساساً ودعامة وحجة نقدية يجب على الشعراء والأدباء المضي بها حتى يكون ذلك الفن (الشعر أو النثر) وما احتوياه سالكاً منهج الخير، فقد وضح ما هو مقبول وما هو مرفوض وذلك من خلال الوقوف على بعض الدلالات النقدية التي احتواها الحديث النبوي، إذ إنَّ البيان يحتمل وجهين كما جاء في لسان العرب معنى البيان "إظهار المقصود ببالغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور"[٢].

أمَّا الجانب الذي ذمه القول الشريف "البذاء والبيان شعبتان من النفاق، أراد أنَّهما خصلتان منشؤهما النفاق، أمَّا البذاء وهو الفحش فظاهر، وأمَّا البيان فإنما أراد منه بالذم التعمق في النطق والتفاصح وإظهار التقدم فيه على الناس وكأنه نوع من العجب والكبر، ولذلك قال في رواية أخرى البذاء وبعض البيان، لأنَّهُ ليس كل البيان مذموم"[٣]، بهذا نجد أنَّ الحديث النبوي أساس من الأسس التي قامت عليها النظرية النقدية عند العرب.

نستنتج من الأحكام التي ذكرناها تشريعا وتوجيها للكلام ، إذ أسهم في تطور النقد وأصبح النقد والتطور الذي رافقه مصطبغ بطابع اسلامي نتيجة لما جاء عن النبي (ﷺ) من أحكام نقدية عُدَّتْ مادة ثرية لاستنتاج أحكام ذات أسس وقواعد سليمة وتوجيه للحكم النقدي

(١) البيان والتبيين: ٢٠٢/١.
(٢) لسان العرب: مادة (بيان).
(٣) المصدر نفسه: مادة (بيان).

عارفاً بأصوله ومقرراته ومبادئه لكي يخطو النقد الأدبي خطوة نحو الأمام من الجدير أنَّ إصدار الأحكام النقدية كشف عن أثراً في النقد وأحكامه ولكن هذا الأثر جاء ضمن الأطر الإسلامية والتي من شأنها أنْ تسعى إلى التربية الخلقية والذوقية والفنية وبالتالي أجمع الشعراء أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك على جعل شعرهم شعراً ذا طابع إسلامي شرعي وبذلك بنى لهم الحديث النبوي الشريف مفاهيماً جديدة بما يتوافق مع الرؤية الإسلامية،إذ جعل الحديث النبوي للمجتمع ثوابت تبعده عن الانحرافات سواء في الشعر أو غيره

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد إتمام دراسة (الحديث النبوي الشريف في التراث النقدي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري – دراسة تحليلية) خلصتُ إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بما يأتي:

- للحديث النبوي أثر في الميادين المعرفية والعلمية كافة وليس فقط في كتب التراث النقدي.

- إنَّ الحديث النبوي منبع الحكمة ومقصد البلغاء والحكماء يأخذون من معينه اللغوي والبلاغي والأدبي بقدر ما يأخذونه من معينه الشرعي والروحي والديني والثقافي والاجتماعي.

- إنَّ الاستعانة بالشواهد النبوية بالقدر الذي يخدم الفكرة جاء عند أغلب النقاد في المرتبة الثالثة من حيث كمية الاستشهاد به بعد القرآن الكريم والشعر تبعاً لطبيعة الموضوعات وأهميتها التي كان يحتج بها أو تمت معالجتها في كتب التراث النقدي.

- أختلف النقاد في استشادهم بالأحاديث النبوية تبعاً لاختلاف الغاية من التأليف إلَّا أنَّها كانت في الغالب تصب في رافد البلاغة؛ لأنَّ البلاغة أهم سمات الحديث النبوي، وبالمرتبة الثانية فيما يخص الشعر ونقده.

- اهتم النقاد بإبراز مظاهر الجمال والجلال في المواطن التي وظفوا فيها الحديث النبوي مع التركيز على تحقيق الغرض الرئيس فضلاً عن بيان سر تفوق اسلوب الحديث النبوي على غيره من النصوص كدقة تصويره واختيار أدواته وعمق المعنى واتساع الدلالة والتي تتسع مع فكر قارئها ومتأملها فهذه صفة لا تتوفر إلَّا في طبقة الكلام العالي والأنساق المميزة التي وهبها الله للبعض وعلى قمتهم النبي (ﷺ) عبر اعتماد الحديث النبوي شاهداً وحجة نقدية تم توظيفها في مختلف الميادين اللغوية والبلاغية والأدبية.

- أنَّ توظيف الحديث النبوي شاهداً كشف عن المواضع التي استشهد فيها بالحديث النبوي في النقد اللغوي عن طبيعة الأخطاء التي وقع بعض الشعراء فجاءت ألفاظ الحديث النبوي مصححه لبعض الاستعمالات اللغوية الخاطئة ولما اشكل على النقاد والأدباء والعلماء من حيث علاقة اللفظ ومعناه وعلاقة اللفظ والواقع أو الاستعمال الشائع لبعض الألفاظ التي تغيرت وأصبحت دلالاتها تختلف نتيجة للتطور الذي طرأ على اللغة فضلاً عن هذا نجد الحديث النبوي يرد شاهدا لغوياً لبيان بعض الهفوات والتي أكد النبي (ﷺ) على ضرورة الالتفات إليها وتنبيه الشعراء والأدباء عن الوقوع فيها. كاشفا بذلك عن دور الحديث النبوي وحضوره المهم في كونه شاهداً لغوياً. أمَّا اتخاذ الحديث النبوي شاهدا بلاغيا فقد كان الأكثر حضوراً وامتلأت به كتب التراث النقدي كاشفاً عن أهمية الجانب البلاغي في أحاديث النبي (ﷺ) عبر الإيجاز وضروب المجاز والتشبيه والاستعارة والموسيقى العذبة فضلاً عما احتوته الأحاديث النبوية في جناس وطباق وغيرها من الأساليب البلاغية والتي كان الحديث النبوي أسمى شاهداً لها. أمَّا كونه شاهداً نقدياً جاء باعتبار أقوال النبي (ﷺ) وأحاديثه حجج تقوى بها القضايا النقدية ، إذ أنْ النقد الموجه من الرسول (ﷺ) نجده في أغلب المواقف نقد توجيهي وإرشادي أكثر ما هو نقد أدبي.

- أما اتخاذ الحديث النبوي موجهاً لبعض القضايا النقدية المهمة فتبين أنَّ ظهور الإسلام شكل عاملاً مهماً في تطور قضية الشعر، ذلك نسبة للأهمية التي ميزتها أقوال النبي الأكرم محمد (ﷺ) والفكر النبوي، كاشفاً عن موقف النبي (ﷺ) تجاه الشعر والشعراء، بأنها قضية نقدية تمثلت في مواقفه عن الشعر والشعراء وتجلت عن قضية الشعر قضية مهمة إلَّا وهي قضية المفاضلة التي حملت رؤية جديدة في النظر إلى الشعراء وأشعارهم وضعها النبي الأكرم (ﷺ)، وفقا للدين

الجديد وأحكام مختصرة قائمة على أسس سليمة معروفة، إذ كشفت المفاضلة على حس نقدي وموهبة عالية لدى النبي (ﷺ) في تذوق الشعر وتمييز أقدار الشعراء. أما قضية الاقتباس والسرقات أعتراف بأنَّ الحديث النبوي الشريف لا يقل أهمية عن القرآن الكريم عندما ضمنه بعض الشعراء في أشعارهم كاشفاً للأهمية التي أخذها الحديث النبوي الشريف وتوافد الشعراء عليه وحفلت به أشعارهم من دلالات ومعانٍ ممّا رفع قيمة الفن الشعري بتلك التراكيب المقدسة كاشفاً بذلك على التميز الذي يخص به الشاعر عندما يوشح أبياته الشعرية بتلك المفردات الرقيقة والعذبة وأنَّ تضمين الشعراء الأحاديث النبوية وتكرارها يضمن استمرار ذكر أحاديثه على الألسن ويعزز قدرة الشاعر الفنية.

- بينما إسهام الحديث في تطور النقد نجد لهُ إسهاماً كبيراً في تعدد قراءات الحديث النبوي لدى النقاد فهذا أمر لا بدَّ منه؛ لأنَّ الحديث النبوي كونه نصاً مقدساً باقياً على مَرَّ الأزمان حاضراً لما حواه من حكمة ومعرفة ودقة وصف وما اشتمل عليه من ألفاظ ومعانٍ حيرت العلماء والأدباء وعكف النقاد على الاهتمام به واختلفوا في تفسيره. بالإضافة الى أنَّ تلك القراءات كلها صحيحة على اختلافها فهي تكشف عن وعي الناقد وثقافته، إذ نجد القراءات جميعها مستمدة من النص وما يحيط به من ظروف كُما أنَّ تلك القراءات لم تكن نتيجة اجتهادات شخصية أو عبثاً لقراءة بعض النصوص بل كانت نتيجة لما يحتويه النص من نضوج وقيمة فنية.

- أما إسهام الحديث النبوي في المصطلحات النقدية ، فقد كان لهُ أثرا يسيراً اسهم في تأكيد بعض المصطلحات ودراستها وأتخذ من أحاديثه الشريفة حجة لبيانها

- أمـا أصـدار الأحكـام النقديـة نجـد أنَّ تلـك الأحكـام النقديـة لـم تكـن تحـيط بموضـوعات النقـد الأدبـي بصـورة عامـة بـل كانـت أحكامـا انطباعيـة ونـواة صـالحة لكـي ترتقـي بـها النقـد فيمـا بعـد عبـر تنبيـه النبـي (ﷺ) مـن خـلال أحاديثـه باسـتخدام المـألوف مـن العبـارات ومناسـبة المقـام للمقـال وتـوخي المسـاس بـأمور العقيـدة موافقـة تلـك الأحكـام للمثـل العليـا التـي جـاء بهـا القـرآن الكـريم والسـنة ومـا يحمله من معان.

المصـــادر والمراجـــــع

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

❖ **الحديث النبوي الشريف**

أولاً- الكتب:

١. آداب العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢. الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، محمد بن مريسي الحارثي، ط١ ، مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي الادبي (الكتاب ٦٤) ، السعودية ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣. الاتجاه الاسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، فلسطين ، ٢٠٠١م.

٤. أبو تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً، عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥. اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦. أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، قدمه: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٥٢م.

٧. الأدب في عصر النبوة والراشدين، صلاح الدين عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ،١٤١٢هـ ١٩٩١-.

١٠. الإسلام والشعر، سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م.

١١. الإسلام والشعر، فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٢. الإسلام والشعر، يحيى وهيب الجبوري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

١٣. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٤. أشكال الخطاب النقدي في صدر الإسلام، حسين علي هنداوي ، السعودية ، ١٩٩٤.

١٥. اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ١٩٩٦م.

١٦. الأصمعي ناقداً، إياد عبد المجيد إبراهيم، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٦م.

١٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨. الإعجاز والإيجاز، الثعالبي، تحقيق: ابراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٩. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢٠. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، المكتبة الشاملة الذهبية.

٢١. الأمالي في الأدب الإسلامي، ابتسام مرهون الصفار، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٢٢. أهدى سبيل إلى علمي الخليل، محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٢٣. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٤. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٥. البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: ابراهيم مصطفى، الادارة العامة للثقافة، مصر.

٢٦. البديع، عبد الله بن المعتز، أغناطيوس كراتشوفيسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٧. البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي ،عبد العاطي غريب علي علام، مكتبة كلية الدراسات العربية والإسلامية، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٨. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، ١٩٦٥م.

٢٩. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٣٠. التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد.

٣١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه احمد إبراهيم ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، القاهرة ،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

٣٣. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٣٤. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٢م.

٣٥. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي وآخرون، تخريج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٣٦. التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حنى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٧٦م.

٣٧. التطور اللغوي التاريخي، ابراهيم السامرائي، دار الرائد للطباعة، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٨. تعدد القراءات الشعرية في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، نادية هناوي سعدون، دار ومكتب البصائر، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١١.

٣٩. تعدد القراءات، الشيخ محمد تقي مصباح يزدي، ترجمة: ماجد الخاقاني، ط٢، دار التعارف، بيروت-لبنان، ٢٠٠٦.

٤٠. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) ، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ،١٩٨١م .
٤١. التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر، سوريا، دمشق ،١٤١٧هـ.
٤٢. تلخيص المفتاح، الشافعي، المدينة العلمية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
٤٣. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٤٤. الحديث النبوي -مصطلحه -بلاغته -كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٤٥. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٧٩م.
٤٦. الحياة الأدبية في العصر العباسي، عبد المنعم خفاجة، رابطة الأدب الحديث، القاهرة.
٤٧. الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي وصلاح الدين عبد التواب، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٤٨. الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٤٩. دراسات في البيان النبوي، محمد رفعت زنجير، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٥٠. دراسات في النقد العربي القديم، محمد نتوف وعبد الكريم حسين، الجزء الأول، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٥١. دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
٥٢. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة، دار المدني القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٥٣. ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥٤. ديوان ابي نواس الحسن بن هاني، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
٥٥. ديوان الحارث بن خالد المخزومي ، د ،يحيى الجبوري ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ،ط١ ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

٥٦. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.

٥٧. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٨. ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥٩. ديوان النمر بن تولب، جمع وتحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٦٠. ديوان امرئ القيس، اعتنى به، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦١. ديوان أمية بن أبي الصلت، حققه وشرحه: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦٢. ديوان بشر بن خارم، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

٦٣. ديوان جميل بثينة ، جمع ، بشير بموت ، المطبعة الوطنية ، بيروت ،١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م

٦٤. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه: عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٥. ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع وتحقيق: محمد شقيق البيطار، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠م.

٦٦. ديوان زهير بن جناب الكلبي، محمد شفيق البيطار ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م

٦٧. ديوان شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم، دراسة وتحقيق: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦٨. ديوان طرفه بن العبد، شرح وتقديم، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢.

٦٩. ديوان عامر بن الطفيل، برواية أبي بكر بن محمد بن قاسم الأنباري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٠. ديوان عبد الله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره، وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧١. ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسدي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٧٢. ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: مجيد بن طراد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٧٣. ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد السكري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

٧٤. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، أعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧٥. زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

٧٦. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود أبو علي نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٩٨١م.

٧٧. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٧٨. السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.

٧٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني [ت١٤٢٠هـ]، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، مكتبة المعارف.

٨٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني [ت١٤٢٠هـ]، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٨١. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي المؤلف، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ) الناشر، المكتب الإسلامي، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٨٢. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر، دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي.

٨٣. ، سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٨٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي–مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٨٥. سوسيولوجيا النقد العربي القديم–دراسة العلاقة بين الناقد والمجتمع، داوود سلوم، مراجعة: محمود أحمد ربيع مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٨٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٨٧. السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

٨٨. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٨٩. السيرة النبوية، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الشروق، جدة، للنشر والتوزيع، ط١٠، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٩٠. الشاهد الشعري عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، محمد أحمد شهاب، دار الحوار، ط١، ٢٠١١.

٩١. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم: أهميته وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به المؤلف: د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري الناشر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٩٢. شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدمه ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٩٣. شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد السكري، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠.

٩٤. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

٩٥. الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين طه، ط١، ١٩٨٦م.

٩٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق- مصر، ١٣١١هـ.

٩٧. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٩٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٩٩. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٠٠. الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، جابر أحمد عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

١٠١. ضحى الإسلام، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م.

١٠٢. ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٠٣. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء لكتب العربية.

١٠٤. طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جهاد المجالي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.

١٠٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠٦. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠٧. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

١٠٨. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.

١٠٩. العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٧.

١١٠. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١١١. علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط١.

١١٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٣. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١٤. غريب الحديث، الخطابي، تحقيق: عبد الكريم ابراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١١٥. فن البديع، عبد القادر حسين، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١٦. في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١١٧. في النقد الادبي القديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمن ابراهيم، كلية الدراسات الاسلامية والعربية، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١١٨. في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود ، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٣.

١١٩. في قضايا النقد العربي القديم، حميد قبايلي، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٢٠م.

١٢٠. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٩م.

١٢١. القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، حميد الحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

١٢٢. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي عشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

١٢٣. قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٢٤. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٢، القاهرة، ١٩٦١.
١٢٥. قواعد الشعر، ابي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٥م
١٢٦. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٢٧. كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٢٨. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار أحياء الكتب العربية، ط١، ١٤٧١هـ-١٩٥٢م.
١٢٩. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥١م
١٣٠. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٣١. لسان العرب، ابن منظور، مراجعة: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٣٢. مباحث تأويلية في نقد الشعر العربي القديم، حاكم حبيب الكريطي، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر، ط١ ،٢٠٢٠م.
١٣٣. المجازات النبوية، الشريف الرضي، تصحيح: مهدي هوشمندار، دار الحديث.
١٣٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٣٥. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ابتسام مرهون الصفار، ناصر الحلاوي، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
١٣٦. المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف، السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٢م.

١٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣٨. مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة، محمد مصطفى هَدَّارَه، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

١٣٩. مصادر السيرة النبوية وتقويمها، فاروق حماده، دار القلم، دمشق.

١٤٠. المصطلح النقدي في التراث العربي، محمد عزام، دار الشروق العربي.

١٤١. المصطلح في التراث النقدي، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠.

١٤٢. مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص)، الشاهد البو شيخي، عالم الكتب الحديث، أربد، ط١، ٢٠٠٩.

١٤٣. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٤٤. معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩.

١٤٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٤٦. مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، عبد الرؤوف أبو السعد دار المعارف، ط١.

١٤٧. مقدمة في النقد الأدبي، محمد حسن عبد الله، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٧٥م

١٤٨. مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، عيد بلبع، دار الكتب المصرية، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٤٩. من قضايا الأدب الإسلامي وليد إبراهيم قصاب، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.

١٥٠. المنصف بين السارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، أبو محمد بن علي بن وكيع، منشورات جامعة بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.

١٥١. الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

١٥٢. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، ط٤.

١٥٣. موسوعة تاريخ الأدب والنقد والحكمة العربية في صدر الإسلام، حسين علي هنداوي.

١٥٤. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٢م.

١٥٥. نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث، وليد قصاب، المكتبة الحديثة، الإمارات، العين.

١٥٦. نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، داوود سلوم، جميل سعيد، مكتبة الأندلس، بغداد.

١٥٧. النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب، وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين، ١٩٨٨م.

١٥٨. نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ الجغرافيا، أمجد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٥٩. النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند طه حسين، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.

١٦٠. النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، عبد الرسول الغفاري، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

١٦١. النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري، محمد الشريدة، دار الينابيع للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٥.

١٦٢. النقد الأدبي في تراث العرب النقدي، نبيل خالد، عزة، فلسطين، ط٦، ٢٠١٨م.

١٦٣. النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، قصي الحسين، دار الشروق، جدة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٦٤. النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، أحمد محمد نتوف، دار النوادر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠١٠م.

١٦٥. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٦. النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، داوود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ط٢، ١٩٧٠م.

١٦٧. النقد العروضي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، علي عبد الحسين حداد، ط١، ضفاف للطباعة والنشر، قطر، ٢٠١٣.

١٦٨. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٦٩. النقد اللغوي بين التحرر والجمود، نعمة رحيم العزاوي، منشورات دائرة الشؤون، بغداد، ١٩٨٤م.

١٧٠. النقد بين الفن والأخلاق حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مريم النعيمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ط١، ٢٠٠٨.

١٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٧٢. النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي اليمني، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩١م.

١٧٣. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تصنيف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢). تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن القيِّم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٧٤. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١٧٥. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي.

١٧٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت.

ثانياً-الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. أثر المنهج اللغوي في النقد العربي القديم (رسالة ماجستير)، لواء تقي العيساوي، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢. الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي (أطروحة دكتوراه)، مرسل فرمان، جامعة بشاور، الكلية الإسلامية، ٢٠٠٤-٢٠٠٥.

٣. التضمين في التراث النقدي والبلاغي (رسالة ماجستير)، ربى عبد القادر أحمد، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٩٩٧م.

٤. تطور المصطلح النقدي، دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام (كتاب الموازنة أنموذجاً) (رسالة ماجستير)، أمزيان سهام، جامعة وهران، كلية الآداب، ٢٠١٥م.

٥. الجهود النقدية والأدبية في كتب الدراسات القرآنية إلى نهاية القرن الثامن الهجري (أطروحة دكتوراه)، خولة حسن يونس، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦. الحديث النبوي الشريف في الدراسات النقدية والبلاغية حتى منتصف القرن السابع الهجري-دراسة توثيقية نقدية (رسالة ماجستير)، مصعب هادي إبراهيم، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧. حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي (رسالة الماجستير)، نداء محمد عز الدين ومحمود الحرباوي، جامعة الخليل،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٨. ردود التستري على ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة -دراسة نقدية- (رسالة ماجستير)، محمد حاكم الكريطي، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م.

٩. السرقات الأدبية ونظرية التناص بين الاتصال والانفصال (رسالة ماجستير)، فؤاد حملاوي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠. ظاهرة الإيجاز في النص النقدي العربي القديم (رسالة ماجستير)، زهراء ستار حسن، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٦٣هـ-٢٠١٥م.

١١. ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي (رسالة ماجستير)، زياد جايز الجازي، جامعة مته، عمادة الدراسات العليا، ٢٠١١.

١٢. القصص في الحديث النبوي -دراسة فنية وموضوعية- (رسالة ماجستير)، محمد بن حسن الزير، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣. قضية الشعر بين الأصوليين والنقاد حتى نهاية القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير)، كاظم جاسم منصور العزاوي، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٤. محددات النقد الأدبي القديم عند العرب دراسة تحليلية لكتاب "النقد المنهجي عند العرب" لمحمد مندور، عمر بن مجاهد (رسالة ماجستير)، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م.

١٥. المصطلح النقدي العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري مرجعياته وإشكالاته (أطروحة دكتوراه)، زكريا بوشارب الجمهورية الجزائرية، كلية الآداب واللغات.
١٦. النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع الهجري، عبد الهادي خضير نيشان (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
١٧. النقد التطبيقي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير)، سامي العتلي، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩م.
١٨. النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير)، فريدة بولكعيبات، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩م.

ثالثاً- المجلات والدوريات:

١. أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية وتطورها، فاطمة الزهراء عواطي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر الشريعة ، جامعة الجزائر ، مجلة فصلية ـ دولية ، المجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠٢٠.
٢. اثر الحديث النبوي في مواجهة تحديات العصر ومكانته في حياة المسلمين ومساهمة علماء الهند فيه، السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي، مركز بحوث السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ١٤٢٦هـ ،٢٠٠٥م
٣. أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين، بشار عواد معروف، مجلة الأقلام، مجلد ٢١، العدد ٩، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٤. الحضارة والثقافة، لبيب أحمد بصول مجلة الشؤون الاجتماعية، مج ٣٤، العدد ١٢٢، ٢٠١٤.
٥. السنة النبوية أثرها في الثقافة الإسلامية، محمد عويضة، جامعة الزرقاء، الأردن، مؤتة للبحوث والدراسات، تصدر عن جمعية الأجتماعيين ، الإمارات العربية المتحدة ، المجلد ١٧، العدد الثالث، ٢٠٠٢.
٦. مستويات التلقي واختلاف القراءات في النقد العربي القديم، ابتسام مرهون الصفار، مجلة جذور، مجلد١، ج ١.
٧. المصطلح النقدي في تراث أحمد مطلوب بين القديم والحديث، محمد غانم شريف، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ٢٠٠٩، العدد ٧٩، السنة ٤٩.

٨. المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل، عبد العزيز بن صالح الدعيلج، مجلة العلوم العربية، العدد ٢٠، ١٤٢٢هـ.

٩. الموجهات الأخلاقية في النقد العربي القديم، رحمن غركان، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج ٥، العدد ٢، ٢٠٠٧.

١٠. النقد الأدبي مقاييسه خلال عهد الرسول والخلافة الراشدة، محمد عارف محمود حسن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ١٥، العدد ٥٨، ١٤٠٣هـ.

رابعاً- المراجع الالكترونية :

١. تعدد القراءات في تراثنا الشعري، الشملان، نورة صالح عبد المحسن (٢٠٠٢)، علامات في النقد، مج ١١، ج ٤٤، مسترجع من search.mandumah.com/Record/307858،http

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Misan

College of Education

Department of Arabic

Hadith of the Noble Prophet in the Critical Heritage Among the Arabs Until the End of the Fifth Century AH, An Analytical Study

University of Misan
Translation Unit
College of Education

A Thesis Submitted by

Sama Majid Blasim

To the Council of the College of Education –University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Arabic Language and its Arts

Under the Supervision of

Prof. Thaer Abdul Zahra Lazim Al-Mayahi

2023 A.D

1445 A.H

Abstract

Critical studies paid great attention to the Holy Qur'an, poetry and prose, and the noble hadith of the Prophet received great attention, given the richness of the noble hadiths of the Prophet in all literary arts, including eloquence, rhetoric, soundness of language, and others. Hence, our study of the noble hadith of the Prophet began; In being the natural linguistic extension of the Qur'anic text, the interpretation of some of the words of the Qur'an or the simulation of the structures and arts that were contained in it were clarified by the Prophet (PBUH) seeking and aiming at what God (Glory be to Him) sent in it for the good of society in all its aspects.

As the study of the noble hadith of the Prophet in the blogs of critical heritage is an important study. Because it shows two things: standing for the aesthetics of the language and its dense structures in the noble hadith, as well as the strength of casting and textual coherence found in the noble hadith, then its importance also comes as it draws a lot of moral and general guiding standards for writers and poets.

Our study of (The Prophet's Hadith in the Critical Heritage of the Arabs until the End of the Fifth Century AH) was not only an analytical study, but it is also a historical study. It will fall within the time period (until the end of the fifth century AH). The study has resulted in us knowing the extent of awareness of the critics in dealing with the Prophet's Hadith and the importance of present in the critical blogs, and the extent of the response

University of Misan
Translation Unit
College of Education

of critics and writers in paying attention to the authoritative Hadith of the Prophet as a linguistic, rhetorical or literary witness, or by directing it to some important critical issues, including (poetry - Balance - theft) or through the contribution of the Prophet's hadith to the development of criticism through the multiplicity of its readings among critics or its contribution to the formation of some criticism terminology or the issuance of critical judgments, revealing the important role played by the honorable Prophet's hadith being the second source of legislation after the Holy Qur'an.

University of Misan
Translation Unit
College of Education